جامعة أم درمان الإسلاميَّة
كلية الدراسات العليا
كليَّة اللغة العربية
الدراسات الأدبيَّة والنقديَّة

جهود الألوسي البلاغيَّة من خلال كتابه روح المعاني

بحث مقدَّم لنيل درجة الدكتوراه في البلاغة والنقد

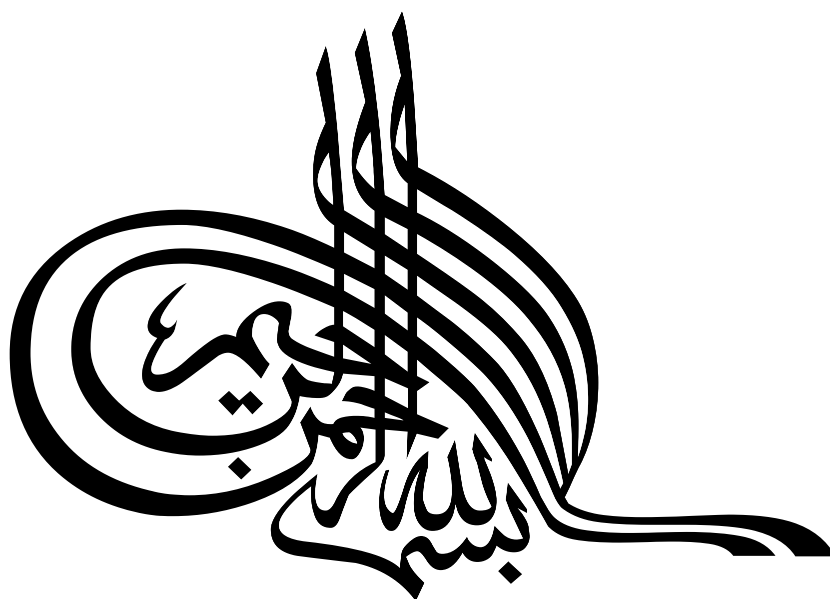
إعداد الطالب

صالح إبراهيم مضوي محمد

إشراف

الدكتور: محمد الحسن علي الأمين

٢٠٠٨ – ٢٠٠٩م.


بسم الله الرحمن الرحيم

قرآن كريم

﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨].



حديث شريف

قال ﷺ:(إن من البيان لسحرًا)[١]

[١] صحيح البخاري (الجامع الصحيح المختصر)، لمحمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق : د. مصطفى ديب البغا. دار ابن كثير ، اليمامة – بيروت، لبنان. الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م (حديث رقم٥٤٣٤).




إهـــداء

إلى روح فقيـد العلـم والأدب الأسـتاذ الـدكتور بـابكر البـدوي دشـين - أسبغ اللّه عليه شآبيب الرحمة والرضوان - الذي بفقده فقدت بنت عدنان أحد أساطينها... فقد كان - رحمه اللّه- مثالاً حسنًا للأخلاق الفاضلة، ونموذجًا حيًّا للإخلاص، والتواضع، وبشاشة الوجه.

الباحث.




كلمة شكر

الشكر أولاً وأخيراً لله، مستحق الشكر وأهله، المنْعِم على خَلْقِه بسابغ نعَمِه وفضله، الذي يسَّر لي هذا العمل، ووفَّقني إلى الوصول إلى الغاية المرجوَّة منه.

إلى كلِّ من بذل جهدًا حتى رأى هذا العمل النور، أهديه قول أبي عيينة:

لو كنت أعرف فوق الشُّكر منزلةً   أوفى من الشكر عند الله في الثَّمنِ
أخلصتُها لك من قلبي مهذَّبةً   حَذْوًا على مثلما أوليتَ من حسن

إلى الدكتور محمد الحسن علي الأمين الذي أفادني كثيرًا بتوجيهاته المفيدة، وتعليقاته القيِّمة، وآرائه السديدة..

إلى جامعة أم درمان الإسلامية العريقة، وكلية اللغة العربية التي طابت لي فتفيأت بظلالها حتى أكملت فيها كل المراحل (البكالوريوس، والماجستير، والدكتوراه).

إلى كل من نصحني فأحسن النصيحة، وكان عونًا لي على إخراج هذا البحث .

إلى والديَّ اللذين أعطياني عن رضا تام، ولم يأخذا شيئًا، وأثْمَن عطاياهما لي تلك الدعوات الصالحات التي كانا يدعوَان لي بها سائلَين الله لي التوفيق في هذا العمل.

إلى الأستاذ مرتضى إبراهيم الذي ما بخل بطباعة هذا البحث، وتنسيقه، ووضع اللمسات الفنيَّة على صفحاته.

إلى زوجتي الفاضلة، وابنيَّ العزيزَين (منيب، ومآب) الذين صبروا معي طيلة سِنِيِّ هذا العمل، فقد كنتُ في كثير من الأوقات آخذ من وقتهم لأضع مسألة هنا أو هناك تهم البحث.

الباحث.

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل القرآن، خلق الإنسان، علَّمه البيان، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الربّ الكريم الأكرم، الذي أعطى وتكرَّم، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله الذي عمل فأتقن، وقال فأبلغ، وظلَّ على ذلك حتى أتاه اليقين، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان وبارك وسلَّم . وبعد:

فإنَّ البحث في الدراسات البلاغية يعدُّ من الأهمية بمكان؛ وذلك لأنَّه جهدٌ يصُب أولاً في خدمة كتاب الله العزيز، والمساهمة في إظهار جوانب الإعجاز فيه، والإشارة إلى الصور البديعة التي يشتمل عليها القرآن الكريم، وتوضيحها وتبيينها في ثوب قشيب، وفي صورة ميسَّرة تعين على فهم المراد من الصور البلاغية التي يزخر بها القرآن الكريم.

وقد اخترتُ (**جهود الألوسي البلاغية من خلال كتابه روح المعاني**) موضوعًا لأطروحتي هذه؛ محاولاً أن أساهم في إثراء ساحة علم البلاغة التي تحتاج إلى المزيد من مثل هذه المواضيع التي تتناول الحديث عن بلاغة القرآن الكريم، والكشف عن أسرار ومزايا هذه البلاغة.

جدير بالذِّكر أنني لم أقف على دراسة بلاغية شاملة تناولت جهود الألوسي البلاغية، رغم أن كل من أراد بحثَ أو دراسةَ أيِّ موضوعٍ من مواضيع اللغة العربية –والبلاغة على وجه الخصوص– غالبًا ما يكون تفسير روح المعاني من ضمن المصادر الرئيسة لدراسته؛ وذلك للمادة النفيسة التي يضمّها هذا الكتاب بين دفتيه؛ وللأسلوب الذي عُرِف به الألوسي في تفسيره، حيث يفصِّل ويدقِّق كثيرًا في المسائل البلاغية في مواطن كثيرة من كتابه (روح المعاني). لذا توجَّهت بالعزم إلى البحث في هذا الموضوع – بعد التوكُّل على الله تعالى –.

تأثُّر الألوسي بمَنْ سبقه:

إنَّ تأثُّر الألوسي بمن سبقه واضح كلّ الوضوح، لكنّ الإضافات التي أضافها الألوسي، والأسلوب العميق المفصَّل الذي يتناول به الألوسي عرض الصورة الفنيَّة القرآنية، واستخراج النواحي اللغوية والبلاغية منها- جعله أكثر وضوحًا من سابقيه.. فممَّن تأثَّر بهم الألوسي، الزمخشري، فنجد رأيَ الألوسي في كثير من الأحيان يوافق رأيَ الزمخشري، وتارة يعضد الألوسي رأيَه بقول الزمخشري، وتارة يرجِّح الألوسي قولَه مستدلاً بما ذهب إليه الزمخشري..

ففـــي قولـــه تعـــالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَـٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴾[1].

يقول الألوسي :"والنقضُ فسخ التركيب، وأصله يكون في الحبل، ونقيضه الإبرام، وفي الحائط ونحوه، ونقيضه البناء، وشاع استعمال النقض في إبطال العهد –كما قال الزمخشري- من حيث تسميتهم العهد بالحبل على سبيل الاستعارة؛ لما فيه من ثبات الوصلة بين المتعاهدين، وهذا من أسرار البلاغة ولطائفها، أن يسكتوا عن ذكر الشيء المستعار، ثم يُرمز بذكر شيء من روادفه، فينبهوا بتلك الرمزة على مكانه، نحو قولك: عالِم يغترف منه الناس، وشجاع يفترس أقرانه. والحاصل أنَّ في الآية استعارة بالكناية، والنقض استعارة تحقيقية تصريحية، حيث شبَّه إبطال العهد بإبطال تأليف الجسم، وأطلق اسم المشبَّه به على المشبَّه، لكنها إنما جازت وحسنت بعد اعتبار تشبيه العهد بالحبل، فبهذا الاعتبار صارت قرينة على استعارة الحبل للعهد"[2].

وأيضًا وافق الألوسيُ الزمخشريَ ورجّح رأيَه عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَـٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ

---

(١) البقرة (٢٧).

(٢) روح المعاني (١/٢١٠).

ٱلۡأَحۡزَابِ فَٱلنَّارُ مَوۡعِدُهُۥۚ فَلَا تَكُ فِي مِرۡيَةٖ مِّنۡهُۚ إِنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾[1].

حيث قال:"والهمزة في أفمن قيل : للتقرير، و مَنْ مبتدأ، والخبر محذوف، أي أفمن كان كذا كمن يريد الحياة الدنيا وزينتها، وحذف معادل الهمزة.. والذي يقتضيه كلام الزمخشري -ولعله الأولى- خلافه، حيث قال : المعنى أمَّن كان يريد الحياة الدنيا كمن كان على بيِّنة، أي لا يعقبونهم ولا يقاربونهم في المنزلة إلى آخر ما قال.."[2]

كما وافق الألوسي ما ذهب إليه الزمخشري في تفسير قوله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ كُفۡرٗا وَأَحَلُّواْ قَوۡمَهُمۡ دَارَ ٱلۡبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصۡلَوۡنَهَاۖ وَبِئۡسَ ٱلۡقَرَارُ ﴿٢٩﴾ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا لِّيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِهِۦۗ قُلۡ تَمَتَّعُواْ فَإِنَّ مَصِيرَكُمۡ إِلَى ٱلنَّارِ ﴾[3].

فقال الألوسي:"قل لأولئك الضلّال المتعجَّب منهم: تمتعوا بما أنتم عليه من الشهوات التي من جملتها تبديل نعمة الله تعالى كفرًا، واستتباع الناس في الضلال.. وجَعْل ذلك متمتعًا به تشبيهًا له بالمشتهيات المعروفة؛ لتلذُّذهم به كتلذُّذهم بها، وفي التعبير بالأمر -كما قال الزمخشري- إيذان بأنَّهم -لانغماسهم بالتمتُّع بما هم عليه، وأنهم لايعرفون غيره، ولايريدونه- مأمورون به، قد أمرهم آمر مطاع لايسعهم أن يخالفوه، ولا يملكون لأنفسهم أمرًا دونه، وهو آمر الشهوة.."[4].

وفي تفسير قوله تعالى : ﴿ وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلِيّٞ مِّنَ ٱلذُّلِّۖ وَكَبِّرۡهُ تَكۡبِيرَۢا ﴾[5].

---

(١) هود (١٧).
(٢) روح المعاني ٢٩/١٢
(٣) إبراهيم (٢٨- ٣٠).
(٤) روح المعاني (٢١٩/١٣).
(٥) الإسراء (١١١).

يقول الألوسي –وقد التفت لرأي الزمخشري– :"فهو تعالى الجواد المعطي لكل قابل ما يستحق، وهو تعالى المستحق للحمد دون غيره عز و جل، وهذا الذي عناه الزمخشري بقوله : لك أن تتَّخذ نفي هذه الصفات وهي ذرائع منع المعروف، أما الولد فلأنَّه مبخلة، وأما الشريك فلأنَّه مانع من التصرف كيف يشاء، وأما الاحتياج إلى من يعتزّ به، أو يذبّ عنه، فأظهر رديفًا لإثبات أضدادها على سبيل الكناية، وهو وجه حسن، ولو حُمِل الكلام على ظاهره أيضًا لكان له وجه؛ وذلك لأنَّ قول القائل: الحمد لله فيه ما ينبئ أنَّ الإلهية تقتضي الحمد، فإذا قلت: الحمد لله المنزّه عن النقائص –مثلاً– يكون قد قوّيت معنى الإلهية المفهومة من اللفظ، فيكون وصفًا لائقًا مؤيدًا لاستحقاقه تعالى الحمد من غير نظر إلى مدخلية الوصف في الحمد بالاستقلال، وهذا بيِّن مكشوف، إلا أنَّ الزمخشري حاول أن ينبِّه على مكان الفائدة الزائدة.."[1].

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا وَلَمۡ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيّٗا﴾[2].

فقد عضّد الألوسي قوله بما سبقه عليه الزمخشري، حيث قال الألوسي :"وهن العظم مني، أي ضعف، وإسناد ذلك إلى العظم لما أنَّه عماد البدن، ودعام الجسد، فإذا أصابه الضعف والرخاوة تداعى ما وراءه، وتساقطت قوَّتُه، ففي الكلام كناية مبنيَّة على تشبيه مضمر في النفس، أو لأنَّه أشد أجزائه صلابة وقوامًا، وأقلّها تأثرًا من العلل، فإذا وهن كان ما وراءه أوهن، ففي الكلام كناية بلا تشبيه، وأُفرِد (العَظْم) –على ما قاله العلامة الزمخشري، وارتضاه كثير من المحققين–؛ لأنَّ المفرد هو الدال على معنى الجنسيّة، والقصد إلى أن هذا الجنس –الذي هو العمود والقوام، وأشد ما تركَّب منه الجسد– قد أصابه الوهن، ولو جُمِع لكان القصد إلى معنى آخر، وهو

(١) روح المعاني (١٥/١٩٥).
(٢) مريم (٤).

أنَّه لم يهن منه بعض عظامه، ولكن كلُّها، حتى كأنَّه وقع من سامع شكٌّ في الشمول والإحاطة.."[1].

ولقد احتوت خطَّة البحث على مقدِّمة، وتمهيد، وأربعة فصول، وخاتمة، ثم الفهارس العامة.

خطَّة البحث ومنهجه:

أما المقدِّمة، فذكرتُ فيها أهمية هذا الموضوع، وسبب اختياري له، كما أشرت فيها إلى خلو ساحة البحث من دراسة مستقلة تبين دور الألوسي في وضع أسس ساهمت في إثراء ساحة البلاغة العربية. كما تطرَّقتُ بالحديث إلى من تأثر بهم الألوسي من سابقيه، فاخترت —على سبيل المثال لا الحصر– الزمخشري، فقد تأثَّر به الألوسي تأثرًا واضحًا في كثير من آرائه البلاغية عند تفسيره للآيات..

وسيكون الحديث في التمهيد منصبًّا حول الإعجاز القرآني، والبلاغة القرآنية، وخصائصها، وأسرارها، ثم منهج القرآن في التعبير.

وأما فصول الدراسة فهي على النحو الآتي:

الفصـــــــــــل الأول: التعريف بالألوسي، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحـــــــث الأول: حياته، وفيه ستة مطالب.

المطلـــــب الأول: نَسَب الألوسي.

المطلـــب الثـــاني: المولد والنشأة.

المطلـــب الثالـــث: بعض شيوخه.

المطلـــب الرابـــع: بعض تلامذته.

المطلـــب الخـــامس: آثاره العلمية.

المطلـــب الســـادس: مكانته العلمية.

---

(١) روح المعاني (٦٠/١٦).

المبحث الأول: **التشبيه.**

المبحث الثاني: **المجاز، وفيه مطلبان.**

المطلب الأول: **المجاز العقلي.**

المطلب الثاني: **المجاز اللغوي، ويشمل المجاز المرسل والاستعارة.**

أولاً: المجاز المرسل.

ثانياً: الاستعارة.

المبحـــث الثالـــث: **الكناية.**

الفصـــــــــل الرابـــــــــع: صور البديع في روح المعاني، وفيه مبحثان:

المبحـــــــــث الأول: **المحسنات المعنوية، وفيه سبعة مطالب.**

المطلـــــــب الأول: **الطباق.**

المطلـــب الثـــاني: **اللف والنشر.**

المطلـــب الثالـــث: **تأكيد المدح بما يشبه الذم.**

المطلـــب الرابـــع: **الاحتباك.**

المطلـــب الخـــامس: **التورية.**

المطلـــب الســـادس: **المقابلة.**

المطلـــب الســـابع: **المشاكلة.**

المبحـــــث الثـــــاني: **المحسنات اللفظية، وفيه ثلاثة مطالب.**

المطلـــــــب الأول: **الجناس.**

المطلـــب الثـــاني: **الفاصلة القرآنية.**

المطلـــب الثالـــث: **رد العجز على الصدر.**

ثم خاتمة البحث: وفيها ذكرت خلاصة موجزة لهذه الدراسة، وأبرز ثمارها ونتائجها التي وفَّقني الله تعالى إلى استجلائها، والاهتداء إليها، ثم ختمت ذلك ببعض التوصيات.

ثم أنهيت البحث بالفهارس العامة، وتشمل: فهرس الآيات الكريمة، وفهرس الأحاديث الشريفة، وفهرس الأبيات الشعرية، وفهرس الأعلام، وثبت المصادر والمراجع، ثم فهرس الموضوعات.

أما منهج البحث:

فهو المنهج الاستقرائي التحليلي كما تمثله هذه الخطة؛ فقد اقتضت طبيعة البحث أن أقدِّم لكل موضوع بمقدمة أعرِّف فيها باللون البلاغي من حيث اللغة، واصطلاح البلاغيين، ثم أستشهد لذلك ببعض الآيات القرآنية، وأقوال العلماء البلاغيين في ذلك، ثم بعدئذٍ أتناول ما قدَّمه الألوسي، وأضافه إلى هذا الفن.

وأخيراً أسأل الله أن يعصمني من الزلل، والخطأ، والنسيان، وأن يمنح هذا البحث الرضا والقبول التام، والحمد لله على نعمة الإيمان والقرآن، وعلى أنْ هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله – سبحانه–.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الباحث

تمهيد

إن إعجاز القرآن الكريم متعدِّد، والإعجاز البلاغي القرآني –على وجه الخصوص– يظل الوجه البارز من بين كل وجوه الإعجاز، وكيف لا يكون القرآن الكريم كذلك وهو أصدق الحديث؟! قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ﴾[1]. ولما كانت البلاغة سر هذا الإعجاز، فعلينا أن نلتمس مكمن هذا السر، ونتعرف على المظاهر والخصائص التي بسببها حازت البلاغة على هذه المزيّة، ونالت هذه المكانة المرموقة السامية..

"فقد شعر العرب أنفسهم بما في القرآن من سمو عن قول البشر، فنسبوه إلى السحر، فكأنهم يقولون: إنَّ القرآن لا يستطيع أن يقوله إلا من أوتي قوَّة خارقة، وليست من جنس قوى البشر، وكان ذلك في زمن سما فيه شأن البلاغة والفصاحة، وجلت مكانتهما في صدور أهلهما، وعرفوا باللسن، وقوّة العارضة في الإعراب عن خوالج النفوس، والإبانة عن مشاعر القلوب"[2].

" إنَّ في إعجاز القرآن وجه آخر ذهب عنه الناس، فلا يكاد يعرفه إلا الشاذ من آحادهم، وذلك صنيعه بالقلوب، وتأثيره في النفوس، فإنّك لا تسمع كلامًا غير القرآن – منظومًا ولا منثورًا– إذا قرع السمع خلص له إلى القلب من اللذة والحلاوة في حال، ومن الروعة والمهابة في أخرى، ما يخلص منه إليه.. تستبشر به النفوس، وتنشرح له الصدور، حتى

---

(١) الزمر (٢٣).

(٢) انظر إعجاز القرآن الكريم عند شيخ الإسلام ابن تيمية، تأليف: محمد بن عبد العزيز العواجي، دار المنهاج، الرياض، المملكة العربية السعودية. الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ. (ص ٨).

إذا أخذت حظَّها منه عادت مرتاعة قد عراها من الوجيب والقلق، وتغشاها من الخوف والفرق ما تقشعر منه الجلود، وتنزعج له القلوب "[١].

وقد وازن الباقلاني في كتابه (إعجاز القرآن) بين القرآن الكريم وكلام العرب في وجوه متعدِّدة، أجملُ بعضها فيما يلي:

"أنه ليس للعرب كلام مشتمل على هذه الفصاحة والغرابة، والتصرُّف البديع، والحكم الكثيرة، والتناسب في البلاغة، والتشابه في البراعة على هذا القدر من الطول، وإنما تنسب إلى حكيمهم كلمات معدودة، وإلى شاعرهم قصائد محصورة.

كما أن عجيب نظمه لا يتفاوت على ما يتصرَّف فيه من الوجوه من قصص ووعظ، واحتجاج وحكم وأحكام، ووعد ووعيد، ووصف وتعليم أخلاق كريمة، وغير ذلك مما حواه القرآن، بينما نجد كلام البليغ الكامل، والشاعر المفلق، والخطيب المصقع يختلف باختلاف الأغراض؛ فمنهم من يجيد في الوصف دون الغزل، ومن يحسن إذا رغب، والآخر إذا طرب، وغيرهما إذا ركب. أما نظم القرآن فلا انحطاط في جميع ما يتصرَّف فيه عن المنزلة العليا، ولا إسفاف فيه على المرتبة الدنيا"[٢].

"والإتيان بمثل القرآن لم يكن قط في قدرة أحد من المخلوقين، ويظهر لك قصور البشر في أن الفصيح منهم يصنع خطبة أو قصيدة يستفرغ فيها جهده، ثم لا يزال ينقِّحها حولاً كاملاً، ثم

---

(١) بيان إعجاز القرآن لأبي سليمان حمد بن إبراهيم الخطابي، تحقيق: مجدي فتحي السيد، دار الصحابة للتراث، طنطا، مصر، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٧م. (ص ٥٧).

(٢) إعجاز القرآن، لأبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني، تحقيق: أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة (٣٦/١)، وانظر: من بلاغة القرآن الكريم، تأليف: أحمد أحمد بدوي، دار نهضة مصر للطبع والنشر، الفجالة – القاهرة. (ص ٤٨).

تُعْطَى لآخر نظيره، فيأخذها بقريحة جامَّة (مستريحة)، فيبدِّل فيها وينقِّح، ثم لا تزال كذلك فيها مواضع للنظر والبدل"[1].

"وقد اشتمل القرآن الكريم على كافة أنواع أساليب الكلام العربي، بل وابتكر أساليب لم يكونوا يعرفونها، وإن لذلك التنويع حكمًا كثيرة، منها: أن يكون في ذلك زيادة التحدِّي للمتحدِّين به، بحيث لا يستطيع أحد أن يقول إنَّ هذا الأسلوب لم تسبق لي معالجته، ولو جاءنا بأسلوب آخر لعارضته.

ومن أعظم الأساليب التي خالف بها القرآن أساليب العرب أنه جاء في نظمه بأسلوب جامع بين مقصديه، وهما: مقصد الموعظة، ومقصد التشريع، فكان نظمه يمنح بظاهره السامعين ما يحتاجون أن يعلموه، وهو في هذا النوع يشبه خطبهم، وكان في مطاوي معانيه ما يستخرج منه العالِم الخبير أحكامًا كثيرة في التشريع والآداب وغيرها، وقد قال تعالى في الكلام على بعضه: (وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم)، هذا من حيث ما لمعانيه من العموم، والإيماء إلى العلل والمقاصد وغيرها.

ومن أساليبه التفنُّن، وهو بداعة تنقلاته من فن إلى فن بطرائق الاعتراض والتنظير والتذييل، والإتيان بالمترادفات عند التكرير تجنبًا لثقل تكرير الكلم، وكذلك الإكثار من أسلوب الالتفات المعدود من أعظم أساليب التفنُّن عند بلغاء العربية، فهو في القرآن كثير، ثم الرجوع إلى المقصود، فيكون السامعون في نشاط متجدِّد بسماعه وإقبالهم عليه، بحيث كان أكثر أساليب القرآن من الأساليب البديعة العزيز مثلها في شعر العرب، وفي نثر بلغائهم من الخطباء وأصحاب بدائه الأجوبة"[2].

---

(١) المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية الأندلسي، تحقيق: المجلس العلمي بفاس، مطابع فضالة المغرب، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م. (٣٩/١).

(٢) التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس. (١١٦/١/١).

فالمتأمّل في أساليب القرآن يدرك تمامًا ويحس بتلاؤم الكلام فيه، ومدى تأثيره في النفس، هذا التأثير الذي بسببه ينتج التفاعل والتجاوب من قِبَل النفس، ومن المؤكد أن هذا التلاؤم وراءه اختيار دقيق لألفاظ القرآن، لتدل على معانيها بدقَّة وإحكام.. وهذا ما عناه الخطابقي عندما قال:

"إنَّ الكلام يقوم بثلاثة أشياء: لفظ حامل، ومعنى به قائم، ورباط لهما ناظم، وقد حاز القرآن في هذه الثلاثة معًا غاية الشرف والفضيلة: ففيه أفصح الألفاظ وأعذبها وأجزلها، وأحسن التأليف، وخير المعاني"(١).

والقرآن الكريم جامع لكافة العناصر الجمالية والأسلوبية والأدبيَّة، حيث إن عناصر الجمال الأدبي في الكلام الإتقان في إبراز دقائق الصورة، ماديّةً كانت أو غير مادّية، وذلك لدى رسمها في الصورة الكلاميّة، مع استيفاء العناصر اللازمة لإبراز الحقيقة بشكل جميل وواضح.

"ويزيد الصورة جمالاً تركُ جوانب فيها يُتَابعها الفكر وحده، ويستكملها الخيال بنفسه، مع إيجاد المنافذ أو الإشارات التي يُمْكِنُ الانطلاق منها إلى هذه الجوانب المتروكة، كالرمز، والإشارة الخفيّة، وما يستتبعه الكلام باللزوم الذهني، وغير ذلك.

ونلاحظ هذا العنصر الجمالي في قول الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ۝٣٩ أَوۡ كَظُلُمَٰتٖ فِي بَحۡرٖ لُّجِّيّٖ يَغۡشَىٰهُ مَوۡجٞ مِّن فَوۡقِهِۦ مَوۡجٞ مِّن فَوۡقِهِۦ سَحَابٞۚ ظُلُمَٰتُۢ بَعۡضُهَا فَوۡقَ بَعۡضٍ إِذَآ أَخۡرَجَ يَدَهُۥ لَمۡ يَكَدۡ يَرَىٰهَاۗ وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورٗا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾(٢).

---

(١) بيان إعجاز القرآن (ص ٢١).

(٢) النور (٣٩- ٤٠).

ألسنا نلاحظ في هذه الأمثلة الثلاثة إتقانًا عجيبًا في إبراز دقائق الصورة، مع استيفاء العناصر اللازمة لإبراز الحقيقة بشكل واضح وجميل، ومع ترك جوانب في الصورة يتابعها الفكر وحْدُه، ويستكملها الخيال بنفسه.

فالصورة في المثال الأوّل قدَّمت أعمال الكافرين على شكل سراب، يراه الظمآن السائر في الصحراء -وهو بعيد عنه- ماءً، فيسعى إليه ليشرب من مائه، ويطفئ ظمأه، حتى إذا جاءه لم يجده شيئًا، لأنَّه كان انعكاس أشعة تُخيِّل للناظر إليه من بُعد أنّه ماء.

وكذلك حال الكافر الذي يقدِّم أعمالاً يَظُنُّ أنّها تسعده في دنياه، أو تنفعه في آخرته، وما هي في الحقيقة إلاَّ بمثابة سراب، وهو إذا وصل إلى موطن المحاسبة والجزاء على الأعمال لم يجد أعماله شيئًا، لأنّها لم تكن ثمرة إيمان بالله واليوم الآخر، بل وجد الله عنده هو الذي له الحكم والأمر، وبيده الحساب والجزاء، فوفّاه حسابه بعدله وحكمته، فحاسبه على كفره، فسقط بالمحاسبة على الكفر كلُّ عمل صالح كان قد عمله، لأنّه لم يكن قائمًا على أساس مقبول عند الله.

والصورة في المثال الثاني صوّرت الحالة النفسيَّة والفكريَّة والقلبيَّة للّذين كفروا، بعد أن تركوا نور الهداية الربّانيّة، بحالة من هو في ظلمات قاع بحر عميق، فوقه أمواج في العمق تزيد الظلمة، فوقها أمواج في السطح تضاعف الظلمة، فوقها سحاب يزيد الظلام ظلامًا، ظلمات بعضها فوق بعض، إذا أخرج يده لم يقارب رؤيتها لشدّة الظلمة. ومن كان كذلك فلا بدّ أن يسلك مسالك المهالك"(١).

"وكذلك حال الذين كفروا في أعمالهم، وفي تحديد الغاية من أعمالهم، وفيما يقرّرون من أسباب لذلك. إنَّهم يطلبون سعادتهم في الظلمات، فقلوبهم مظلمة بالكفر، ونفوسهم تائهة في

(١) البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، تأليف: عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم، دمشق، سوريا. الطبعة الأولى ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م. (٩٨- ٩٩).

بحر لُجيّ من ظلمات الأهواء والشهوات، وأفكارهم تسبح في ظلمات أسباب لذّات الحياة الدنيا، وإراداتُهم تتخبّط تحت كلّ هذه الظلمات.

فكم من هذه الأمثلة من إتقان في إبراز دقائق الصورة، مع استيفاء العناصر اللاّزمة لإبراز الحقيقة بشكل واضح وجميل، ومع ترك جوانب منها يستطيع الخيال أن يستكملها بنفسه دون عناء"(١).

"وانظر إلى قوله تعالى: ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ﴾(٢) وتأمل صيغة الماضي (فكُبَّت)، والناس لا يزالون أحياء، وفيه -كما ترى- تهديد بالغ، ثم تأمل البناء للمجهول، وكيف دلَّ على الحركة الخاطفة السريعة التي فجأتهم، فلم يدروا من أين أتت، ثم إن المجهول في هذا الموقف المخيف يثير خيالات كثيرة.. فالقرآن الكريم يعرض كثيرًا من مشاهد القيامة في صور الماضي وكأنها أحداث قد وقعت، وذلك ليؤكد كينونتها، وأن زمن الدنيا في حساب الحق كأنه زمن قد انتهى ليواجه بهذا الأسلوب الحاسم دواعي الانصراف من أمر القيامة" (٣).

"فترك بعض الجوانب في الصورة ليستكملها الخيال، ويتابعها الفكر فيه من البلاغة والبراعة ما لا يخفى، فسكوت المتكلِّم البليغ في جملة سكوتًا خفيفًا قد يفيد من التشويق إلى ما يأتي بعده ما يفيده إبهام بعض كلامه ثم تعقيبه ببيانه، فإذا كان من مواقع البلاغة نحو الإتيان بلفظ الاستئناف البياني، فإن السكوت عند كلمة وتعقيبها بما بعدها يجعل ما بعدها بمنزلة الاستئناف البياني وإن لم يكنه عينه، مثاله قوله تعالى: ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ إِذۡ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوًى﴾(٤). فإنَّ الوقف على قوله (موسى) يُحْدِث في نفس السامع ترقبًا لما يبين حديث موسى، فإذا جاء بعده (إذ ناداه ربه... الخ) حصل البيان مع ما يحصل عند الوقف على كلمة موسى من قرينة من قرائن الكلام؛ لأنه على سجعة الألف مثل قوله (طوى طغى تزكى) الخ.."(٥).

---

(١) المصدر السابق (ص ٩٩).

(٢) النمل (٩٠).

(٣) خصائص التراكيب، للدكتور محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الخامسة ١٤٢١هـ. ٢٠٠٠م. (ص ٢٦٦).

(٤) النازعات (١٥- ١٦).

(٥) التحرير والتنوير (١١٧/١/١).

"فألفاظ القرآن كيفما أدرتها وتأمّلتها فإنّك لا تصيب لها في نفسك ما دون اللذة الحاضرة، والحلاوة البادية، والانسجام العذب، فأنت ما دمتَ في القرآن حتى تفرغ منه، لا ترى غير صورة واحدة من الكمال، وإن اختلفت أجزاؤها في جهات التركيب، وموضع التأليف، وألوان التصوير، وأغراض الكلام"(١).

كما أن قمّة البلاغة، وغاية الفصاحة نجدها متمثلة في إيراد الكلام بالقدر الذي يناسب المقام الذي قِيل فيه، وصِيغ إليه، فهناك وضع يقبل الإيجاز ويفسده الإطناب، كما أن من المواضع ما لا يحسن فيها إلا الإيجاز، بحيث لو أُطنِب فيها لصار الكلام خاليًا من حسن البلاغة، ورونق الفصاحة..

"وقد سلك القرآن مسلك الإطناب لأغراض من البلاغة، ومن أهم مقامات الإطناب مقام توصيف الأحوال التي يراد بتفصيل وصفها إدخال الروع في قلب السامع، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنْۜ رَاقٍ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ﴾(٢) وقوله: ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ﴾(٣) وقوله: ﴿مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ﴾(٤) فلهذه الألفاظ مزايا عديدة من الحسن ما كانت ستّتسم بها لو غُيِّرت لفظة مكان أخرى، أو جاءت هذه الجمل في غير هذا الأسلوب الذي هي عليه.."(٥).

---

(١) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، تأليف: مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي بيروت، لبنان. الطبعة التاسعة ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م. (ص ٢٤١).

(٢) القيامة (٢٦- ٢٩).

(٣) الواقعة (٨٣- ٨٤).

(٤) إبراهيم (٤٣).

(٥) التحرير والتنوير (١٢٣/١/١).

"ومن المعلوم أن الكلام لا يختص بمزيّة من الحسن حتى تتصف ألفاظه ومعانيه بوصفين هما: الفصاحة والبلاغة، فثبت بهذا أن النظر إنما هو في هذين الوصفين اللذين هما الأصل في المفاضلة بين الألفاظ والمعاني على اتفاقهما واختلافهما"[(١)].

"وهل تجد أحدًا يقول: هذه اللفظة فصيحة إلاَّ وهو يعتبر مكانَها من النظم، وحسنَ ملاءمة معناها لمعنى جاراتها، وفضلَ مؤانستها لأخواتها، وهل قالوا: لفظةٌ متمكِّنةٌ ومقبولة، وفي خلافه: قلقة، ونابية، ومستكرهة، إلا وغرضهم أن يُعبِّروا بالتمكُّن عن حسن الاتفاق بين هذه وتلك من جهة معناهما، وبالقلق والنبو عن سوء التلاؤم. وأنَّ الأولى لم تَلِقْ بالثانية في معناها، وأن السابقة لم تصلح أن تكون لِفقًا للتالية في مُؤدَّاها..

وهل تشكُّ إذا فكرت في قوله تعالى:﴿وَقِيلَ يَـٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَـٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾[(٢)] فتجلَّى لك منها الإعجاز، وبَهَرك الذي ترى وتسمع أنك لم تجد ما وجدت من المزيَّة الظاهرة، والفضيلة القاهرة إلا لأمر يرجع إلى ارتباط هذه الكَلِم بعضها ببعض، وأنها لم يعرض لها الحسن والشرف إلاّ من حيث لاقت الأولى بالثانية، والثالثة بالرابعة، وهكذا إلى أن تستقرِيَها إلى آخرها، وأنَّ الفضل تَنَاتَجَ ما بينها، وحصل من مجموعها..

إن شككتَ فتأمَّلْ هل ترى لفظةً منها بحيث لو أُخِذت من بين أخواتها وأُفردت لأَدَّت من الفصاحة ما تؤدِّيه وهي في مكانها من الآية؟! قُل: "ابلعي"، واعتبرها وحدها من غير أن تنظر إلى ما قبلها، وإلى ما بعدها، وكذلك فاعتبر سائر ما يليها، وكيف بالشكِّ في ذلك، ومعلوم أنَّ مبدأ العظمة في أن نُودِيت الأرض، ثم أُمِرت، ثم في أن كان النداء بـ " يا " دون " أي " نحو : يا أيتها الأرضُ، ثم إضافة الماء إلى الكاف دون أن يقال : ابلعي الماء، ثم أن أُتبع نداءُ الأرض وأمرُها بما

(١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لأبي الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد المعروف بابن الأثير ، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد. المكتبة العصرية للطباعة والنشر – بيروت – ١٩٩٥م (٣٧٦/٢).

(٢) هود (٤٤).

هو من شأنها، ونداءُ السماء وأمرُها كذلك بما يخصُّها، ثم أن قيل: وغيض الماء، فجاء الفعل على صيغة "فُعِلَ" الدالَّة على أنَّه لم يَغِضْ إلاّ بأمر آمر، وقدرة قادر، ثم تأكيد ذلك وتقريره بقوله تعالى: (قُضِيَ الأمرُ)، ثم ذكر ما هو فائدة هذه الأمور، وهو (استوت على الجودي)، ثم إضمار السفينة قبل الذكر كما هو شرط الفخامة والدَّلالة على عِظَمِ الشأن، ثم مقابلة " قيل " في الخاتمة بـ "قيل" في الفاتحة.. أَفَتَرى لشيء من هذه الخصائص -التي تملؤك بالإعجاز روعةً، وتحضُرُك عند تصورها هيبةٌ تحيط بالنفس من أقطارها- تعلقًا باللفظ من حيث هو صوتٌ مسموعٌ، وحروفٌ تتوالى في النُّطق، أم كلُّ ذلك لما بين معاني الألفاظ من الاتِّساق العجيب؟!"(١).

"فأسلوب القرآن يتأنق في اختيار ألفاظه، ولما بين الألفاظ من فروق دقيقة قي دلالتها، يستخدم كلاًّ حيث يؤدي معناه في دقَّة فائقة، تكاد بها تؤمن بأن هذا المكان كأنما خُلِقت له تلك الكلمة بعينها، وأن كلمة أخرى لا تستطيع توفية المعنى الذي وفت به أختها، فكل لفظة وضعت لتؤدي نصيبها من المعنى أقوى أداء، ولذلك لا تجد في القرآن ترادفًا، بل فيه كل كلمة تحمل إليك معنى جديدًا.. ولما بين الكلمات من فروق، ولما يبعثه بعضها في النفس من إيحاءات خاصة دعا القرآن ألا يستخدم لفظ مكان آخر، فقال: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ﴾(٢) فهو لا يرى التهاون في استعمال اللفظ، ولكنه يرى التدقيق فيه ليدل على الحقيقة من غير لبس ولا تمويه"(٣).

"وبهذا اتَّضح لنا اتّضاحًا لا يدع للشكِّ مجالاً أنَّ الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجرَّدة، ولا من حيث هي كَلِم مفردة، وأنَّ الألفاظ تثبت لها الفضيلة وخلافها في ملاءمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها، أو ما أشبه ذلك مما لا تعلُّق له بصريح اللفظ من الرَّوح والخفَّة والإيناس والبهجة" (٤).

---

(١) دلائل الإعجاز، تأليف الإمام عبد القاهر الجرجاني، قرأه وعلَّق عليه: محمود محمد شاكر، دار المدني بجدة، الطبعة الثالثة ١٤١٣هـ، ١٩٩٢م (٥٣/١).

(٢) الحجرات (١٤).

(٢) من بلاغة القرآن (٥١).

(٤) دلائل الإعجاز (٥٤/١).

"والصحيح أن كتاب الله لو نُزِعت منه لفظة، ثُمَّ أُدير لسان العرب في أن يوجد أحسن منها لم يوجد. ونحن تبيَّنُ لنا البراعة في أكثره، ويخفى علينا وجهها في مواضع لقصورنا عن مرتبة العرب يومئذٍ في سلامة الذوق، وجودة القريحة، ومَيْز الكلام"(١).

ويعتبر هذا التمهيد مدخلاً للوصول إلى جهود الألوسي البلاغية من خلال الآيات القرآنية التي قام الألوسي بتفسيرها، ووقف عندها شارحًا وموضحًا مواطن البلاغة والإعجاز القرآني فيها..

---

(١) المحرر الوجيز (٣٩/١).

الفصل الأول

التعريف بالألوسي

وفيه ثلاثة مباحث.

المبحث الأول: حياته، وفيه ستة مطالب.

المبحث الثاني: لمحة عن عصر الألوسي، وفيه مطلبان:

المبحث الثالث: عقيدة الألوسي ومذهبه ووفاته، وفيه ثلاثة مطالب.

المبحث الأول

حياته

وفيه ستة مطالب:

المطلـــــــب الأول: نَسَب الألوسي.

المطلـــب الثـــاني: المولد والنشأة.

المطلـــب الثالـــث: بعض شيوخه.

المطلـــب الرابـــع: بعض تلامذته.

المطلـــب الخـــامس: آثاره العلمية.

المطلـــب الســـادس: مكانته العلمية.

المطلب الأول

نَسَب الألوسي

"هو أبو الثناء شهاب الدين، محمود بن عبد الله بن محمود بن درويش بن عاشور(١)، ينتهي نسبه إلى الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه"(٢).

وأما نسبته: فقد اختُلِف فيها:

فالألوسي: "قيل نسبة إلى (أَلُوس) (٣) بالقصر –وهو ما رجَّحه محمد بهجة الأثري(٤)(٥) وهي قرية في الفرات، قرب عانات، وقيل نسبة ألى (أُلُوس)(٦) بضم الألف واللام.

وقيل نسبة إل (آلوسة)(٧) بالمد وضم اللام وسكون الواو بعده سين مهملة مفتوحة، وقيل غير ذلك"(٨).

---

(١) لمزيد من الإفادة تراجع ترجمته في المصادر التالية: غرائب الاغتراب ونزهة الألباب، لأبي الثناء شهاب الدين محمود الألوسي الحسيني البغدادي، مطبعة الشابندر، بغداد. ١٣٢٧هـ. (ص ١١)، أعلام العراق، لمحمد بهجة الأثري، المطبعة السلفية بمصر. ١٣٤٥هـ. (ص ٢١)، محمود شكري الألوسي وآراؤه اللغوية، لمحمد بهجة الأثري، المطبعة الكاملية، مصر. ١٩٨٥م. (ص ٣٢–٣٦)، النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين، تأليف محمد رجب البيومي، طبعة دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى. ١٤١٥هـ. (٣٣/٢–٤٧).

(٢) تاريخ بغداد، لأبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت. (٥٤/٣)، والأعلام، للزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثامنة، ١٩٨٩م. (٢٧١/٦).

(٣) قال الزبيدي: "وألوس كصبور، اسم رجل سميت به بلدة على الفرات قرب عانات".

انظر: تاج العروس من جواهر القاموس، تأليف: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، الزَّبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية للنشر. مادة "ألَس"، ومعجم البلدان، لأبي عبد الله ياقوت الحموي، تقديم: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م. (١٩٨/١).

(٤) هو محمد بهجة بن محمود بن عبد القادر بن أحمد آغا، ولد سنة (١٣٢٠هـ) وربي على حب العلم والمعرفة من صغره، وتتلمذ على محمود شكري الألوسي المتوفى سنة (١٣٤٢هـ)، له مؤلفات كثيرة وتحقيقات منها "أعلام العراق" وقد نال عدة أوسمة من عدة دول عربية، وحاز على جائزة الملك فيصل العلمية في اللغة والآداب: مات سنة (١٤١٧هـ). انظر: أعلام العراق (ص ٦٣).

(٥) انظر: أعلام العراق (ص ٧) لتقف على ترجيح الأثري.

(٦) انظر: اللباب في تهذيب الأنساب، لعز الدين ابن الأثير الجزري، طبعة دار صادر، بيروت، ١٤٠٠هـ. (٨٢/١–٨٣).

(٧) انظر تاج العروس (٩٨/٤)، ومعجم البلدان (٧٥/١).

(٨) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لابن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت. (٣٥٠/٥) ترجمة رقم (٧٥٣)، والدرُّ المنتثر في رجال القرن الثاني عشر والثالث عشر، تأليف: علي علاء الدين الألوسي، تحقيق: جمال الدين الألوسي، وعبد الله الجبوري، وزارة الثقافة والإرشاد، بغداد. ١٣٨٧هـ – ١٩٦٧م.(ص ١٢).

المطلب الثاني

المولد والنشأة

"في أسرة من الأسر العلميَّة العريقة، وفي جانب الكرخ من مدينة السلام جاء أبو الثناء من دار الأرحام، إلى دار الغرور والفتن والآلام، كان ذلك قبيل صلاة الجمعة الرابع عشر من شعبان، سنة سبع عشرة بعد المائتين والألف من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأتم السلام"[(١)].

وبما أنه وُلِد في أحضان أسرة علميَّة، فإنه وجد العناية الفائقة منذ صغره، مما كان له الأثر الحسن على حياته العلميَّة في مستقبله.

فقبل أن يبلغ سبع سنين وهو مشتغل بحفظ القرآن حفظ أيضًا متن الآجرومية، وألفية ابن مالك، والمنظومة الرحبية في الفرائض، وقرأ غاية الاختصار في فقه الشافعية، وقبل سن العاشرة استوفى الغرض من علم العربية، وقرأ طرفًا جليلاً من فقهي الشافعية والحنفية، وبعض المسائل المنطقية، والكتب الحديثية.

ولما تجاوز العاشرة من عمره، أذن له والده في الأخد من علماء عصره ومصره، فأخذ عن جماعة منهم وخاصة الكبراء، ولازم بعضهم أكثر من عشر سنين، ولما بلغ الخامسة والعشرين أجازه أكبر مشايخه، وهو الشيخ علاء الدين على أفندي الموصلي[(٢)] في يوم مشهود اجتمع فيه جميع الفضلاء والأجلاء، وعلى إثر ذلك مباشرة باشر التدريس، ورُفِع ذكره وذاع صيته، رغم أنف كل حسود وخسيس، إذ كل ذي نعمة محسود[(٣)].

---

(١) غرائب الاغتراب (ص ٣)، المسك الأذفر في نشر مزايا القرن الثاني عشر والثالث عشر، لأبي المعالي الألوسي، تحقيق: عبد الله الجبوري، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م. (ص٨٢- ٨٣)، أعلام العراق (١-٢٢)، الألوسي مفسراً، تأليف محسن عبد الحميد، مطبعة المعارف، بغداد، الطبعة الأولى، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م. (ص٤١).

(٢) ستأتي ترجمته عند الحديث عن مشايخ الألوسي .

(٣) انظر الكلام على نشأته في: غرائب الاغتراب (ص ٤)، أعلام العراق (ص ٢٢)، الألوسي مفسراً (ص٤٢).

المطلب الثالث
بعض شيوخه

كان أبو الثناء الألوسي موسوعة علميَّة كبيرة، إذا تكلَّم في علم من العلوم تظن أنه متخصِّص فيه ولم يدرس غيره، ورجل كهذا لابد وأن تتعدَّد مشاربه، ويكثر مشايخه، وهؤلاء المشايخ منهم من درس عليهم، وأخذ عنهم، ومنهم من استجازهم فأجازوه. وأنا هنا سأقتصر على المشهورين منهم:

١– الملا حسين الجبوري، تلقَّى عنه القرآن العظيم(١).

٢– والده عبد الله بن محمود الألوسي، أخذ عنه النحو، والفرائض، والفقه الشافعي(٢).

٣– علاء الدين على الموصلي(٣)، لازمه أربع عشرة سنة حتى تخرج به وأجازه.

٤– عبد الله العمري(٤)، أخذ عنه قراءة نافع، وابن كثير المكِّي، وأبي عمرو البصري.

٥– عبد العزيز أفندي شواف زاده(٥) قرأ عليه في عمل الوضع والبحث والمناظرة، والفرائض وغير ذلك.

---

(١) كان رجلاً تقيًا صالحًا، وكان مقيماً في مسجد سوق حمادة، انظر: غرائب الاغتراب (ص٣)، والألوسي مفسراً (ص٥٥).

(٢) هو صلاح الدين عبد الله بن محمود بن درويش الألوسي، قال فيه الألوسي: "ما رأته عيون الأسحار إلا قائمًا، وما أبصرته مواسم الأبرار إلا صائماً" مات بالطاعون سنة (١٢٤٦هـ).

انظر: غرائب الاغتراب (ص ١١)، المسك الأذفر (ص٦١–٦٤)، أعلام العراق (ص١١–١٢).

(٣) هو علاء الدين علي بن صلاح الدين يوسف بن رمضان الموصلي الحنفي، قال فيه الألوسي: "واحد العلماء وأوحد الفضلاء، الضارب في كل فن بسهم، والقارع صفاة كل قريعة وفهم.. والحق أنّه كان في كل علم آية الله تعالى الكبرى..إلخ" (ت١٢٤٣هـ).

انظر: غرائب الاغتراب (ص٥)، المسك الأذفر (ص١٩٧–٢٠٠)، معجم المؤلفين (تراجم مصنفي الكتب العربية)، تأليف: عمر رضا كحالة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان. (٢٦٥/٧).

(٤) هو عبد الله محمد بن عبد الله العمري الموصلي من ذرية عمر بن الخطاب ﷺ، ولد في الموصل (١٢٠٨هـ) قال فيه الألوسي: "إليه انتهت رياسة العلماء" (ت١٢٩٧هـ). غرائب الاغتراب (ص ٢٥)، المسك الأذفر (ص٢٥)، نشوة الشَّمول في السفر إلى إسلامبول، تأليف أبي الثناء الألوسي، مطبعة الولاية، بغداد. ١٢٩٣م. (ص٧)، الألوسي مفسراً (ص٥٩).

(٥) كان متضلعاً في علم العربية، قال فيه الألوسي: "لا يأنف من قول لا أدري، ويجري مع الحق حيث يجري، وما رأيته غلط في جواب، بل كان يسكت أو ينطق بصواب" (ت ١٢٤٦هـ). المسك الأذفر (ص٣٥٥).

٦- علي بن أحمد[١] ابن عم أبي الثناء الألوسي. قرأ عليه شرح القوشجي للرسالة الوضعية العضدية.

٧- الملا درويش بن عرب حضر[٢]، قرأ عليه شرح آداب البحث المسمَّى بالحنفية.

٨- محمد أمين بن علي الحلي[٣]، درس عليه شرح الوضعية لعصام.

٩- علي بن محمد سعيد بن عبد الله السويدي[٤]، قرأ عليه شرح النخبة لابن حجر، وأخذ منه إجازة.

١٠- ضياء الدين خالد النقشبندي[٥]، قرأ عليه مسألة الصفات، وأخذ عنه الطريقة النقشبندية.

١١- يحي المزوري العمادي[٦]، أجاز الألوسي بما تجوز له روايته، وصحَّت لديه درايته.

١٢- عبد الرحمن الكزبري[٧]، أجاز أبا الثناء الألوسي.

---

(١) قال فيه الألوسي: "وهو رجل في بيتنا ربَا، ولم يعرف غير أبي أبا، وأقرأه معظم العلوم النقليّة، وطرفًا يسيرًا من العلوم العقلية"، انظر: غرائب الاغتراب (ص ٣٤).

(٢) انظر: غرائب الاغتراب (ص ٣٦)، وذكرى أبي الثناء الألوسي، تأليف: عباس العزاوي، شركة التجارة والطباعة، بغداد. ١٣٧٧هـ. (ص١٣).

(٣) كان مفتي الحلة، قال فيه الألوسي: "وكان رب فصاحة وبيان، يخيل منه إذا نطق أن كلا من أعضائه لسان" (ت١٢٤٦هـ) المسك الأذفر (ص٢٩١).

(٤) هو أبو المعالي، قال فيه الألوسي: "وبالجملة كان ذلك الشيخ من كبار المتبعين، وحاشاه ثم حاشاه أن يكون من المبتدعين، وكان لأهل السنة برهاناً، وللعلماء المحدثين سلطاناً، ما رأيت أكثر منه حفظاً، ولا أعذب منه لفظاً" (ت١٣٣٧هـ) من مؤلفاته "العقد الثمين في مسائل الدين". انظر المسك الأذفر (ص ٢١٠).

(٥) هو خالد بن أحمد بن حسين النقشبندي، ضياء الدين أبو البهاء، ولد سنة ١١٩٠هـ درس في العراق على مشايخ كثيرين، وتولى التدريس، ثم سافر إلى الهند وبها صار نقشبندياً، ثم رجع إلى العراق ونشر طريقته، وله بعض المؤلفات، توفي بدمشق سنة (١٢٤٢هـ). انظر حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، تأليف: محمد بهجة البيطار، من مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، سنة ١٣٨٣هـ. (٥٧٠/١).

(٦) هو يحي بن خالد المزوري العمادي الشافعي البغدادي، قال فيه الألوسي: "إمام علامة أشهر من أن ينبه عليه، وأجل من أن يعرف بالإشارة إليه.. كان -عليه الرحمة- للعلماء جمالاً، لكن إذا رأيته حسبته -لعدم اعتنائه بنفسه- حمّالاً" (ت١٢٥٥هـ).
انظر: المسك الأذفر (ص٢٠٠) .

(٧) هو أبو المحاسن، وجيه الدين عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن الكزبري، محدث دمشق، وُلِد فيها سنة ١١٨٤هـ، أخذ عن العطار، (ت١٢٦٢هـ) بمكة المكرمة.
انظر: حلية البشر (١٦٥/١)، الأعلام (٣٣٣/٣).

١٣- عبد اللطيف بن علي مفتي بيروت[1]، أجاز الألوسي.

١٤- حسين الداغستاني[2] أجاز الألوسي.

١٥- أحمد عارف حكمت[3] أجاز الألوسي بجميع مروياته، وأجازه الألوسي أيضًا.

---

(١) هو عبد اللطيف بن المفتي الشيخ علي فتح الله البيروتي الحنفي، تولى الإفتاء ببيروت مدة تزيد على عشر سنين، ثم رحل إلى دمشق وبها مات سنة بضع وخمسين ومائتين وألف.

انظر: فهرس الفهارس والأثبات، للكتاني عبد الحي بن عبد الكبير، باعتناء إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعى الثانية، ١٤٠٢هـ- ١٩٩٢م. (٢/٧٥٣-٧٥٤).

(٢) هو حسين أفندي الداغستاني قال فيه الألوسي: "قد رأيته أنا ذا اطلاع تام على دقائق المعقول، ومشاركة كاملة في حقائق المنقول".

انظر: غرائب الاغتراب (ص ٨٧).

(٣) هو أحمد عارف حكمت بن إبراهيم بن عصمت بن إسماعيل، شهاب الدين، ينتهي نسبه إلى الحسين بن علي رضي الله عنهما، تولى القضاء في القدس ثم مصر ثم المدينة النبوية، وأخيراً تقلد منصب شيخ الإسلام في الآستانة أي مفتي عام الدولة التركية، ثم أقيل منه بعد ثمان سنوات فانقطع للعبادة والقراءة، واشتهر بخزانة كتب عظيمة في المدينة النبوية تعرف باسمه إلى اليوم، توفي بالآستانة سنة (١٢٧٥هـ)، وقد أفرده الألوسي بكتاب في ترجمته سماه "شهي النغم في ترجمة شيخ الإسلام عارف الحكم" وهو مطبوع.

المطلب الرابع
بعض تلامذته

إن رجلاً باشر التدريس غير الرسمي قبل أن يبلغ الحُلم، وقبل أن يجاز، ثم لما أجيز وهو في الرابعة والعشرين من عمره، عُيِّن في اليوم نفسه مدرِّسًا في إحدى المدارس، ثم درَّس في مدارس أخرى كثيرة وشهيرة، وبقي في صعود إلى أن تولَّى منصب الإفتاء، واشتهر ذكره وذاع صيته في الآفاق، بعد أن عُرِف أولاً في العراق، وأصبح يُقْصَد بالأسئلة العويصة، من بلاد نائية وبعيدة، رجل كهذا لا بد وأن تشد إليه الرحال من قبل العشرات من طلبة العلم، ناهيك عن أهل بلده، الذين لا يختارون غيره، إذًا لن نكون مبالغين إذا ادعينا أن تلامذته يعدون بالمئات إن لم نقل بالألوف(١)، قال الكتاني(٢): "وأخذ عنه هو كثيرون"(٣)، وإليك بعضهم على سبيل الاختصار.

١- عبد الرحمن بن عبد الله بن محمود الألوسي، أخو أبي الثناء(٤).

٢- عبد الحميد(٥) بن عبد الله بن محمد الألوسي، أخو الألوسي.

٣- ابنه عبد الله(٦).

---

(١) قال في المسك الأذفر (ص٦٧) : "واشتغل عليه خلق كثير من قاص ودان، وتخرج عليه جماعة من الأفاضل الأعيان، وقصدته الطلبة من سائر الأرجاء، وتهافتوا عليه ولا تهافت الظمآن على الماء".

(٢) هو محمد عبد الحي بن عبد الكبير بن محمد الحسني الإدريسي المعروف بعبد الحي الكتاني، ولد وتعلَّم بفاس بالمغرب، عالم بالحديث ورجاله، له مؤلفات كثيرة منها "فهرس الفهارس (ت١٣٨٢هـ). الأعلام (١٨٧/٦).

(٣) فهرس الفهارس (١٤٠/١).

(٤) كان رحمه الله مشهوراً بالوعظ والخطابة، ديدنه نصح المسلمين، ولد سنة (١٢٢٤هـ)، ومات سنة (١٢٨٣هـ). انظر: المسك الأذفر (ص٨٥)، أعلام العراق (ص١٢).

(٥) وُلِد سنة ١٢٣٢هـ وأصيب بالعمى في عامه الأول بسبب الجدري، وحفظ القرآن لست، وأخذ عن والده وأخيه، وكان شاعراً حسن الأسلوب (ت١٣٢٤هـ).
انظر: أعلام العراق (ص١٤)، والأعلام (٢٨٨/٣).

(٦) هو أبو السعود بهاء الدين عبد الله بن محمود بن عبد الله الألوسي، وُلِد (سنة ١٢٤٨) اشتغل بالتدريس فتخرج عليه جماعة من الطلبة (ت١٢٩١هـ). المسك الأذفر (ص٨٩)، الأعلام (١٣٦/٤)، أعلام العراق (ص٤٤).

٤- ابنه عبد الباقي[١].

٥- ابنه نعمان خير الدين أبو البركات[٢].

٦- عبد الغفار الأخرس[٣].

٧-٨- عبد السلام الشواف[٤]. وأخوه عبد الفتاح الشواف[٥].

٩- محمد سعيد أفندي[٦].

١٠- محمد أمين بن محمد الأدهمي، الشهير بالواعظ[٧].

١١- محمد بن حسين آل عبد اللطيف[٨].

---

(١) هو سعد الدين عبد الباقي بن محمود بن عبد الله الألوسي، ولد سنة (١٢٥٠هـ) أخذ عن والده، ثم عن البندنيجي، وتولى القضاء (توفي ١٢٩٨هـ) انظر: المسك الأذفر (ص١٠٥)، الأعلام (٢٧٢/٣).

(٢) أبو البركات خير الدين، نعمان بن محمود بن عبد الله الألوسي، ولد سنة ١٢٥٢هـ وأخذ عن والده وعن الواعظ، وتولى القضاء ثم تركه، واشتغل بالوعظ والتدريس، أخذ عنه ابنه ثابت، وابن أخيه محمود شكري الألوسي صاحب "غاية الأماني". من أعظم آثاره "جلاء العينين في محاكمة الأحمدين" (ت١٣١٧هـ).

انظر: المسك الأذفر (ص١١٠)، حلية البشر (١٥٧١/٣) .

(٣) هو الشاعر المشهور عبد الغفار بن عبد الرحمن بن وهب، قيل له الأخرس؛ لتلعثم بلسانه. ولد سنة (١٢٢٠هـ) بالموصل ونشأ ببغداد، قرأ "كتاب سيبويه" على أبي الثناء الألوسي، وبز أقرانه في الشعر، وقد جُمع شعره في ديوان بعنوان "الطراز الأنفس في شعر الأخرس" (توفي١٢٩١هـ بالبصرة).

انظر: المسك الأذفر (ص١٩١)، الدر المنتثر (ص١٠٩)، الأعلام (٣١/٤).

(٤) هو عبد السلام بن سعيد الكبيس البغدادي شواف زاده، ولد سنة ١٢٣٦هـ أخذ عن الألوسي، وعنه علي بن نعمان خير الدين (توفي ١٣١٨هـ).

انظر: المسك الأذفر (ص ٢٠٤).

(٥) مات سنة (١٢٦٢هـ) قبل بلوغه الثلاثين، من مصنفاته "حديقة الورود في مدح أبي الثناء محمود".

انظر: المسك الأذفر (ص٢٠٦)، الأعلام (٣٦/٤) .

(٦) محمد سعيد أفندي البغدادي الشهير بالأخفش، أديب وشاعر، شرح ألفية السيوطي في النحو (توفي بعد سنة ١٢٨٠هـ).

انظر: المسك الأذفر (ص٢٠٩)، الأعلام (١٤١/٦) .

(٧) هو محمد الأمين بن محمد الأدهمي البغدادي الشهير بالواعظ، فقيه أصولي أديب ناظم (توفي١٢٧٣هـ).

انظر: المسك الأذفر(ص١٧٦)، الأعلام (٤٢/٦) .

(٨) هو الشيخ محمد بن حسين آل عبد اللطيف البغدادي، قال في المسك الأذفر (ص١٦٧): "كان أوحد زمانه في فقه الشافعية، له دراية تامة بفنون العربية، وكان ذا تقوى وعفاف، متصفاً بأحسن الأوصاف".

المطلب الخامس
آثاره العلميَّة

لقد ترك الألوسي وراءه ثروة علميَّة هائلة، وآثارًا واضحة، وفي ذلك قال محمد بهجة الأثري: "وآثار أبي الثناء تمتاز بالإحاطة والعمق واستقلال الفكر وحريته، مع روعة البيان، وحسن الافتنان في صياغة معانيه وأفكاره، وقد جاوزت مؤلفاته العشرين، عدا فتاواه وترسلاته وأشعاره"[(١)]. ومن أراد أن يعرف صدق هذه الشهادة فما عليه إلا أن يفتح تفسيره، أو أي كتاب آخر من كتبه، فسيجد مصداق ذلك. وفيما يلي أورد آثاره العلمية.

١/ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، اشتغل فيه خمسة عشر عامًا [(٢)]كثيرا ما كان يواصل فيه الليل بالنهار، فجاء في خمسة عشر مجلدًا في ثلاثين جزءًا، وهو من أكبر التفاسير الموجودة حجمًا، وأغزرها مادة وعلمًا، أودع فيه مؤلفة عصارة علمه، ونفائس الأبحاث التي قد لا تجدها في غيره، وقد طُبِع عدَّة طبعات، أولها في بولاق سنة (١٣٠١هـ).

٢/ الأجوبة العراقية على الأسئلة الإيرانية. يحوي ثلاثين سؤالاً مع أجوبتها في مختلف الفنون، وهو كتاب يدل على موسوعية مؤلفه وسعة أفقه؛ لأن هذه الأسئلة تعجيزية أرسلها علماء الروافض من إيران، فلم تجد من يتصدى للجواب عنها غير الألوسي [(٣)].

طبعت قديمًا سنة ١٣٠٧هـ بإسلامبول، وقد مدحها بعض الشعراء[(٤)].

---

(١) أعلام العراق (ص ٢٥).

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لأبي الثناء شهاب الدين محمود الألوسي الحسيني البغدادي، علَّق عليها محمد أحمد الأمد، وعمر عبد السلام السلاوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م. (٤/١)، كانت البداية في ١٢٥٢/٨/١٦هـ، والنهاية في ١٢٦٧/٤/٤هـ.

(٣) انظر الأعلام (١٧٦/٧).

(٤) هو عبد الباقي العمري الفاروقي ومما قاله فيها:

إن السؤال والجواب مثل ما ... قد قيل في التمثيل أنثى وذكر

٣/ الأجوبة العراقية على الأسئلة اللاهورية، وهو جواب عن سؤال ورد من علماء "لاهور" إلى علماء "بغداد" حول من يسبّ الصحابة، وقد طبعت سنة ١٣٠١ هـ في بغداد ولها نسخ محفوظة(١).

٤/ النفحات القدسية في الرد على الإمامية، ألّفها في أول حياته العلمية(٢).

٥/ نهج السلامة إلى مباحث الإمامة، وهي آخر مؤلفاته(٣).

٦/ كشف الطرَّة عن الغرَّة، - كتاب في اللغة- والغرَّة: تلخيص لدرَّة الغواص للحريري، ويسمى أيضًا "غاية الإخلاص بتهذيب نظم درَّة الغواص".

وهو عظيم في بابه يدل على تمكُّن مصنفه من زمام اللغة العربية، طبع سنة ١٣٠١هـ(٤).

٧/ شهي النغم في ترجمة شيخ الإسلام عارف الحكم، وهو في سيرة "عارف حكمت" طبع بتحقيق الخطراوي سنة ١٤٠٣هـ(٥).

٨/ حاشية شرح القطر — في النحو- كتبها وهو ابن ثلاث عشرة سنة، ولم يتمَّها، فأتمها ابنه نعمان خير الدين، وقد طُبِعت بالقدس سنة ١٣٢٠هـ ولها نسخة خطية في مكتبة المتحف العراقي(٦).

٩/ حاشية علي بن عصام —في الاستعارة- سماها "بلوغ المرام" كتبها وهو ابن ست عشرة سنة(٧).

١٠/ رسالة في ترجمته لنفسه كتبها وهو ابن ست عشرة سنة، عام ١٢٣٣هـ(١).

---

(١) الأعلام (١٧٧/٧).

(٢) نفسه (١٧٧/٧).

(٣) المسك الأذفر (ص ٧٥).

(٤) المسك الأذفر (ص ٧٦-٧٧)، أعلام العراق (ص ٣١).

(٥) الأعلام (١٧٧/٧).

(٦) المسك الأذفر (ص ٧٦-٧٧)، الألوسي مفسراً (ص ٨٦).

(٧) هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، تأليف إسماعيل باشا البغدادي، طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان. (٤١٩/٢)، أعلام ا لعراق (ص ٣٢).

١١/ شرح سلم العروج – في المنطق- كتبه وهو ابن تسع عشرة سنة[٢].

١٢/ الفيض الوارد على روض مرثية مولانا خالد، وهو شرح لقصيدة في رثاء خالد النقشبندي فرغ منها سنة ١٢٤٥هـ، وطبعت سنة ١٢٧٨هـ[٣].

١٣/ الطراز المذهَّب في شرح قصيدة مدح الباز الأشهب، والقصيدة لعبد الباقي العمري يمدح فيها عبد القادر الجيلاني فرغ منها سنة ١٢٥٥هـ وطبعت سنة ١٣١٣هـ[٤].

١٤/ الخريدة الغيبية في شرح القصيدة العينية، والقصيدة لعبد الباقي العمري يمدح بها علي بن أبي طالب ﷺ، وهي من أواخر مصنفاته[٥].

١٥/ فوائد وتعليقات في النحو، منه ورقتان في مكتبة الأوقاف العامة[٦].

١٦/ المقامات: وهي خمس مقامات. وتعرف بمقامات ابن الألوسي، طبعت واحدة منها بعنوان"إنباء الأبناء"[٧].

١٧/ التبيان شرح البرهان في إطاعة السلطان، منه نسخة في مكتبة الأوقاف العامة في بغداد[٨].

١٨/ الفوائد السنية من الحواشي الكلنبوية، في الآداب والمناظرة، وهو مختصر حاشية الكلنبوي على حاشية مير أبي الفتح، منها نسخة في مكتبة الأوقاف العامة في بغداد[١].

---

(١) ذكرها ابنه نعمان خير الدين في كتابه: جلاء العينين في محاكمة الأحمدين، تقديم علي السيد صبحي ، مطبعة المدني. ١٤٠١هـ. ١٩٨١م. (ص ٣٠)، وحفيده محمود شكري الألوسي في كتابه "غاية الأماني في الرد على النبهاني"، توزيع مكتبة ابن تيمية بالقاهرة، ومكتبة العلم، جدة. (٩٨/٢) .

(٢) الدر المنتثر (ص ٢٩)، ذكرى أبي الثناء. (ص ٨٥).

(٣) جلاء العينين (ص ٥٨).

(٤) هدية العارفين (٤١٩/٢).

(٥) المسك الأذفر (ص ٧٩).

(٦) جلاء العينين (ص ٥٨).

(٧) المسك الأذفر (ص ٧٩) .

(٨) المصدر نفسه (ص ٧٦) .

١٩/ نشوة الشمول في السفر إلى إسلامبول، فرغ منه سنة ١٢٦٨هـ طبع سنة ١٢٩١هـ تكلم فيه عن سفره إلى إسلامبول [٢].

٢٠/ شجرة الأنوار ونوار الأزهار، تكلَّم فيه عن ذرية فاطمة الزهراء رضي الله عنها، منها نسخة بخط ابنه نعمان في مكتبة الأوقاف العامة ببغداد [٣].

٢١/ نشوة المدَام في العود إلى مدينة السلام، ذكر فيه أخبار رجوعه من إسلامبول إلى بغداد، كتبه سنة ١٢٦٩هـ[٤].

٢٢/ غرائب الاغتراب، ونزهة الألباب في الذهاب والإقامة والإياب، ترجم فيه لنفسه، وبعض مشايخه، والعلماء الذين لقيهم في طريقه أو في إسلامبول، وبعض الأبحاث العلمية والأدبية التي جرت بينه وبين عارف حكمت في إسلامبول، وقد فرغ منه سنة ١٢٧٠هـ، وطبع ببغداد سنة ١٣٢٧هـ [٥].

٢٣/ سُفرة الزاد لسفرة الجهاد، وهو في حكم الجهاد وفضله، وحكم مصالحة المحاربين، فرغ منه سنة ١٢٧٠هـ وطبع سنة ١٣٣٣هـ[٦].

٢٤/ تعليقات على ألفية ابن مالك، ذكره في تفسيره روح المعاني (١٢/١٦٦) [٧].

٢٥/ الغرَّة: وهو نظم لدرَّة الغواص للحريري[٨].

٢٦/ تعليقات على عدة كتب في المعقول والمنقول والفروع والأصول[١].

---

(١) الدر المنتثر (ص ٣١).

(٢) جلاء العينين (ص ٥٨).

(٣) غرائب الاغتراب (ص ١١) .

(٤) أعلام العراق (ص ٣١).

(٥) المسك الأذفر (ص ٧٥).

(٦) المسك الأذفر (ص ٧٩).

(٧) الألوسي مفسِّرًا (ص ١٤٢).

(٨) ذكرى أبي الثناء (ص ٨٩).

٢٧/ التبيان في مسائل إيران، قدَّمه إلى السلطان محمود خان[٢].

٢٨/ دقائق التفسير، هذا الكتاب نسبه إليه غير واحد من الفضلاء، منهم الأستاذ محمد بهجة الأثري في أعلام العراق (ص٣١)، والزركلي في الأعلام (١٧٦/٧)، لكن الأستاذ محسن عبد الحميد في كتابه" الألوسي مفسرًا" (ص ١٤٢) قال:"إن نسبته إلى الألوسي خطأ، واستظهر أن التسمية هي التي من الألوسي كما صرح بذلك في غرائب الاغتراب[٣] ونشوة المدام (ص٥٢)، وأما الكتاب فإنه عبارة عن مجموعة رسائل وبحوث في التفسير كتبها طائفة من المفسرين مثل: الزمخشري[٤] والبيضاوي[٥] والرازي[٦] والدواني[٧] وأبو السعود[٨]

---

(١) الألوسي مفسرًا (ص ١٤٢).

(٢) ديوان الأخرس، عبد الغفار البصري، تحقيق: وليد الأعظمي، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ. ١٩٨٦م. (ص ٦٥٥).

(٣) غرائب الاغتراب (ص ١٩٨).

(٤) هو محمود بن عمر بن محمد، أبو القاسم، الخوارزمي صاحب" الكشاف" (ت ٥٣٨هـ).
انظر: الأعلام (١٧٨/٧).

(٥) هو عبد اله بن عمر بن محمد بن علي، البيضاوي الشيرازي الشافعي ناصر الدين أبو سعيد قاض مفسّر فقيه أصولي، من كتبه" أنوار التنزيل" (ت ٦٨٥)، انظر: طبقات الشافعية الكبرى، للسبكي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية. (١٥٧/٨)، الوافي بالوفيات، للصفدي صلاح الدين خليل، اعتناء هلموت رينز، ١٣٨١هـ. ١٩٦٢م، توزيع مؤسسة الكتب الثقافية. (٣٧٩/١٧)، الأعلام (١١٠/٤).

(٦) هو الفخر، محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين، أبو عبد الله التميمي الشافعي صاحب "التفسير الكبير". (ت ٦٠٦هـ). انظر: الأعلام (٣١٣/٦).

(٧) جلال الدين محمد بن أسعد الصديقي الشافعي الدواني قاض متكلم، سكن شيراز، وولي قضاء فارس. من مصنفاته" شرح العقائد العضدية" (ت ٩١٨هـ). انظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لأبي الفلاح عبد الحي بن العماد، دار المسيرة، بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ. ١٩٧٩م. (١٦٠/٨)، وكشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، لحاجي خليفة، دار الفكر، ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م. (١٦٤/١)، والأعلام (٣٢/٦).

(٨) هو محمد بن محمد بن مصطفى، أبو سعيد العمادي، تولى القضاء والإفتاء بالآستانة (ت ٩٨٢هـ) انظر: الفوائد البهية في تراجم الحنفية، لأبي الحسنات محمد بن عبد الحي اللكنوي الهندي، تصحيح وتعليق: محمد بدر الدين النعاني، نشر دار الكتاب الإسلامي (ص ٨١)، الأعلام (٥٩/٧).

وابن كمال باشا[1] وأضرابهم، وقد عني بجمعها رجل من أهل العلم اسمه (مصطفى) سنة (١٠٨٥هـ)، وقد علَّق عليها الألوسي بكلام لبعض مشايخه وغيرهم، وصحَّحها ونسب الأقوال لأصحابها في أكثر المواضع. والأستاذ محسن عبد الحميد يستند في معلوماته على ورقة وقع عليها في مكتبة هاشم الألوسي بخط وإمضاء الأستاذ منير القاضي[2] يقول فيها ما ملخصه: "طالعت كتاب" دقائق التفسير" وهي مخطوطة ملك الأستاذ السيد هاشم الألوسي، ورثها عن أبيه عن جد أبيه المفسر الشهير، فتحصل عندي أن المخطوطة ليست من مؤلفات المفسِّر، بل هي مجموعة عني بجمعها رجل من أهل العلم اسمه (مصطفى) علَّق عليها الألوسي، وعني بتصحيحها من محض فكره الصائب"[3] هذا ما قيل، وفي النفس منه شيء؛ لأن عبارة الألوسي شبه صريحة في أنه هو الجامع لها، إذ يقول: "وقد أثبتُ جميع ما كتب هؤلاء الأجلَّة في مجموعة لي سميتها "دقائق التفسير"[4].

(١) هو أحمد بن سليمان بن كمال باشا، شمس الدين قاضي، تولى الإفتاء بالآستانة (ت ٩٤٠هـ).
انظر: الأعلام (١٣٣/١).

(٢) هو الأستاذ منير بن خضر الشهير بالقاضي (ت ١٣٩٠هـ).
انظر: المسك الأذفر (١٤)، تاريخ علماء بغداد في القرن الرابع عشر الهجري، تأليف: يونس إبراهيم السامرائي، مطبعة وزارة الأوقاف والشؤون الدينية بالعراق، ١٤٠٢هـ. ١٩٨٢م. (٦٧٩).

(٣) الألوسي مفسرًا (ص ١٤٢).

(٤) نشوة المدام في العود إلى مدينة السلام، لأبي الثناء الألوسي، مطبعة الولاية، بغداد، ١٢٩٣هـ. (ص ٥٢).

المطلب السادس
مكانته العلميَّة

إن قيمة الإنسان ومكانته تعلو وتكبر بقدر تأثيره في مجتمعه، وما خلفه من آثار نافعة، ودعوة إصلاحية هادفة تكون سببًا في تغيير بعض المفاهيم الخاطئة، والانحرافات السائدة، وقد يبذل العالم جهودًا مضنية في الإصلاح، لكنه لا يجد على نصرة الحق أعوانًا، فيكون تأثيره محدودًا وإن طالت مدة دعوته أزمانًا، وآخر قد يبذل جهدًا أقل، ويكون له تأثير أكبر بسبب الأنصار والأعوان، وقد يكون الأول أعلم من الثاني.

وشخصيتنا التي نحاول أن نسلِّط الأضواء على مكانتها العلميَّة هي شخصية بارزة معالمها بروز الشمس في رابعة النهار، معروفة في جميع الأمصار، اشتهر ذكرها وذاع صيتها في كثير من الجهات، أصبح يقصدها علماء الآفاق بمسائلهم المعضلات، والعلماء -عادة- لا يقصدون بأسئلتهم العويصة إلا من حسن ذكره، وعلت مكانته العلمية، وسلم له كبارهم وصغارهم.

ومن المعالم التي رفعت من شأنه، وزادت في علو مكانته، تفسيره الشهير، الذي اشتهر شهرة واسعة، وهو كتابه (روح المعاني) الذي أثنى عليه كل من اطَّلع عليه من العلماء وغيرهم.

ومنها توليه منصب الإفتاء، وهو منصب خاص لأعلم علماء العراق. وقد ذكر بعضهم أن الإمام الألوسي لو كان يعيش في الآستانة عاصمة الخلافة العثمانية لتولى مشيخة الإسلام فيها، إذ كانوا يطلقون على المفتي العام للدولة (شيخ الإسلام) [1].

وقد دلَّ على ذلك تزكية المفتي له عند السلطان، وقد كان وقتها هو الشيخ (عارف حكمت) قال:"إنكم كلما بالغتم في إكرام هذا الرجل، فهو بالنسبة إلى ما ينبغي له قل من جل"[2].

---

(١) ذكرى أبي الثناء الألوسي (ص ٥١).

(٢) غرائب الاغتراب (ص ٦١).

وهذه الشهادة من مثل هذا العالم الذي يتولى أعلى منصب ديني في الدولة العثمانية تدل على أن الإمام الألوسي بلغ النهاية في علو المكانة بين علماء عصره، والشيخ عارف حكمت لم يقل هذه الكلمة من فراغ، وإنما قالها بعد ما اطَّلع على تفسيره "روح المعاني"، وجرت بينهما مطارحات ومناقشات علمية في مسائل اشتهرت بين العلماء بأنها عويصة ودقيقة[١].

ومما يدل أيضا على علو مكانة الألوسي العلمية أن الشيخ عارف حكمت وهو الكبير في السن والمقام استجازه فأجازه[٢]، وأجازه هو أيضًا، ولما كان منصب الإفتاء لا يسند إلا لمن كان حنفي المذهب -وقد كان هو شافعيًّا- دفعه علو همته لدراسة المذهب الحنفي في مدة قصيرة[٣] وهذا يدل على أن العلوم أصبحت طيعة لديه، وليس انتقاله عن مذهبه الفقهي إلى غيره بمذموم، ولا هو في فعله هذا ببدع، فقد عرف عن جمع من العلماء انتقالهم عن مذهبهم الفقهي إلى غيره. وقد جمعهم الشيخ بكر أبو زيد في تأليف له ضمن كتابه النظائر[٤].

ومما زاد من سمو مكانة الألوسي ما اشتهر به من الذكاء المفرط، وقوة الاستحضار والعارضة وسرعة البداهة.

قال حفيده أبو المعالي[٥] في المسك الأذفر[٦]: "وكان رحمه الله في الفطنة والذكاء، لا تجاريه ذُكاء[١]، ذا ذهن أشد من البرق لمعا، وفِكْر أحدَّ من السيف قطعا، شهابا ثاقبا، وسهما لغرض الدقائق صائبا... وكان في قوة الاستحضار لا يُجارى، وفي البداهة وسرعة الانتقال لا يُبارى".

---

(١) ذكر الألوسي هذه المباحثات في رحلته "غرائب الاغتراب" (ص١٥٠فما بعدها).

(٢) غرائب الاغتراب (ص ١٤٦)، والألوسي مفسرًا (ص ٨٠).

(٣) المسك الأذفر (ص ٧٨)، والنهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين (٣٨/٢).

(٤) النظائر، للشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ، دار العاصمة، الرياض، السعودية. (ص ٩٠-١٢٥).

(٥) هو محمود شكري الألوسي صاحب "غاية الأماني في الرد على النبهاني"، و" صب العذاب على من سب الأصحاب" ت ١٣٤٢هـ. ترجمته في أعلام العراق للأثري.

(٦) (ص ٦٩).

ومصداقًا لهذه الأوصاف ننقل هنا قصة طريفة وقعت بينه وبين أحد الروافض، من فهمها أدرك قوة عارضة هذا الرجل وسرعة بداهته.

جرت مناقشة بين الألوسي ورافضي حول حديث الافتراق(٢)، قال الألوسي:"ومن غريب ما وقع أن بعض متعصبي الشيعة الإمامية من أهل زماننا واسمه "حمد" روى بدل "إلا واحدة" في هذا الخبر "إلا فرقة"، وقال: إن فيه إشارة إلى نجاة الشيعة؛ فإن عدد لفظ "فرقة" بالجُمَل(٣) وعدد لفظ "شيعة" سواء"(٤)، فكأنه قال عليه الصلاة والسلام :"إلا الشيعة"، والمشهور بهذا العنوان هم"الشيعة الإمامية" فقلت له بعد عدة تزييفات لكلامه: يلزم هذا النوع من الإشارة أن تكون "كلبًا"؛ لأن عدد "كلب" وعدد "حمد" سواء(٥) فألقم الكلب حجرًا" انتهى(٦).

وكان رحمه الله يقول عن نفسه:" ما استودعت ذهني شيئًا فخانني، ولا دعوت فكري إلا وأجابني"(٧).

ومما يدل أيضا على رفعة مكانته احترام أقرانه ومعاصريه له، وتقديرهم لمقامه، وما ورد من الثناء الجميل والمدح بعبارات التفخيم والتبجيل، حتى تجاوز بعضها حدود الشرع الجليل.

---

(١) ذكاء هي الشمس.

(٢) وهو قوله ﷺ:"افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة.." أخرجه أبو داود في سننه (سنن أبي داود، لسليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد. دار الفكر، بيروت، لبنان). في كتاب السنة، باب شرح السنة (٦٠٨/٢)، والإمام أحمد في مسنده، مؤسسة قرطبة – القاهرة (٣٣٢/٢)، رقم (٨٣٧٧)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أي بحساب الجمل" أ١ب٢ج٣د٤،هـ ٥و٦ز٧، ح٨ط٩ي١٠، ك٢٠ل٣٠م ٤٠ ن٥٠س٦٠ع٧٠ف٨٠ص ٩٠، ق١٠٠ر ٢٠٠ش٣٠٠ت ٤٠٠، ث٥٠٠خ ٦٠٠ذ٧٠٠، ظ ٨٠٠ض ٩٠٠غ ١٠٠٠".

(٤) كلمة"فرقة" – ف ٨٠+ر ٢٠٠+ق١٠٠+هـ٥=٣٨٥) و(الشيعة= ش٣٠٠+ي١٠+ ع ٧٠+هـ٥=٣٨٥).

(٥) كلمة كلب – ك٢٠+ل٣٠+ب٢=٥٢) و(حمد) =ح٨+م٤٠+د٤=٥٢).

(٦) روح المعاني (٦٨/٨).

(٧) المسك الأذفر (ص٧٠)، والدر المنتثر (ص ١٩).

ومما حلي به ما نقله ابنه نعمان خير الدين عن صاحب "حديقة الورود" قال:".. شيخ علماء العراق.. وحيد الدهر بالاتفاق، كريم الذات بديع الأخلاق، خاتمة المفسرين، وسعد المحققين، وفخر علماء المسلمين، والواصل إلى رتبة الاجتهاد، الذي شرَّق وغرَّب ذكره في البلاد، أخذ العلوم عن علماء محققين.. وقد ألَّف ودرَّس وهو دون العشرين" ونقل أيضًا عن أريج الند والعود" قوله:"... كان نادرة الأوان، وممدوحًا بكل لسان، قصدته العلماء من الأقطار البعيدة، ولم يسمع بمثله في كافة الأقاليم منذ سنين عديدة، مع تقوى وصلاح وديانة قوية، وسخاء وكرم وصدقات خفية"(١).

وقال فيه حفيده أبو المعالي:"... كان صدر المدرسين، وخاتمة المفسرين، أحد أفراد الدنيا في أدبه وفضله وعلمه، وبلاغته وذكائه وفهمه"(٢).

وقال فيه حفيده الآخر علي علاء الدين:" هو المفسِّر الكبير، والعالم النحرير، الذي طارت شهرته في الآفاق، ورئيس علماء العراق"(٣). وقال العلامة صديق حسن خان(٤):" كان رحمه الله خاتمة المفسرين، ونخبة المحدثين"(٥).

وقال نجله السيد أحمد :"كان عالماً باختلاف المذاهب مطلعًا على الملل والنحل والغرائب، سلفي الاعتقاد شافعي المذهب"(٦).

---

(١) انظر جلاء العينين في محاكمة الأحمدين (ص ٥٧-٥٨).

(٢) انظر المسلك الأذفر (ص ٦٦).

(٣) الدر المنتشر (ص ١٥).

(٤) هو محمد صديق خان بن حسن بن علي بن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي أبو الطيب، من رجال الإصلاح، صنف مصنفات كثيرة نيفت على الستين منها" الدين الخالص" (ت ١٣٠٧هـ). انظر: جلاء العينين لنعمان خير الدين الألوسي (ص ٣١)، والأعلام للزركلي (١٦٧/٦).

(٥) التاج المكلل من مآثر الطراز الآخر والأول، تأليف: العلامة صديق بن حسن خان القنوجي، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ. ١٩٩٥م. (ص ٥١٧).

(٦) التاج المكلل (ص ٥١٨).

وقال الأستاذ العلامة محمد بهجة الأثري:

"هو طود العلم، وعضد الدين، وفحل البلاغة، وأمير البيان، وعين الأعيان، وإنسان عين الزمان، انفسحت في العلم خطاه فأذعن له المحب والمغتاظ، وأرزم سحاب(١) أدبه فروى الغياض والرياض، فهو ابن العلم وأبوه، وعم الأدب وأخوه، وله من المكانة الرفيعة والمقام المحمود، ما يغني عن الإشادة بذكره، والإطالة في إطرائه"(٢).

وقال الأستاذ عباس العزاوي –وهو من أفاضل مؤرخي العراق-:"إن العصر الحديث في العراق يجب أن يسمى عصر الألوسي؛ لأنه كان المصباح المضيء في كل اتجاه، حيث رفع الأسلوب العلمي بتأليفه المتشعب في النحو والفقه والتفسير والتاريخ.. فكان أستاذًا كبيرًا لمدرسة في التأليف"(٣).

وقال فيه الزركلي:" مفسِّر محدِّث أديب من المجددين.. سلفي الاعتقاد مجتهد"(٤).

وقد اعتمده العلامة المصلح الشيخ محمد رشيد رضا(٥) في كثير من المباحث في تفسيره المنار، ووصفه بالنَّقاد.

وقال الدكتور محمد حسين الذهبي:" شيخ علماء العراق، وآية من آيات الله العظام، ونادرة من نوادر الأيام... محدِّث لا يجارى، ومفسِّر لكتاب الله لا يبارى"(٦).

---

(١) أرزم الرعد: اشتد صوته، انظر: القاموس المحيط، تأليف: محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، مؤسسة الرسالة – بيروت، لبنان. (ص ١٤٣٨)، مادة: "رزم".

(٢) أعلام العراق (ص ٢١).

(٣) ذكرى أبي الثناء (ص ٦٠)، والنهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين (٤٧/٢).

(٤) الأعلام للزركلي (١٧٦/٧).

(٥) هو محمد رشيد بن علي رضا القلموني البغدادي المصري الحسيني، صاحب مجلة المنار، وأحد رجال الإصلاح الإسلامي، قال فيه الدكتور تقي الدين الهلالي :"إمام الدعوة في زمانه" (ت ١٣٥٤هـ)، انظر: الأعلام (١٢٦/٦).

(٦) التفسير والمفسرون، تأليف: محمد حسين الذهبي، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة السابعة، ١٤٢١هـ . ٢٠٠٠م. (٢٥٠/١).

ومن المظاهر الجليَّة التي تنادي بعلو مكانته أيضًا: مدح الشعراء له في حياته، ورثاؤهم إياه بعد مماته.

ومن أشهر الذين مدحوه وأثنوا عليه وأطروه: الشاعر المشهور الذي برَّ أقرانه وأخرسهم عن مجاراته، السيد عبد الغفار بن عبد الواحد الأخرس (ت ١٢٩١هـ) له ديوان مطبوع بعنوان "ديوان الأخرس"، تجاوزت صفحاته السبعمائة، ضمَّ بين طياته قصائد كثيرة من بينها سبع وثلاثون قصيدة كلها في مدح الإمام الألوسي ما بين طويلة وقصيرة في مناسبات عدَّة. قال في بعض قصائده[1]:

السيد المحمود في خلاله ... وفائض البحرين علمًا وندى
يقول مَنْ ناظَرَه في علمه ... ما بعد هذا غاية ومنتهى
لا هو بالفظ الغليظ قلبه ... وبالوغى أشد من صمّ الصفا
تخاله حين تراه ضاحكًا ... كروضة باكرها قطر الندى
فاق الأنام بالتقى وبالحجى ... وزينة المرء التقى مع الحجا
ما زال يرقى بالحجا وبالنهى ... حتى رقى بالعلم أعلى مرتقى
لا يخشى في الله لوم لائم ... أفتى على الحق وبالحق قضى

وقال يرثيه بعد موته[2]:

الله يعلم والأنام شهود ... إن الذي فقد الورى لفريد
كان الإمام به الأئمة تقتدي ... فله الهدى ولغيره التقليد
ظلاًّ على الإسلام كان وجودُه ... حتى تقلص ظلُّه الممدود
فلفقده في كل قلب لوعة ... ولذكره في حمده ترديد
فزوال ذاك الطود بعد ثباته ... ينبيك أن الراسيات تبيد
وجزيت خيرًا بعدها عن أمَّة ... علماؤها مما أفدت تفيد
أظهرت بالآيات ما بظهورها ... يخفى النفاق ويعلن التوحيد

(١) ديوان الأخرس (ص ٧٦-٧٧).

(٢) المصدر نفسه (ص ٦٦٦).

وممن مدحه من الشعراء المشهورين أيضًا: عبد الباقي بن سليمان العمري الفاروقي (ت ١٢٧٨هـ)، وله ديوان مطبوع بعنوان "الترياق الفاروقي" مدحه فيه أيضا بقصائد كثيرة في مناسبات عديدة.

ومما قاله فيه وفي كتابه "الأجوبة العراقية على الأسئلة الإيرانية":

إن السؤال والجواب مثل ما ... قد قيل في ا لتمثيل أنثى وذكر
وهذه أسئلة عويصة ... عن حلِّها كلَّت أنامل الفكر
أبكارها ليس لها من ثاقب ... سوى شهاب الدين محمود
علامة الدنيا مع العليا له ... كم طاب في مُحْلَولِكِ الليل سمر

وقال:

روح معانيه التي دونها ... في أعين الأعيان تزهو كالحوَر
فيا لها مسائل منها انبرت ... وسائل بُرهانُها لنا ظهر[1]

وهناك شعراء آخرون كثيرون عاصروه، وعرفوا قدره، فتحركت شاعريتهم لمدحه والإشادة بعلمه وفضائله، وقد جمع كل ذلك في كتاب "حديقة الورود في ترجمة أبي الثناء محمود"[2] وهو في جزءين كبيرين، كتبه تلميذه عبد الفتاح الشواق، ومات قبل أن يتمه، ثم أتمه إبراهيم بكتاش، والسيد نعمان خير الدين الألوسي ، قال الأستاذ محسن عبد الحميد: "ولا أظن أن عالماً قبله ولا بعده قيل فيه من القصائد في المدح والترحيب به ورثائه أكثر منه، ولو أننا جمعنا كل ما ورد عنه في دواوين شعراء زمانه لحصلنا على ديوان من الشعر كامل"[3].

---

(١) الترياق الفاروقي، أو ديوان عبد الباقي العمري، دار النعمان للطباعة والنشر، النجف، العراق، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م. (ص ٣٤٥-٥٤٦).

(٢) انظر المسك الأذفر (ص ٦٥، وص٢٠٧).

(٣) الألوسي مفسرًا (ص ٨٢)، وانظر ذكرى أبي الثناء (ص ٩٤).

المبحث الثاني

لمحة عن عصر الألوسي

وفيه مطلبان

المطلب الأول: الحالة السياسيَّة.

المطلب الثاني: الحالة العلميّة والدينيّة.

المطلب الأول
الحالة السياسيَّة

إن من الضروري أن نذكر في البدء أنَّ الاستقرار السياسي سبب رئيس من أسباب الازدهار العلمي، وهذا يتَّضح جليًّا من قراءة تاريخ الأمم، وعالم في مقام الألوسي تولَّى منصب الإفتاء الرسمي، لابد وأن يكون ذا صلة قويّة بالوضع السياسي، ولذا لا ينبغي أن يُغْفَل هذا الجانب من التعريف به، والعصر الذي سنعطي عنه هذا اللمحة يمتد من سنة ١٢١٧ هـ - ١٢٧٠هـ.

وفي هذه الحقبة من التاريخ لم يكن الوضع مستقرًا في العراق لعوامل عدَّة، بعضها يرجع إلى نظرة السلطة في الآستانة إلى الوالي في العراق، وفقدان الثقة بينهما، وهناك أسباب داخلية مثل الثورات، وأسباب خارجية مثل أطماع الدول الكبرى الكافرة في دولة الخلافة، والعمل من أجل إسقاطها.

"وفي هذا الحين كانت الدولة العثمانية قد بلغت سنّ الشيخوخة، بعد أن كانت من قبلُ دولة عظيمة رافعة راية الجهاد، تهابها الدول الكافرة وتخشى سطوتها"(١).

"ومن الأحداث السياسيَّة التي أثَّرت على الألوسي أن محمد نجيب باشا، الذي كان قبلُ واليًا على دمشق، ثم جيء به إلى بغداد سنة ١٢٥٨هـ فلم يكن هذا الوالي على وفاق مع الألوسي، فأساء معاملته، وعزله عن الإفتاء، ومنع عنه وقف المدرسة المرجانية، وقد عُزِل سنة ١٢٦٥هـ"(٢).

---

(١) ولمعرفة ذلك تُراجع الكتب التي أرَّخت لحكم هذه الدولة ككتاب "تاريخ الدولة العلية العثمانية" لمحمد فريد بك، تحقيق: إحسان حقي، طبعة دار النفائس، بيروت، الطبعة الثانية. ١٤٠٣هـ.

(٢) الألوسي مفسرًا (ص٣٢)، أعلام العراق (ص ٢٤-٢٥).

وفي السنوات الخمس الباقية من عصر الألوسي، تولَّى فيها أربعة وزراء، هم: عبد الكريم نادر باشا، ومحمد وجيه باشا، ومحمد رشيد باشا الكوزلني، ونامق باشا الكبير[1].

فهذه الحقبة -التي استعرضت حكامها- لم يكن الوضع فيها مستقرًّا، مما كان له كبير الأثر في حياة الألوسي رحمه الله، وخاصة إذا علمنا أن صلته بالسلطة كانت بين المد والجزر؛ بسبب موقف بعض الولاة منه.

---

(١) أعلام العراق (ص ٢٦).

المطلب الثاني
الحالة العلميّة والدينيّة

إن الحالة العلميّة في الدولة العثمانية كانت بصفة عامة لا تتناسب مع قوّتها وعظمتها في عهد ازدهارها، وربما يرجع ذلك إلى أن لغتها لم تكن هي لغة القرآن، وفي عصر الألوسي كان الاهتمام بالناحية العسكرية طاغيًا على العلوم الأخرى؛ وسبب ذلك أنها كانت تواجه مؤامرات كبيرة للقضاء عليها(١).

أما بخصوص بغداد فإنها كانت -إلى حدٍّ ما- في عصر الألوسي تتمتع بنهضة علميَّة لا بأس بها، خاصة في ولاية داود باشا – الذي طالت ولايته أكثر من غيره؛ ويرجع السبب في ذلك إلى أنه كان من أهل العلم، ولا يقدِّر العلم إلا ذووه.

فقد كثرت في عهده المدارس بتشجيع منه، ورعاية لها وللعلماء والمتعلِّمين. فكان عصره بداية للنهضة العلمية الحديثة في العراق كما يرى بعض الكتَّاب(٢).

وأما الحالة الدينية عند العثمانيين فإنها كانت قد بدأت في الانحدار قبل عصر الألوسي، وأدرك ذلك الخاص والعام، وقد أقرَّ بذلك حتى بعض الحكام. وفي هذا يقول السلطان عبد المجيد الأول في خطاب له موجَّه إلى عامة الناس عقب توليته منصب الخلافة سنة ١٢٥٥هـ.

قال: "لا يخفى على عموم الناس أن دولتنا العليَّة من مبدأ ظهورها وهي جارية على رعاية الأحكام القرآنية الجليلة، والقوانين الشرعية المنيفة بتمامها.

ولذا كانت قوة ومكانة سلطتنا السنية، ورفاهية وعمارية أهاليها وصلت حدَّ الغاية. وقد انعكس الأمر منذ مائة وخمسين سنة بسبب عدم الانقياد والامتثال للشرع الشريف، والقوانين المنيفة، بناءً على طروء الكوارث المتعاقبة، والأسباب المتنوعة، فتبدَّلت قوتها بالضعف، وثروتها بالفقر...إلخ(٣).

---

(١) تاريخ الدولة العلية العثمانية (٤٥٥-٥٢٩).

(٢) الألوسي مفسراً. (ص ٣٣).

(٣) تاريخ الدولة العلية العثمانية. (ص ٤٨١).

المبحث الثالث
عقيدة الألوسي ومذهبه ووفاته

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: عقيدته، وفيه أربع مسائل.

المطلب الثاني : مذهبه

المطلب الثالث: وفاته

المطلب الأول

عقيدته، وفيه أربع مسائل.

المسألة الأولى: خطورة الحكم على عقائد المسلمين، وما ينبغي أن يتحلّى به المرء المتصدِّي لذلك:

عندما يريد الإنسان أن يتحدَّث عن عقيدة أحد المسلمين، وبخاصة إذا كان عالماً من علمائهم فإنه يلزمه أن يكون حذرًا غاية الحذر، ومتجردًا إلى أبعد حد ممكن عن كل خلفيات أو إشاعات أو ما شابه ذلك، وسواء أكان الأمر يتعلّق بالعقيدة أم بغيرها فإن الأمر خطير، إذ لا يجوز كلام الرجل على غيره إلا لمقصد شرعي، وفي حدود الحاجة والضرورة، وإلا كان ذلك غيبة(١)، وفي الحديث:"كل المسلم على المسلم حرام..."(٢) وقد اشترط بعض العلماء شروطًا لمن يريد أن يصدر أحكامًا على الغير فقال:" يشترط فيه أن يكون عارفًا بحال المترجم علمًا ودينًا وغيرهما من الصفات، وهذا عزيز جدًّا، وأن يكون حسن العبارة، عارفًا بمدلولات الألفاظ حسن التصور، بحيث يتصور حين ترجمة الشخص جميع حاله، ويعبر عنه بعبارة لا تزيد عنه ولا تنقص، وأن لا يغلبه الهوى، فيخيل إليه هواه الإطناب في مدح من يحبه والتقصير في غيره، وذلك بأن يكون عنده من العدل ما يقهر به هواه، ويسلك معه طريق الإنصاف، وإلا فالتجرد عن الهوى عزيز، فهذه أربعة (شروط)"(٣)وزاد بعضهم "الورع والتقوى، وعدم الأخذ بالتوهُّم والقرائن التي تختلف وترك المجازفة"(٤)، وينبغي على هذا المتحدِّث أن يعلم أنه سيسلك طريقًا محفوفًا بالمخاطر قد يضل فيه إن لم يكن على بيِّنة من أمره، ولم يكن عنده نور من كتاب ربِّه، وسنَّة نبيه صلى الله

---

(١) انظر رياض الصالحين، للإمام أبي زكريا يحيى بن شرف النووي، تحقيق: عبد العزيز رباح، أحمد الدّقاق. دار الفيحاء، دمشق سوريا. دار السلام الرياض، السعودية. (ص ٤٥٠) .

(٢) صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي. دار إحياء التراث العربي – بيروت، لبنان. حديث رقم (٢٥٦٤)، (٤/ ١٩٨٦).

(٣) الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، لشمس الدين السخاوي، تحقيق: فرانزروزنثال، وصالح أحمد العلي، دار الكتب العلمية، بيروت. (ص ١٣٢).

(٤) نفسه (ص ١٣٠).

عليه وسلم، ولا ينسَ أنه سيحاسبه الله على كل ما نطق به لسانه، أو رقمه قلمه، قال تعالى :"ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد"[(١)] وقال ابن دقيق العيد[(٢)]: "ما تكلَّمت بكلمة أو فعلت فعلاً إلا وأعدَّدت لذلك جوابًا بين يدي الله سبحانه"[(٣)].

وعليه أيضًا أن يستحضر أن العلماء ورثة الأنبياء، فيعرف لهم قدرهم، ومكانتهم، ويحسن الظن بهم، ولا يأخذهم بلازم القول، ولا يحمل كلامهم ما لا يحتمل، فإن المتكلِّم هو أحق بتفسير كلامه من غيره، وعليه أن يحمل كلامهم على أحسن المحامل ما أمكنه ذلك.

قال الإمام مسلم في مقدمة صحيحه، عند كلامه على طبقات الرواة :"فلا يقصر بالرجل العالي القدر عن درجته، ولا يُرفع متضع القدر في العلم فوق منزلته، ويُعطَى كل ذي حق فيه حقَّه، وينزل منزلته. وقد ذُكِر عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: "أمرنا رسول الله ﷺ أن ننزل الناس منازلهم"[(٤)].

وقال سعيد بن المسيب[(٥)]: "ليس من عالم ولا شريف ولا ذي فضل إلا وفيه عيب، ولكن من كان فضله أكثر من نقصه ذهب نقصه لفضله، كما أن من غلب عليه نقصانه ذهب فضله"[(٦)].

---

(١) انظر سنن الترمذي، لمحمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون. دار إحياء التراث العربي – بيروت، لبنان. حديث رقم (٢٦١٩)، وسنن ابن ماجة، لمحمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر – بيروت، لبنان. حديث رقم (٣٩٣٧)، ومسند أحمد. (٥/٢٣١) .

(٢) هو محمد بن علي بن وهب بن مطيع، أبو الفتح، تقي الدين (ت ٧٠٢). الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، لابن حجر تحقيق: محمد سيد جاد الحق، دار الكتب الحديثة، مطبعة المدني، القاهرة، الطبعة الثانية ١٣٨٥هـ. (٤/٩١).

(٣) الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ (ص ١٢٣-١٢٤).

(٤) أخرجه أبو داود في سننه في كتاب الأدب، باب في تنزيل الناس منازلهم (٢/٦٧٧)، رقم (٤٨٤٢).

(٥) هو سيد التابعين في زمانه، أبو محمد، سعيد بن المسيب بن حزن القرشي المخزومي (توفي٩٤).
انظر: الحلية (٢/١٦١).

(٦) جامع بيان العلم وفضله، للحافظ ابن عبد البر، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، الرياض، السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ. (٢/٨٢١) رقم (١٥٤٠)، والإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، للسخاوي (ص ١٢٦-١٢٧).

المسألة الثانية: الألوسي سلفي العقيدة في الجملة:

وبعد هذه التوطئة – التي هي بمنزلة المعالم لمن يريد أن يتحدَّث في هذا الباب– أدخل في الموضوع مستعينًا بالله ومسترشدًا به فأقول: إن الإمام الألوسي رحمه الله عالم متبحِّر في كل العلوم الإسلامية حتى قيل فيه:"إنه أستاذ الكل في الكل"[1] واسع الاطلاع، له صبر وجلد على المطالعة والكتابة عجيب، حتى إنه كان في كثير من الأحيان – إن أعوزه الشمع- يقرأ على ضوء القمر[2] فأدى به ذلك إلى أن يطَّلع على الكتب الإسلامية بجميع مذاهبها وعقائدها المتباينة، ولم يكن عنده تعصب يمنعه من الاستفادة من الغير، وإنما الحكمة ضالته حيثما وجدها أخذها، وهذا التوسُّع في المدارك هو الذي جعله يطَّلع على بعض كتب السلف، ويستفيد منها، كما أن بعض مشايخه كان له ميل إلى مذهب السلف .

هذه العوامل كلها جعلت الألوسي يختار لنفسه مذهبًا خاصًا به، ولا عجب في ذلك، فقد كان يملك الوسائل التي تمكنه من الاجتهاد، - فتجده لتمكنه من الاطلاع على أقوال الناس يعرضها، ويختار منها ما يراه صوابًا، معتمدًا في ذلك على الدليل من الكتاب والسنة، ويرد ما يراه مخالفًا للكتاب والسنة. وانظر على سبيل المثال ما اختاره في مسألة خلق أفعال العباد، وكيف ردَّ على الجبرية والقدرية والمعتزلة والأشعرية[3]. وعلى ضوء ما قلنا فإنه من الصعب جدًّا أن نصدر حكمًا قولاً واحدًا على عقيدة الألوسي، وذلك لتعدُّد مشاربه، فعقيدته تتجاذبها عدّة مذاهب، إلا أن الغالب عليه هو مذهب السلف.

---

(١) جلاء العينين في محاكمة الأحمدين (ص ٥٩).

(٢) روح المعاني (٣/١).

(٣) روح المعاني (٨٧/١).

المسألة الثالثة: نقول عن ابن تيمية والذهبي وابن القيم في التعامل مع العلماء الذين جمعوا بين الخطأ والصواب.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:"إن ما ثبت قبحه من البدع وغير البدع من المنهي عنه في الكتاب والسنة، أو المخالف للكتاب والسنة، إذا صدر عن شخص من الأشخاص فقد يكون على وجه يعذر فيه، إما الاجتهاد أو تقليد يعذر فيه، وإما لعدم قدرته" [(١)]. وقال أيضا رحمه الله :"والخطأ والغلط مع حسن القصد وسلامته، وصلاح الرجل وفضله ودينه وزهده وورعه وكراماته كثير جدًّا، فليس من شرط ولي الله أن يكون معصومًا من الخطأ والغلط، بل ولا من الذنوب"[(٢)].

وقال في مكان آخر- بعد أن ذكر أن الرجل العظيم القدر قد يحصل منه ما لا ينبغي اتباعه بسبب الاجتهاد والهوى الخفي- فتفتتن به طائفتان: طائفة تحاول تصويب ما أخطأ فيه واتباعه عليه، وطائفة تذمه وتطعن في إيمانه، وكلاهما على خطأ، وبين أن أهل الأهواء انحرفوا بهذا السبب- قال:" ومن سلك طريق الاعتدال عظَّم من يستحق التعظيم وأحبَّه وولاه، وأعطى الحق حقه، فيعظم الحق، ويرحم الخلق، ويعلم أن الرجل الواحد تكون له حسنات وسيئات، فيحمد ويذم ويثاب ويعاقب، ويحب من وجه، ويبغض من وجه، هذا هو مذهب أهل السنة والجماعة"[(٣)].

وقال الإمام الذهبي[(٤)]رحمه الله :"إن الكبير من أئمة العلم إذا كثر صوابه، وعلم تحريه للحق، واتَّسع علمه، وظهر ذكاؤه وعرف صلاحه وورعه واتباعه، يغفر

(١) مجموع الفتاوى، لابن تيمية، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن قاسم، وابنه محمد، طبعة الرئاسة العامة لشؤون الحرمين. (١٠/٣٧١-٣٧٢).

(٢) مجموع الفتاوى (١٠/٣٩٣).

(٣) منهاج السنة النبوية، لابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، طبع ونشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ. ١٩٨٦م. (٤/٥٤٣-٥٤٤) .

(٤) هو شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان ا لذهبي "صاحب السير" وغيره من المصنفات المفيدة (ت ٧٤٨هـ) انظر: الدرر الكامنة (٣/٣٢٦).

لـه الله، ولا نضـلله ونطرحـه وننسـى محاسـنه، نعـم لا نقتـدي بـه في بدعتـه وخطئـه، ونرجو له التوبة من ذلك"[1].

المسألة الرابعة: وقفات مع الألوسي في بعض مسائل الاعتقاد.

الوقفة الأولى: اعتباره التأويل قولاً على الله بغير علم.

قال:"وأنت تعلم أن الأسلم ترك ا لتأويل؛ فإنه قول على الله تعالى من غير علم، ولا نؤول إلا ما أوَّله السلف، ونتبعهم فيما كانوا عليه، فإن أوَّلوا[2] أوَّلنا، وإن فوَّضوا فوَّضنا، ولا نأخذ تأويلهم لشيء سُلَّما لتأويل غيره"[3].

الوقفة الثانية: دعوته إلى التمسُّك بما صحَّ عن النبي صلى الله عليه وسلم، وأنه إذا صحَّ الحديث فهو مذهبه.

فقال: "والحاصل أن كل ما جاءنا عن رسول الله ﷺ بسند مقبول فعلى العين والرأس، وما كان على خلاف ذلك نبذناه وراء ظهورنا، وإن تلقته بأيدي القبول جهلة الناس"[4].

وقال: "وأنا أقول إذا صحَّ الحديث فهو مذهبي، ونعوذ بالله من اتباع الهوى"[5].

ومما يدل على اعتباره الدليل الصحيح هو الفيصل في أمور الشرع أنه بعد كلام له في "الرباط" ومدته قال: "وهذا التفصيل مما لا مدخل فيه للرأي، ولا يكاد يقال إلا من قِبَل الوحي، فإن صح فيه حديث عن رسول الله ﷺ كان هو المعول عليه، وإلا فلا ينبغي أن يلتفت إليه"[6].

---

(١) سير أعلام النبلاء، للذهبي، تحقيق: جماعة من العلماء، بإشراف: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٦هـ. ١٩٨٦م. (٧١/٥).

(٢) هذا التعبير يوهم أن السلف أوَّلوا، وليس هذا هو مقصود الألوسي، وإنما المقصود المبالغة في اتباع السلف، فلو افترضنا أنهم أولوا – وحاشاهم- أولنا، وبما أنهم لم يؤولوا فلا يجوز لنا أن نؤول.

(٣) روح المعاني (١٦٨/٢٧).

(٤) غرائب الاغتراب (ص ٣٨).

(٥) روح المعاني (٣٨/٩) .

(٦) سُفرة الزاد لسفرة الجهاد، لأبي الثناء الألوسي، طبعة مطبعة دار السلام، بغداد، سنة ١٣٣٣هـ. (ص ١٧).

المطلب الثاني

مذهبه

لقد صرَّح الألوسي في بعض كتبه بأنه كان في أول الأمر شافعيًّا، ثم تحوَّل بعد ذلك إلى المذهب الحنفي لسبب من الأسباب، ولم يتحوَّل تحولاً كاملاً وإنما في المعاملات فقط، كما صرح هو بذلك في مواطن كثيرة من كتابه روح المعاني [1].

وكذلك تكلَّم على مذهبه حفيده أبو المعالي فقال: "وكان في صباه شافعيَّ المذهب، لا يميل لسواه ولا يذهب، وقلّد مدة إفتائه الإمام أبا حنيفة في معاملاته، وبقي على ما كان عليه في عباداته، وكان بعد عزله يقول: أنا شافعي ما لم يظهر لي الدليل، وإلا فليس عن العمل به من محيل، حيث إن العالم إذا علم الدليل لا يُعذَر بالتقليد، وليس عن العمل باجتهاده من محيد"[2].

---

(١) روح المعاني (١/١١١).

(٢) المسك الأذفر (ص ٧٨).

المطلب الثالث

وفاته

كان الألوسي يعيش في بغداد معزَّزًا مكرَّمًا، حتى بلغ به الحال أن تقلَّد منصب الإفتاء، وجلس فيه مدة لا بأس بها، ثم بعد ذلك انقلبت الأمور، وتغيرت الأحوال، وأدبرت الدنيا عنه بعد أن كانت مقبلة، على إثر ذلك سافر مضطرًا إلى عاصمة الخلافة، ولاقى في طريقه ما لاقى من الصعاب، وبعد جلوسه هناك ثلاثة عشر شهرًا ظهر له أنه لابد من الإياب، وفي طريق عودته صادف بردًا شديدًا ومطرًا غزيرًا فأثر ذلك على صحته[1]، وما إن وصل إلى بغداد حتى تدهورت حالته، وأصبحت الحمى تعاوده من حين لآخر، حتى مات بسبب هذا المرض، وذلك في شهر ذي القعدة سنة سبعين ومائتين بعد الألف من هجرة سيد المرسلين عليه السلام، وكان عمره آنذاك ثلاثًا وخمسين سنة[2] -رحمه الله-.

---

(١) نشوة المدَام (ص ١٠٧).

(٢)انظر: المسك الأذفر (ص ٧٩-٨٠)، أعلام العراق (ص ٢٦).

الفصل الثاني

صور المعاني

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: الخبر والإنشاء.

المبحث الثاني: صور إخراج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر.

المبحث الثالث: القصر.

المبحث الرابع: الفصل والوصل.

المبحث الخامس: الإيجاز والإطناب.

المبحث الأول

الخبر والإنشاء

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الخبر : أنواعه، وأغراضه البلاغية.

المطلب الثاني: الإنشاء.

المطلب الأول

الخبر: أنواعه، وأغراضه البلاغية

مفهوم الخبر في اللغة:

يقول ابن فارس: "الخاء، والباء، والراء أصلان، فالأول: العِلْم، فالخبر هو: العلم بالشيء، تقول: لي بفلانٍ خِبْرَةٌ وخُبْرَةٌ"(١).

وما ذكره ابن فارس عبارة عن بيان الارتباط بين المادة التي يتكوَّن منها اللفظ، وبين المعنى المراد به.

و(الخبير) من الخَبْر، وهو اسم من أسماء الله – تعالى –، ويعني به العالِمِ بما كان، وبما يكون، يقال: خَبُرْتُ بالأمر أي علمته، وخَبَرْتُ الأمر أخْبُرُهُ، إذا عرفته على حقيقته، والخَبَر واحد جمعه: أخبار، وهو ما أتاك من نبأ عمن تستخبر(٢).

مفهومه في الاصطلاح: "هو قول يحتمل الصدق والكذب لذاته، مثل قولنا: (نجح عمرو)، فهذه الجملة أفادت نسبة النجاح إلى عمرو، والحكم عليه بالنجاح، فإن وافق ذلك الواقع كان الخبر صادقًا، ووُصِف الكلام بالصدق، وإن خالفه كان الخبر كاذبًا، ووُصِف الكلام بالكذب ... وكذا قولنا في حالة النفي: (ما نجح زيد)؛ فإنه أفاد نفي نجاح زيدٍ، فإن وافقت الإفادة الواقع وُصِف الكلام بالصدق، وإن خالفته وُصِف بالكذب" (٣).

---

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل- بيروت، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ -١٩٩٩م. (٢/٢٣٩)، (باب الخاء والباء وما يثلثهما).

(٢) انظر: لسان العرب، للإمام العلامة ابن منظور. دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان. الطبعة الثالثة، ١٤١٩هـ، ١٩٩٩م، اعتنى بتصحيحها: أمين محمد عبد الوهاب، محمد الصادق العبيدي. (٤/١٢)، (مادة خبر).

(٣) انظر الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، تأليف: الإمام يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي اليمني، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م. (٣/١٥٥).

والخبر في البيان القرآني من الموضوعات المهمَّة في البلاغة؛ لأنه الصلة الظاهرة، والدلالة البينة على صدق الأنباء فيما بين السماء والأرض، وهو الظاهرة الباقية، والدلالة الخالدة على ناموس الشرائع والمرسلين، وبه تمت خاتمة رسالة السماء إلى الأرض بإخبارها عن الشرائع التي أقرَّها المولى ﷻ، وارتضاها لعباده.

كما أن الخبر في كلام البشر نقطة الوصل بين الأفراد والجماعات، وبه تتم المعاهدات، وتبُرم العقود، وعليه يقوم الخطاب بين الأمم أفرادًا أو جماعات.

لذا فالخبر علم غزير، واسع المدارك، يتطلب من المخبر علمًا بموضوع الخبر، وعلمًا بطرائق الإخبار، ودربة على ارتياد مسالكه؛ لذلك فإنه يتعدَّد بتعدُّد ما حوله من مثيرات تدفع المخبر إلى القول، وتحثه عليه؛ فيضع أقواله في أوعية تعبِّر عما به من خواطر نفسيَّة، يحاول من أجلها أن يثير انفعال السامع بما يضفيه على أقواله من مؤكدات تناسب حاله، فتحقق المشاركة المطلوبة بينهما[(١)].

جهود الألوسي في الخبر:

وأضرب الخبر ثلاثة:

الأول: "ابتدائي، ويساق لخالي الذهن تمامًا من الموضوع، وسمي كذلك؛ لأن المتكلِّم هو الذي ابتدأك بالمعلومة"[(٢)].

وقد تناوله الألوسي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَـٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَـٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾[(٣)]؛ حيث قال: "والفعل المضارع يمحو ويحق للاستمرار، والكلام ابتدائي"[(٤)].

---

(١) انظر المطول، شرح تلخيص المفتاح، لسعد الدين مسعود التفتازاني الهروي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، منشورات علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م. (ص ١٨٠).

(٢) انظر الإيضاح، للخطيب القزويني، تحقيق د. عبد الحميد هنداوي، مؤسسة المختار، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م. (ص ٢١).

(٣) الشورى (٢٤).

(٤) روح المعاني (٣٤/٢٥).

الثاني: "طلبي، والمخاطب به هو الذي لم يقع الخبر من نفسه موقع القبول والرضا؛ فأصبح متردِّدًا، فيستحسن له توكيد الخبر؛ ليستقرَّ المعنى في نفسه، ويتمكَّن منه، فهذا المخاطب هو الذي يطلب التوكيد"(١).

ومنه قول بشار بن برد:

بكِّــرا صـــاحبيَّ قبـــل الهجيـــرِ إنَّ ذاك النَّجـــاحَ فـــي التَّبكيـــر(٢)

وقد ذكر الألوسي هذا الضرب من الخبر في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ﴾(٣).

حيث قال: "وفيه من المبالغة ما ليس فيما لو قيل: ولا تدعني فيهم، وحيث كان فيه ما يلوح بما يستتبعه أُكِّد التعليل، فقيل: إنهم مغرقون"(٤).

وأيضًا تطرّق الألوسي لهذا الضرب في تفسير قوله تعالى: ﴿ٱقۡتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطۡرَحُوهُ أَرۡضٗا يَخۡلُ لَكُمۡ وَجۡهُ أَبِيكُمۡ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعۡدِهِۦ قَوۡمٗا صَٰلِحِينَ﴾(٥)؛ حيث قال: "وجيء بلام الابتداء لتحقيق مضمون الجملة وتأكيده، أي كثرة حبّه لهما أمر ثابت لا شبهة فيه"(٦).

الثالث: "إنكاري، ويخاطب به المنكِر، وحينئذٍ لا بد من تعدُّد المؤكدات في الجملة، وتزداد المؤكدات حسب درجة الإنكار"(٧). وقد تحدَّث الألوسي عن ذلك في تفسيره لقوله تعالى: ﴿قَالُواْ مَآ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَكۡذِبُونَ ۝ قَالُواْ رَبُّنَا يَعۡلَمُ إِنَّآ إِلَيۡكُمۡ لَمُرۡسَلُونَ ﴾(٨).

---

(١) انظر الإيضاح (٢١).

(٢) ديوان بشار بن برد، تحقيق: السيد بدر الدين العلوي، دار صادر، بيروت، لبنان (١/٧٥١).

(٣) المؤمنون (٢٧).

(٤) روح المعاني (١٢/٥٠).

(٥) يوسف (٨).

(٦) روح المعاني (١٢/١٨٩).

(٧) انظر الإيضاح (ص ٢١).

(٨) يس (١٥-١٦).

حيث قال :" وجاء كلام الرسل في غاية التأكيد لمبالغة الكفرة في الإنكار جدًّا، حيث أتوا بثلاث جمل، وكل منها دالٌ على شدَّة الإنكار، فلما بالغوا في تكذيبهم زِيْدَ في التأكيد كما لا يخفى على من له أدنى تأمُّل"(١).

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ۝ وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾(٢). علَّق الألوسي قائلاً : "وقد تضمَّنت هذه الجملة عدَّة مؤكدات من أن واللام والقسم ونون التأكيد؛ وذلك للمبالغة في وعد الطائعين، ووعيد العاصين"(٣).

والتعبير بالخبر بصورةٍ من تلك الصور على خلاف ما يقتضيه ظاهر حال المخاطب يُسمَّى الخروج على خلاف مقتضى الظاهر، ويتمثل في الآتي:

١- تنزيل خالي الذهن منزلة المتردِّد.

٢- تنزيل خالي الذهن منزلة المنكِر (٤).

ومن المعلوم أن الغرض من إلقاء الخبر أحد أمرين: فائدة الخبر، أو لازمها.

أما الأول: وهو إفادة المخاطب الحكم الذي تضمنته الجملة؛ فهذا يقتضي أن يكون المخاطب جاهلاً بأصل الحكم، كقوله تعالى:﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ﴾(٥).

وأما الثاني: لازم الفائدة، أي إفادة المخاطب أن المتكلِّم عالم بالحكم، وهذا الغرض لا يقدِّم فائدة جديدة للمخاطب، فإذا قلت لمخاطبك: قدم أبوك من السفر، وكان المخاطَب يعلم ذلك، وأنت تعلم منه ذلك؛ فإنك لا تريد إخباره في هذا الحال إفادة الحكم الذي تضمنه الخبر، وهو قدوم أبيه؛ لأنه عالم به، وإنما تريد أن تفيده أنك عالم بقدوم أبيه، ويسمى علمك بهذا الحكم لازم الفائدة، أي الأمر الذي تستلزمه الفائدة، أي أن الحكم الذي تضمنه الخبر هو الملزوم،

---

(١) روح المعاني (٢٢/٢٢٢).

(٢) يس (٣١، ٣٢).

(٣) روح المعاني (١٢/١٥١).

(٤) بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح، لعبد المتعال الصعيدي، الناشر: مكتبة المعارف، الرياض، السعودية١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م (١/٣٥).

(٥) الرعد (٢٩).

وحكمك هو اللازم[1]، كما في قوله تعالى: ﴿ قَالَ فِرۡعَوۡنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكۡرٞ مَّكَرۡتُمُوهُ فِي ٱلۡمَدِينَةِ لِتُخۡرِجُواْ مِنۡهَآ أَهۡلَهَاۖ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ﴾[2].

فجملة: (إنَّ هذا لمكر): خبر أريد به لازم الفائدة، والمعنى: قد علمت مرادكم؛ لأن المخاطَب لا يخبَر بشيء صدر منه[3].

"فهذان غرضان رئيسان للخبر عند إلقائه إلى المخاطب: فائدة الخبر إذا كان يخاطب جاهلاً يود إخباره بشيء لم يعرفه، ولازم الفائدة؛ إذا كان المتكلِّم يريد أن يخبر المخاطب بأنه عارف بهذا الخبر ، ليس خافيًا عليه"[4].

وقد تناول الألوسي هذا الضرب في تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهۡلَ قَرۡيَةٍ ٱسۡتَطۡعَمَآ أَهۡلَهَا فَأَبَوۡاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارٗا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥۖ قَالَ لَوۡ شِئۡتَ لَتَّخَذۡتَ عَلَيۡهِ أَجۡرٗا﴾ [5]؛ حيث قال:" فهو سؤال له: لِمَ لم يأخذ الأجرة، واعتراض على ترك الأخذ، فالمراد لازم فائدة الخبر؛ إذ لا فائدة في الإخبار بفعله"[6].

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشۡهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾[7] يقول الألوسي :"التأكيد بإن واللام للازم فائدة

---

(١) انظر: الإيضاح (ص ٢٠ وما بعدها).

(٢) الأعراف (١٢٣).

(٣) انظر: التحرير والتنوير (٥٣/٩/٤).

(٤) البلاغة فنونها وأفنانها، علم المعاني، للدكتور: فضل حسن عباس، دار الفرقان للنشر والتوزيع. عمان، الأردن. الطبعة الحادية عشرة. ٢٠٠٦م (ص ١٠٩).

(٥) الكهف (٧٧).

(٦) روح المعاني (٧/١٦).

(٧) المنافقون (١).

الخبر، وهو علمهم بهذا الخبر المشهود به، فيفيد تأكيد الشهادة، والتأكيد في قوله تعالى: (والله يعلم إنك لرسوله)؛ لمزيد الاعتناء حقيقة بشأن الخبر"[1].

وقد يكون المقصود من الخبر أغراضًا أخرى تتجاوز الفائدة ولازمها، مثل: التحسُّر، إظهار الضعف والعجز، الاسترحام والاستعطاف، التوبيخ، أو غير ذلك مما يقتضيه المعنى. يقول الألوسي مبينًا بعض الأغراض البلاغية للخبر: "كثيرًا ما تورد الجملة الخبرية لأغراض أخرى سوى إفادة الحكم أو لازمه، نحو: ربِّ إني وضعتها أنثى، ربِّ إني وهن العظم مني، لا يستوي القاعدون من المؤمنين.. الآية، إلى غير ذلك مما لا يحصى" [2].

الأغراض البلاغية للخبر:

التحسُّر:

وقد تحدَّث الألوسي عن هذا الغرض في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ .. ﴾[3].

حيث قال :"وليس الغرض من هذا الكلام الإخبار؛ لأنه إما للفائدة أو للازمها، وعِلْمُ الله تعالى محيط بهما، بل لمجرد التحسُّر والتحزُّن، فإن تحزُّنها ذلك إنما هو لترجيحها الذكر على الأنثى"[4].

إظهار الضعف والعجز:

وقد ذكر الألوسي ذلك في تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾[5] حيث قال :"أي لأي شيء تنزله من خزائن كرمك إليَّ من خير -جلَّ أو قلَّ- فقير، أي محتاج، والكلام تعريض لما يطعمه لما ناله من شدَّة الجوع، وتأكيد الجملة للاعتناء"[6].

---

(١) روح المعاني (٢٨/١٠٨).

(٢) روح المعاني (٢٦/٨٥).

(٣) آل عمران (٣٦).

(٤) روح المعاني (٣/١٣٤).

(٥) القصص (٢٤).

(٦) روح المعاني (٢٠/٦٤).

التوبيخ:

وقد تناول الألوسي هذا الغرض من الأغراض التي يخرج لها الخبر في تفسيره لقوله تعالى: ﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۚ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَـٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾[1]. حيث قال في جملة (إنه لكبيركم الذي علَّمكم السحر) :"والمقصود من الجملة الخبرية التوبيخ؛ لأن الخبر إذا لم يُقصد به فائدته ولا لازمها تولَّد منه بحسب المقام ما يناسبه، وهنا لما خاطبهم الجبَّار (فرعون) بما فعلوا مخبراً لهم بذلك، مع ظهور عدم قصد إفادة أحد الأمرين، والمقام هو المقام أفاد التوبيخ والتقريع"[2].

وقد ورد الخبر وقُصِد منه التوبيخ في تفسير الألوسي لقوله تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَـٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَـٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ﴾[3] فقد قال :"ولقد أضلَّ منكم جبلَّا كثيراً استئناف مسوق لتشديد التوبيخ، وتأكيد التقريع ببيان عدم اتعاظهم بغيرهم إثر بيان نقضهم العهد، فالخطاب لمتأخريهم الذين من جملتهم كفار خصوا بزيادة التوبيخ والتقريع؛ لتضاعف جناياتهم، وإسناد الإضلال إلى ضمير الشيطان لأنه المباشر للإغواء"[4].

ويقول الألوسي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾[5] "ففي الآية توبيخ للمنهزمين بأن يقينهم كان حالاً ولم يكن مقامًا"[6].

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَـٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[7].

---

(١) الشعراء (٤٩).

(٢) روح المعاني (٢٧/٩).

(٣) يس (٦٠-٦٢).

(٤) روح المعاني (٤١/٢٣).

(٥) آل عمران (١٤٣).

(٦) روح المعاني (٨١/٤).

(٧) الحشر (٢١).

يقول الألوسي مبيِّنًا الغرض من إلقاء الخبر في الآية الكريمة :"وهذا تمثيل وتخييل لعلو شأن القرآن، وقوَّة تأثير ما فيه من المواعظ والزواجر، والغرض توبيخ الإنسان على قسوة قلبه، وقلَّة تخشعه عند تلاوة القرآن، وتدبُّر ما فيه من القوارع، وهو الذي لو أُنْزِل على جبل وقد رُكِّب فيه العقل لخشع وتصدَّع"[1].

(١) روح المعاني (٢٨/٦١).

المطلب الثاني

الإنشاء

والإنشاء ضربان: طلب، وغير طلب.

الضرب الأول: الإنشاء الطلبي.

"فالطَّلب يستدعي مطلوبًا غير حاصل وقت الطَّلب؛ لامتناع تحصيل الحاصل"[(1)].

وله عدة أقسام، منها:

أولاً: الأمـر:

الأمر في اللغة: "نقيض النَّهْي، أَمَرَه به، وأَمره إياه يأمُرُه أَمْرًا فأْتَمَرَ، أَي قَبِلَ أَمْرَه"[(2)].

والأمر اصطلاحًا: "هو طلب فعل غير كفٍّ على جهة الاستعلاء"[(3)].

"والأظهر أن صيغته من المقترنة باللام، نحو: ليحضر زيد، وغيرها، نحو: أكرم عمْرًا، ورويد بكرًا، موضوعة لطلب الفعل استعلاءً؛ لتبادر الذهن عند سماعها إلى ذلك، وتوقُّف ما سواه على القرينة"[(4)].

جهود الألوسي في الأغراض البلاغية التي يخرج إليها الأمر.

الإباحـة:

"إن صيغة الأمر تستعمل في غير طلب الفعل بحسب مناسبة المقام، كالإباحة، كقولك في مقام الإذن: جالس الحسن أو ابن سيرين، ومن أحسن ما جاء فيه قول كثير:

أسيئي بنا أو أحسني لا ملومة ... لدينا ولا مقلية إن تَقَلَّتِ [(1)]

---

(١) الإيضاح (ص ١٣٤).

(٢) لسان العرب (١/٢٠٣) مادة أمر.

(٣) المطول (ص ٤٢٤).

(٤) الإيضاح (ص ١٤٥) .

وقد أشار الألوسي إلى ذلك، ففي تفسيره لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ غَيۡرَ مُحِلِّي ٱلصَّيۡدِ وَأَنتُمۡ حُرُمٌۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ ۝١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ وَلَا ٱلۡهَدۡيَ وَلَا ٱلۡقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّهِمۡ وَرِضۡوَٰنٗاۚ وَإِذَا حَلَلۡتُمۡ فَٱصۡطَادُواْ﴾[٢].

قال: "وإذا حللتم من الإحرام المشار إليه بقوله سبحانه: (وأنتم حرم) فاصطادوا، أي فلا جناح عليكم بالاصطياد لزوال المانع، فالأمر للإباحة بعد الحظر، ومثله: لا تدخلن هذه الدار حتى تؤدِّي ثمنها، فإذا أدَّيت فادخلها، أي إذا أديت أبيح لك دخولها"[٣].

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿لَّوۡلَا كِتَٰبٞ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمۡ فِيمَآ أَخَذۡتُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ۝٦٨ فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمۡتُمۡ حَلَٰلٗا طَيِّبٗاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾[٤].يقول الألوسي :"الإباحة ثبتت هنا بقرينة أن الأكل إنما أُمر به، وقوله تعالى (حلالاً)، أي أكلاً حلالاً، وفائدة ذكره، وكذا ذكر قوله تعالى (طيِّبًا) تأكيد الإباحة، لما في العتاب من الشدَّة"[٥].

ويقول في تفسيره لقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ذَلُولٗا فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ﴾[٦].

"إن الأمر في الموضعين (فامشوا، وكلوا) للإباحة"[٧].

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحۡلَةٗۚ فَإِن طِبۡنَ لَكُمۡ عَن شَيۡءٖ مِّنۡهُ نَفۡسٗا فَكُلُوهُ هَنِيٓـٔٗا مَّرِيٓـٔٗا﴾[٨]. قال: "وكيفما كان الأمر يكون قوله سبحانه ذلك عبارة عن التحليل، والمبالغة في الإباحة، وإزالة التبعة"[١].

---

(١) المصدر نفسه (ص ١٤٥). "لم أقف على ديوان شعر لكثير".

(٢) المائدة (١-٢).

(٣) روح المعاني (٦/٥٥).

(٤) الأنفال (٦٨-٦٩).

(٥) روح المعاني (١٠/٣٦).

(٦) الملك (١٥).

(٧) روح المعاني (٢٩/١٥).

(٨) النساء (٤).

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿ لِّيَشْهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۖ فَكُلُواْ مِنْهَا وَأَطْعِمُواْ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ﴾[٢].

قال الألوسي: "والأمر في "كلوا" للإباحة؛ بناءً على أن الأكل كان منهيًّا عنه شرعًا، والأمر بعد المنع يقتضي الإباحة"[٣].

ويقول في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾[٤]. "والأمر في الآية للإباحة، ففيها إباحة الإتيان، لكنه مقيَّد بقوله سبحانه: "من حيث أمركم الله"[٥].

النصح والإرشاد:

وقد تناول الألوسي هذا المعنى الذي يخرج إليه الأمر في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾[٦]. حيث قال: "أي قيل لهم بطريق النصيحة والإرشاد إلى ما فيه نفعهم: أنفقوا بعض ما آتاكم الله من فضله على المحتاجين؛ فإن ذلك مما يرد البلاء، ويدفع المكاره"[٧].

التوبيخ:

وقد تناوله الألوسي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾[٨]. حيث قال: "واعلموا أن الله غني عن

(١) روح المعاني (٤/٢٠٠).
(٢) الحج (٢٨).
(٣) روح المعاني (١٧/١٤٦).
(٤) البقرة (٢٢٢).
(٥) روح المعاني (٢/١٢٣).
(٦) يس (٤٧).
(٧) روح المعاني (٢٣/٣٠).
(٨) البقرة (٢٦٧).

نفقاتكم، وإنما أمركم بها لانتفاعكم، وفي الأمر بأن يعلموا ذلك مع ظهور علمهم به توبيخ لهم على ما يصنعون من إعطاء الخبيث"(١).

التعجيز:

وقد ورد في تفسير الألوسي لقوله تعالى: ﴿ فَأْتُواْ بِكِتَٰبِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾(٢). حيث قال الألوسي معلِّقًا على الآية: "أي كتابكم الناطق بصحة دعواكم، والأمر للتعجيز، وإضافة الكتاب إليهم للتهكُّم، وفي الآية من الإنكار الفظيع لأقاويلهم، والاستبعاد الشديد لأباطيلهم وتسفيه أحلامهم، وتركيك عقولهم وأفهامهم، مع استهزاء بهم، وتعجُّب من جهلهم ما لا يخفى على من تأمَّل فيها"(٣).

التهديد:

يقول الألوسي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا ۖ فَتَرَبَّصُوٓاْ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴾(٤).

"والمراد من الأمر (في تربصوا) التهديد"(٥).

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿لِيَكْفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ ۚ فَتَمَتَّعُواْ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾(٦).

يقول الألوسي: "فتمتعوا أمر تهديد، كما هو أحد معاني الأمر المجازيَّة، كما يقول السيد لعبده "افعل ما تريد"، والالتفات إلى الخطاب للإيذان بتناهي السخط"(٧).

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴾(٨).

---

(١) روح المعاني (٣/٤٠).

(٢) الصافات (١٥٧).

(٣) روح المعاني (٢٣/١٥١).

(٤) التوبة (٥٢).

(٥) روح المعاني (٧/٢٥٧).

(٦) النحل (٥٥).

(٧) روح المعاني (١٤/١٦٦).

(٨) الإسراء (٦٤).

يقول الألوسي: "والمراد من الأمر في "واستفزز" التهديد، وكذا من الأوامر التي أتت بعده، ويمنع من إرادة الحقيقة أنَّ الله تعالى لا يأمر بالفحشاء"(١).

الإهانة والتحقير:

ونرى ذلك واضحًا من خلال تفسير الألوسي لقوله تعالى: ﴿ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ۝٦٣ ٱصۡلَوۡهَا ٱلۡيَوۡمَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ﴾(٢).

حيث قال :"اصلوها اليوم: أمر تحقير وإهانة"(٣).

وأيضا تناول الألوسي هذا الأسلوب في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَيَوۡمَ يُعۡرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ أَلَيۡسَ هَٰذَا بِٱلۡحَقِّۖ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَاۚ قَالَ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ﴾(٤).

حيث قال :"فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون... ومعنى الأمر الإهانة بهم، فهو تهكُّم وتوبيخ، وإلا لكان تحصيلاً للحاصل"(٥).

ثانيًا: النهي.

النَّهْيُ في اللغة: "خلاف الأَمر، نَهاه يَنْهاه نَهْيًا فانْتَهى وتناهى، كَفَّ" (٦).

والنهي في اصطلاح البلاغيين: "هو طلب الكف عن الفعل استعلاءً"(٧).

---

(١) روح المعاني (١١١/١٥).

(٢) يس (٦٣-٦٤).

(٣) روح المعاني (٤١/٢٣).

(٤) الأحقاف (٣٤).

(٥) روح المعاني (٣٤/٢٦).

(٦) لسان العرب (٣١٢/١٤) مادة نهي.

(٧) المطول (ص ٤٢٧).

"وله حرف واحد، وهو لا الجازمة في قولك: لا تفعل، وهو كالأمر في الاستعلاء، وقد يستعمل في غير طلب الكف أو الترك، كالتهديد، كقولك لشخص لا يمتثل أمرك: لا تمتثل أمري"[1].

وقد يَرِد النهي ويراد به المعنى الحقيقي للنهي (وهو طلب الكف عن الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام)، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضۡعَٰفٗا مُّضَٰعَفَةٗۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾[2].

جهود الألوسي في النهي:

لقد تحدَّث الألوسي عن النهي في قوله تعالى: "لا تأكلوا" فقال:"وإيراد النهي عن الربا بخصوصه هنا لما أن الترغيب في الإنفاق في السرَّاء والضرَّاء –الذي عمدته الإنفاق في سبيل الجهاد– متضمن للترغيب في تحصيل المال، فكان مظنة مبادرة الناس إلى طرق الاكتساب، ومن جملتها –بل أسهلها– الربا، فنهوا عنه"[3].

كما ورد النهي الحقيقي في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ﴾[4].

وقد علَّق الألوسي على النهي قي هذه الآية فقال :"ولا يخفى ما في الجمع بين التوصية بحفظ المال، والوصية بحفظ النفس من الملاءمة؛ لما أن المال شقيق النفس من حيث إنه سبب لقوامها، وتحصيل كمالاتها، واستيفاء فضائلها، والملاءمة بين النهيين أتم، وقُدِّم النهي الأول؛ لكثرة التعرُّض لما نُهي عنه"[5].

---

(١) الإيضاح في علوم البلاغة (ص ١٤٦).

(٢) آل عمران (١٣٠).

(٣) روح المعاني (٥٤/٤).

(٤) النساء (٢٩).

(٥) روح المعاني (١٦/٥).

وفي قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْۖ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَۖ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾(1).

يقول الألوسي، مبيناً أن النهي حقيقي :" فجملة نحن... الخ استئناف مسوق لتعليل النهي، وإبطال سببية ما اتخذوه سببًا لمباشرة المنهي عنه، وضمان منه تعالى لأرزاقهم، أي نحن نرزق الفريقين لا أنتم، فلا تقدموا على ما نهيتم عنه لذلك، وتعليق النهي بقربانها (في قوله: ولا تقربوا الفواحش)، إما للمبالغة في الزجر عنها؛ لقوة الدواعي إليها، وإما لأن قربانها داعٍ إلى مباشرتها"(2).

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾(3) يوضِّح الألوسي المعنى الحقيقي للنهي الذي اشتملت عليه الآية الكريمة، حيث قال :"المراد من قوله: "ولا تقل لهما أف" المنع من إظهار الضجر القليل والكثير، والمراد من قوله سبحانه: "ولا تنهرهما" المنع من إظهار المخالفة في القول على سبيل الرد عليهما، والتكذيب لهما، ولذا روعي هذا الترتيب، وإلا فالمنع من التأفيف يدل على المنع من النهر بطريق الأولى، فيكون ذكره بعده عبثًا"(4).

وقد يخرج النهي عن معناه الحقيقي –وهو طلب الكف عن الفعل– إلى معانٍ بلاغية أخرى، تفهم من السياق، وقرائن الأحوال، وهي كثيرة، منها:

النصح والموعظة:

وقد تطرق الألوسي إلى هذا الضرب في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَاۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِي

(1) الأنعام (151).

(2) روح المعاني (8/54).

(3) الإسراء (23).

(4) روح المعاني (15/55).

﴿ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾[1] حيث قال: "وفي نهيهم إياه عن نسيان نصيبه من الدنيا حضٌ عظيم له على التزود من ماله للآخرة.. وفي قوله "لا تبغ الفساد في الأرض" نهي عن الاستمرار على ما هو عليه من الظلم والبغي، وهذه الموعظة بأسرها كانت من مؤمني قومه كما هو ظاهر الآية"[2].

التسلية والإيناس :

وقد أورد الألوسي ذلك في تفسيره لقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ﴾[3].

حيث قال :"وهذا وإن كان بحسب الظاهر نهيًا للكفرة عن أن يحزنوه ﷺ بمسارعتهم في الكفر، لكنه في الحقيقة نهي له عليه الصلاة والسلام عن التأثر من ذلك والمبالاة، والغرض منه مجرد التسلية على أبلغ وجه وآكده؛ فإن النهي عن أسباب الشيء ومبادئه المؤدية إليه نهي عنه بالطريق البرهاني، وقطع له من أصله"[4].

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾[5] يقول الألوسي :" لا تحزن ليس المقصود منه حقيقة النهي عن الحزن؛ فإنه من الأمور التي لا تدخل تحت التكليف، بل المقصود منه التسلية للصدِّيق رضي الله تعالى عنه"[6].

---

(١) القصص (٧٧).

(٢) روح المعاني (١١٣/٢٠).

(٣) المائدة (٤١).

(٤) روح المعاني (١٣٥/٦).

(٥) التوبة (٤٠).

(٦) روح المعاني (١٠١/١٠).

التيئيس:

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿لَا تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ مُجْرِمِينَ ﴾[1].

بيَّن الألوسي أن النهي في الآية لم يرد بمعنى النهي الحقيقي، وإنما المراد منه مجرد التيئيس، حيث قال: "لا تعتذروا، أي لا تشتغلوا بالاعتذار، وتستمروا عليه، فليس النهي عن أصله؛ لأنه قد وقع، وإنما نهوا عن ذلك لأن ما يزعمونه معلوم الكذب بيِّن البطلان"[2].

ويقول الألوسي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَعْتَذِرُواْ ٱلْيَوْمَ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[3].

"ونهيهم عن الاعتذار؛ لأنهم لا عذرَ لهم؛ أو لأنَّ العذر لا ينفعهم"[4].

ثالثًا: الاستفهــــام.

الاستفهام في اللغة: "طلب الفهم، يقال: أَفْهَمه الأَمرَ وفَهَّمه إياه؛ جعله يَفْهَمُه، واسْتَفْهَمه؛ سأَله أن يُفَهِّمَه"[5].

وفي اصطلاح البلاغيين هو: "طلب حصول صورة الشيء في الذهن بأدوات مخصوصة، كالهمزة، وهل، وما، ومَنْ، وأي، وكم، وكيف، وأين، وأنَّى، ومتى، وأيان"[6].

"فالهمزة في الاستفهام تستعمل للتصديق، وللتصوُّر؛ فإن كان وقوع النسبة بين الأمرين أو لا وقوعها فمحصولها هو التصديق، وإن لم تكن تلك الصورة وقوع نسبة أو لا وقوعها فهو التصوُّر.

---

(١) التوبة (٦٦).

(٢) روح المعاني (١٣١/١٠).

(٣) التحريم (٧).

(٤) روح المعاني (١٥٧/٢٨).

(٥) لسان العرب (٣٤٣/١٠) مادة فهم .

(٦) بغية الإيضاح (٣٠/٢).

وأداة الاستفهام (هل) تستعمل للتصديق فقط، أي لإدراك وقوع النسبة، أو عدم وقوعها، وهذا معنى الحكم، والإسناد، وما يجري مجراه.

وطلب التصديق راجع إلى تفصيل المجمل، فإنك إذا قلت: أقام زيد؟ تعلم أن أحد الأمرين -وهو إما قيام زيد، أو عدم قيامه- واقع قطعًا، لكن المعيَّن غير معلوم وقوعه، فأنت عالم بالإجمال، جاهل بالتفصيل، فتطلب بقولك: أقام زيد؟ تفصيل ذلك المجمل المعلوم.

والتصوُّر هو حصول صورة غير النسبة المذكورة، سواء كان التصوُّر تصوُّر المسند إليه أو تصوُّر المسند، كقولك في طلب تصوُّر المسند إليه: أماءٌ في الإناء أم خلٌّ؟ عالمِا بحصول شيء في الإناء، طالبًا لتعيينه، يعني أنك تعلم أن في الإناء معلومًا في هذه الصورة، وإنما المجهول أن الكائن ما هو؟ فالكائن معلوم إجمالاً؛ إذ من المعلوم أنه أحدهما مجهول تفصيلاً؛ إذ لا يعلم أنه ماء على التعيين، أم خلٌّ على التعيين.

وفي طلب تصوُّر المسند: أفي الخابية خلُّك أم في الزِّق؟ عالمِا بكون الخل في واحد من الخابية والزق، طالبًا لتعيين ذلك، أي أن الكائن الذي هو الخل معلوم على التعيين، وإنما المجهول هو الظرف الكائن فيه، فإنه غير معلوم يقينًا؛ إذ من المعلوم أنه في أحدهما، إما الخابية، وإما الزق، فهو مجهول تفصيلاً"[1].

علمًا أن جميع أدوات الاستفهام تحمل معاني تختص بها، ولها غرضها الذي وُضِعت له.

جهود الألوسي في الاستفهام:

(١) خلاصة المعاني، للحسن بن عثمان بن الحسين المفتي، تحقيق: الدكتور عبد القادر حسين، الناشرون العرب، الرياض، المملكة العربية السعودية. (٢٣٧- ٢٣٧).

لقد تطرَّق الألوسي للاستفهام عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾[1].

حيث قال: "الاستفهام بكيف إنما هو سؤال عن شيء متقرِّر الوجود عند السائل والمسؤول، فالاستفهام هنا عن هيئة الإحياء المتقرّر عند السائل، أي بصِّرني كيفية إحيائك للموتى.. وإنما سأله عليه السلام لينتقل من مرتبة علم اليقين إلى عين اليقين.

فالسؤال لم يكن عن شكٍّ في أمر ديني -والعياذ بالله- ولكنه سؤال عن كيفية الإحياء ليحيط علمًا بها، وكيفية الإحياء لا يشترط في الإيمان الإحاطة بصورتها، فالخليل -عليه السلام- طلب علم ما لا يتوقف الإيمان على علمه، ويدل على ذلك ورود السؤال بصيغة (كيف)، وموضوعها السؤال عن الحال. ونظير هذا أن يقول القائل: كيف يحكم زيد في الناس؟ فهو لا يشك أنه يحكم فيهم، ولكنه سأل عن كيفية حكمه المعلوم ثبوته، ولو كان سائلاً عن ثبوت ذلك لقال: أيحكم زيد في الناس؟"[2].

سبق القول بأن الاستفهام الحقيقي هو السؤال عما يجهله السائل، وهو في هذه الحالة ينتظر جوابًا عن سؤاله، لكن أدوات الاستفهام قد تؤدي معانيَ أخرى غير السؤال، وهذه المعاني تُفْهَم من سياق الكلام، ومن قرائن الأحوال، ومن ذلك ما يأتي:

الاستفهام الإنكاري:

وذلك إذا وجد المستَفْهِمُ نفسَه أمام أمر لا يرضى عنه، فإنه -والحالة هذه- يورد كلامه على سبيل الإنكار لهذا الأمر، كقولي لأحد الإخوة: أتصلي منفردًا والجماعة قائمة؟ ولأحد طلابي: أتتكلَّم وأنا أشرح؟!

---

(١) البقرة (٢٦٠).

(٢) روح المعاني (٣/٢٦).

والإنكار إما للتوبيخ، وإما للتكذيب، والتوبيخ إما أن يكون على أمر حصل في الماضي، كقولك لابنك: أخطبتَ دون علمي؟ أي ما كان ينبغي أن يحصل ذلك، وإما أن يكون على أمر حاصل الآن، أو يُخْشَى حصوله في المستقبل، كقولك لزميلك: أتفطر في رمضان؟ وذلك إذا كان مفطرًا فعلاً، أو ناويًا أن يفطر[1].

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِ ۗ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا ﴾[2].

يقول الألوسي مبيِّنًا أن الاستفهام إنكاري: "(ومن أصدق من الله حديثًا) الاستفهام إنكاري، والتفضيل باعتبار الكميّة في الأخبار الصادقة لا الكيفيّة؛ إذ لا يتصوَّر فيها تفاوت، لما أن الصدق المطابقة للواقع، وهي لا تزيد، فلا يقال لحديث معيَّن: إنه أصدق من آخر إلا بتأويل وتجوُّز، والمعنى لا أحد أكثر صدقًا منه تعالى في وعده، وسائر أخباره، ولنفي المساواة أيضًا، كما في قولهم: ليس في البلد أعلم من زيد، وإنما كان كذلك لاستحالة نسبة الكذب إليه سبحانه بوجه من الوجوه"[3].

كما بيَّن الألوسي أن الاستفهام إنكاري في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۚ أَيَبۡتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلۡعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعٗا ﴾[4].

حيث قال :"والاستفهام في (أيبتغون) للإنكار، والجملة معترضة مقررة لما قبلها، والجملة تعليل لما يفيده الاستفهام الإنكاري من بطلان رأيهم، وخيبة رجائهم"[5].

---

(١) البلاغة الاصطلاحية، للدكتور: عبده عبد العزيز قلقيلة، دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الثالثة ١٤١٢هـ-١٩٩١م. (ص ١٧٠).

(٢) النساء (٨٧).

(٣) روح المعاني (١٠٤/٥).

(٤) النساء (١٣٩).

(٥) روح المعاني (١٧٢/٥).

كما تناول الألوسي الاستفهام الإنكاري بشيء من التفصيل في كثير من الآيات، ففي تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴾[1].

يقول الألوسي: "أتأتون الفاحشة، أي أتفعلون الفعلة المتناهية في القبح والسماجة؟! والاستفهام إنكاري.. وقوله تعالى: (وأنتم تبصرون) جملة حاليَّة من فاعل تأتون، مفيدة لتأكيد الإنكار، فإن تعاطي القبيح من العالم بقبحه أقبح وأشنع"[2].

كما جاء الاستفهام الإنكاري في تفسير الألوسي لقوله تعالى:﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾[3].

حيث قال :"ثم إنه سبحانه أعاد الحث على الانتهاء بصيغة الاستفهام الإنكاري مع الجملة الاسميَّة مرتبًا على ما تقدَّم من أصناف الصوارف، فقال جل شأنه (فهل أنتم منتهون) إيذانًا بأن الأمر في الردع والمنع قد بلغ الغاية، وأن الأعذار قد انقطعت بالكليَّة، حتى إن العاقل إذا خلى ونفسه بعد ذلك لا ينبغي أن يتوقَّف في الانتهاء"[4].

ويقول الألوسي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٥﴾ أَتُتْرَكُونَ فِى مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ ﴾[5] .

مبينًا المعنى الذي خرج إليه الاستفهام :"فيه إنكار لأن يُتْركوا فيما هم فيه من النعمة آمنين عن عذاب يوم عظيم، وكأنَّ القوم اعتقدوا ذلك، فأنكره عليه السلام عليهم"[6].

---

(١) النمل (٥٤).
(٢) روح المعاني (١٩/٢١٦).
(٣) المائدة (٩١).
(٤) روح المعاني (٧/١٧).
(٥) الشعراء (١٤٥-١٤٦).
(٦) روح المعاني (١٩/١١٢).

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشۡرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيۡـٔٗاۚ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾(1).

يقول الألوسي :"والاستفهام لإنكار الوقوع ونفيه بالكليَّة، وفي توجيه الإنكار إلى كيفية الخوف من المبالغة ما ليس في توجيهه إلى نفسه بأن يقال: أأخاف، لما أن كل موجود لا يخلو عن كيفيَّة، فإذًا انتفى وجوده من جميع الجهات بالطريق البرهاني"(2).

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسۡتَغۡفِرُونَهُۥۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾(3) يقول الألوسي: "والاستفهام في قوله تعالى: أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه للإنكار، وفيه تعجيب من إصرارهم، أو عدم مبادرتهم إلى التوبة، والفاء للعطف على مقدَّر يقتضيه المقام، أي ألا ينتهون عن تلك العقائد الزائغة، والأقوال الباطلة، فلا يتوبون إلى الله تعالى الحق، ويستغفرونه بتنزيهه تعالى عمَّا نسبوه إليه ﷻ"(4).

ويقول الألوسي في تفسير قوله تعالى:﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۚ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴾(5).

"والاستفهام إنكاري، والمراد إنكار استواء من لا يعلم ما ذُكِر من الحقائق ومن يعلمها، مع الإشعار بكمال ظهورها، والتنفير عن الضلال، والترغيب في الاهتداء "(6).

وفي تفسيره لقوله تعالى :﴿فَإِن لَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهۡوَآءَهُمۡۚ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيۡرِ هُدٗى مِّنَ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾(7).

---

(١) الأنعام (٨٠).

(٢) روح المعاني (٧/٢٠٥).

(٣) المائدة (٧٤).

(٤) روح المعاني (٦/٢٠٨).

(٥) الأنعام (٥٠).

(٦) روح المعاني (٧/١٥٦).

(٧) القصص (٥٠).

يقول الألوسي :"ومن أضلّ ممن اتبع هواه، استفهام إنكاري للنفي، أي لا أضلّ ممن اتبع هواه بغير هدى من الله، أي هو أضلّ من كل ضال، وإن كان ظاهر السبك لنفي الأضلّ، لا لنفي المساوي"[1].

التقرير:

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾[2].

يقول الألوسي: "والاستفهام للتقرير، أي قل تقريرًا لهم باختصاص الهلاك بهم: أخبروني إن أتاكم عذابه -جل شأنه- حسبما تستحقونه هل يهلك بذلك العذاب إلا أنتم؟ أي هل يهلك غيركم ممن لا يستحقه؟"[3].

ويقول الألوسي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ ۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِى ۖ قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[4] : (قالوا أئنك لأنت يوسف) استفهام تقرير، ولذلك أكّد بإن واللام؛ لأن التأكيد يقتضي التحقق المنافي للاستفهام الحقيقي"[5].

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴾[6].

---

(١) روح المعاني (٩٣/٢٠).

(٢) الأنعام (٤٧).

(٣) روح المعاني (١٥٤/٧).

(٤) يوسف (٩٠).

(٥) روح المعاني (٤٨/١٣).

(٦) الأنعام (٥٣).

يقول الألوسي :"(أليس الله بأعلم بالشاكرين) ردٌّ لقولهم ذلك، وإشارة إلى أن مدار استحقاق ذلك الإنعام معرفة شأن النعمة، والاعتراف بحق المنْعِم، والاستفهام للتقرير بعلمه البالغ بذلك"[1].

التوبيخ:

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِهِۦٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوٓا۟ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَـٰفِرِينَ﴾[2].

يقول الألوسي: "والاستفهام غير حقيقي، بل للتوبيخ والتقريع، وعليه فلا جواب"[3].

وقد بين الألوسي في مواضع كثيرة أن الاستفهام قد يخرج عن معناه الحقيقي ليفيد معانيَ أخرى تُفْهَم من السياق. ففي تفسير قوله تعالى :﴿وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَـٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾[4] يرى الألوسي أن الغرض من الاستفهام التوبيخ، وذلك يتضح جليًّا من قوله :"وهذا كما تقول إذا لخصت لسائل مسألة، ولم تدع من طرق البيان مسلكًا إلا سلكته: هل فهمتَها؟ وفي ذلك تعيير بالمعاندة، وقلَّة الإنصاف، وتوبيخ بالبلادة، وجمود القريحة"[5].

وفي تفسيره لقوله تعالى:﴿ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُوا۟ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾[6].

---

(١) روح المعاني (١٦٣/٧).

(٢) الأعراف (٣٧).

(٣) روح المعاني (١١٥/٨).

(٤) آل عمران (٢٠).

(٥) روح المعاني (١٠٨/٣).

(٦) غافر (٧٣-٧٤).

يقول الألوسي :"وصيغة الماضي للدلالة على تحقُّق الوقوع، والسؤال للتوبيخ"(١).

وفي تفسيره لقوله تعالى :﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ﴾(٢).

يقول الألوسي: "والمراد بهذا السؤال تقريعهم، وتوبيخهم على طغيانهم وجحودهم الحق بعد وضوح الآيات، لا أن يجيبوا فيعلم من جوابهم، كما إذا أراد واحد منا توبيخ أحد يقول لمن حضر: سله كم أنعمتُ عليه؟"(٣).

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِي بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلۡتُهُۥ فَقَدۡ عَلِمۡتَهُۥۚ تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ﴾(٤).

فصَّل الألوسي المعاني التي خرج إليها الاستفهام عن معناه الحقيقي، حيث قال :"وفيه كمال توبيخ الكفرة بنسبة هذا القول إليه، وفي قوله تعالى: اتخذوني وأمي، دون واتخذوني ومريم توبيخ على توبيخ، كأنه قيل: أأنت قلت ما قلت مع كونك مولودًا، وأمك والدة، والإله لا يلد ولا يولد، و في ندائه –عليه الصلاة والسلام– على الكيفيَّة المذكورة إشارة إلى إبطال ذلك الاتخاذ"(٥).

استفهام النفي:

ويقول الألوسي في تفسيره لقوله تعالى :﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾(٦).

---

(١) روح المعاني (٢٤/٨٦).
(٢) البقرة (٢١٠).
(٣) روح المعاني (٢/٩٩).
(٤) المائدة (١١٦).
(٥) روح المعاني (٧/٦٥).
(٦) الأنعام (٢١).

"وأظلم أفعل تفضيل خبر عن مَنْ، ولا يراد بالاستفهام حقيقته، وإنما هو بمعنى النفي، فيؤول إلى الخبر، أي لا أحد أظلم من ذلك"[1].

التهكم والسخرية والاستهزاء:

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿ قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوۡ أَن نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴾[2].

قال الألوسي: "بنوا استفهامهم، وأخرجوا كلامهم، وقالوا -بطريق الاستهزاء-: أصلاتك التي هي من نتائج الوسوسة، وأفاعيل المجانين تأمرك بأن نترك ما استمرَّ على عبادته آباؤنا جيلاً بعد جيل من الأوثان والتماثيل"[3].

وفي تفسيره لقوله تعالى:﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمۡ فَقَالَ أَلَا تَأۡكُلُونَ ۝ مَا لَكُمۡ لَا تَنطِقُونَ﴾[4].

يقول الألوسي: "فقال للأصنام استهزاء : ألا تأكلون من الطعام الذي عندكم، وكان المشركون يضعون في أيام أعيادهم طعامًا لدى الأصنام لتبرك عليه، وأتى بضمير العقلاء؛ لمعاملته -عليه السلام- إياهم معاملتهم"[5].

رابعًا: التمنِّي.

التَّمَنِّي في اللغة: "تَشَهِّي حصول الأمر المرغوب فيه، وحديثُ النَّفْس بما يكون وما لا يكون، تمنَّيتُ الشيء أَي قدَّرتُه، وأحببتُ أن يصير إليَّ، وتَمَنَّى الشيءَ أَراده"[6].

---

(١) روح المعاني (٣٦٣/١).

(٢) هود (٨٧).

(٣) روح المعاني (١١٧/١٢).

(٤) الصافات (٩١-٩٢).

(٥) روح المعاني (١٢٣/٢٣).

(٦) لسان العرب (٢٠٣/١٣) مادة مني.

والتمنِّي في اصطلاح البلاغيين :"هو طلب حصول شيء على سبيل المحبَّة"[1].

"ولا يشترط في التمني الإمكان؛ تقول: ليت زيدًا يجيء، وليت الشباب يعود"[2].

ومنه قول أبي العتاهية:

فيَا لَيتَ الشّبابَ يَعُودُ يَوْمًا فأُخبرَهُ بمَا فَعَلَ المشِيبُ[3].

جهود الألوسي في التمني:

لقد تحدَّث الألوسي عن هذا الأسلوب في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَصَٰبَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ ٱللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنۢ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾[4]. حيث قال :" ونصب أفوز على جواب التمني، وقرئت فأفوزُ بالرفع على تقدير فأنا أفوز في ذلك الوقت، أو العطف على خبر ليت، فيكون داخلا في التمني"[5].

كما تحدَّث الألوسي عن أداة التمني ليت بقوله :"وليت من أعمال القلب أو الاشتهاء بالقلب، ومحبَّة الحصول مع القول"[6].

وقد يتمنى بهل كقول القائل: "هل لي من شفيع" في مكان يعلم أنه لا شفيع له فيه؛ لإبراز المتمنَى –لكمال العناية به– في صورة الممكن، وعليه قوله تعالى حكاية عن الكفار ﴿فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُواْ لَنَآ﴾[7][8].

---

(١) المطول (ص ٤٠٧).

(٢) الإيضاح (ص ١٣٤).

(٣) ديوان أبي العتاهية، جمع وشرح: كرم البستاني، دار صادر، بيروت، لبنان. (١/١٩).

(٤) النساء (٧٣).

(٥) روح المعاني (٥/٨١).

(٦) المصدر نفسه (١/٣٢٨).

(٧) الأعراف (٥٣).

(٨) الإيضاح (ص ١٣٤).

يقول الألوسي في تفسير قوله تعالى: ﴿قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ۝ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ ۖ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُواْ ۚ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِيِّ ٱلْكَبِيرِ﴾(١) "ومثل هذا التركيب يستعمل عند اليأس، وليس المقصود به الاستفهام، وإنما قالوه من فرط قنوطهم تعللاً أو تحيرًا، ولذلك أجيبوا بذكر ما أوقعهم في الهلاك، وهو قوله تعالى (ذلكم بأنه إذا دعي الله وحده كفرتم... الخ) من غير جواب عن الخروج نفيًا أو إثباتًا"(٢).

وقد يتمنى بلو كقولك "لو تأتيَني فتحدثني" بالنصب(٣).

يقول الألوسي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ۝ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ۝ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾(٤).

"ولو في قوله تعالى: (فلو أن لنا كرّة) مستعملة في التمني؛ بدليل نصب قوله سبحانه (فنكون من المؤمنين) في جوابها، وأصلها لو الامتناعية، وحيث إن التمني يكون لما يمتنع أريد بها ذلك"(٥).

خامسًا: النـــداء.

النداء في اللغة:

جاء في لسان العرب :" والنِّداء ممدود الدُّعاء بأَرفع الصوت، وقد نادَيْته نِداء"(٦).

والنداء في اصطلاح البلاغيين: "طلب المتكلِّم إقبال المخاطب بحرف نائب مناب أدعو، ملفوظًا، أي نحو يا زيد ، وكقوله تعالى: "يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلي"، أو تقديرًا نحو "يوسف أعرض عن هذا "أي يا يوسف" (١).

---

(١) غافر (١١-١٢).

(٢) روح المعاني (٢٤/٥٤).

(٣) الإيضاح (ص ١٣٤).

(٤) الشعراء (١٠٠-١٠٢).

(٥) روح المعاني (١٩/١٠٦).

(٦) لسان العرب (١٤/٩٧) مادة ندي.

جهود الألوسي في النداء:

لقد تناول الألوسي أسلوب النداء، وبيَّن معاني حروفه، وفصَّل ذلك، ففي تفسيره لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾[٢] يقول الألوسي: "و(يا) حرف وضع لنداء البعيد، وقيل لمطلق النداء، أو مشتركة بين أقسامه، وعلى الأول ينادى بها القريب لتنزيله منزلة غيره؛ إما لعلو مرتبة المنادَى أو المنادِي، وقد ينزل غفلة السامع وسوء فهمه منزلة بعده، وقد يكون ذلك للاعتناء بأمر المدعو له والحث عليه؛ لأن نداء البعيد وتكليفه الحضور لأمر يقتضي الاعتناء والحث، فاستعمل في لازم معناه"[٣].

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلۡ عَلَيۡنَا مَآئِدَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدٗا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةٗ مِّنكَۖ وَٱرۡزُقۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾[٤].

قال الألوسي: "فقال: اللهم ربنا، ناداه سبحانه وتعالى مرتين، مرة بوصف الإلوهية الجامعة لجميع الكمالات، وأخرى بوصف الربوبية المنبئة عن التربية؛ إظهارًا لغاية التضرُّع، ومبالغة في الاستدعاء"[٥].

ويقول الألوسي: "وأصل اللهم: يا الله، فحذفت يا، وعوِّض عنها الميم، وأوثرت لقربها من الواو التي هي حرف علَّة، وشدِّدت لكونها عوضًا عن حرفين، وجمعها مع "يا" كما في قوله:

إني إذا ما حدث ألما أقول يا اللهم يا اللهما (شاذ)[٦]

وهذا من خصائص الاسم الجليل، كعدم حذف حرف النداء منه من غير ميم، ودخوله عليه مع حرف التعريف"[١].

(١) خلاصة المعاني (ص ٢٤٧).

(٢) البقرة (٢١).

(٣) روح المعاني (١/١٨١).

(٤) المائدة (١١٤).

(٥) روح المعاني (٧/٦٠).

٦) لم أقف له على قائل معيَّن.

"وقد يحذف حرف النداء لضيق المقام، ومثله قوله تعالى على لسان هارون مخاطبًا موسى عليهما السلام : (قال ابن أمَّ إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلوني فلا تشمت بي الأعداء)[٢].

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ۚ وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ﴾[٣].

يقول الألوسي: "يوسف حذف منه حرف النداء؛ لقربه، وكمال تفطُّنه للحديث، وفي ندائه باسمه تقريبٌ له عليه السلام وتلطيف"[٤].

الضرب الثاني: الإنشاء غير الطَّلبي.

وهو :"ما لا يستدعي مطلوبًا، إلاَّ أنّه يُنْشِئُ أمرًا مرغوبًا في إنشائه، وله أنواع وصيغ تدل عليه"، ويشمل (صيغ التعجب- القسم- المدح والذم- الرجاء)[٥].

أولاً: التعجُّب.

"العُجْبُ والعَجَبُ إنكارُ ما يَرِدُ عليك لِقِلَّةِ اعتِيادِه، وقد عَجِبَ منه يَعْجَبُ عَجَبًا وتَعَجَّبَ واسْتَعْجَبَ، والاستِعجابُ شِدَّةُ التَّعَجُّبِ، قال ابن الأَثير: إطلاقُ العَجَب على اللّه تعالى مجاز؛ لأنه لا يخفى عليه أسبابُ الأَشياء، والتَّعجُّبُ مما خَفِيَ سببه ولم يُعْلَم"[٦].

جهود الألوسي في التعجُّب:

لقد تطرَّق الألوسي لهذا الضرب من الإنشاء غير الطلبي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا ۖ لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلْيَوْمَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾[١].

---

(١) المصدر نفسه (١١٣/٣).

(٢) نفسه (٦٨/٩).

(٣) يوسف (٢٩).

(٤) روح المعاني (٢٢٤/١٢).

(٥) انظر البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها (٢٢٤/١).

(٦) لسان العرب (٥١/٩)، مادة عجب.

حيث قال: "اسمع بهم وأبصر تعجيب من حدَّة سمعهم وأبصارهم يومئذ، ومعناه أن أسماعهم وأبصارهم يوم يأتوننا للحساب والجزاء (أي يوم القيامة) جدير بأن يتعجَّب منهما، بعد أن كانوا في الدنيا صمًّا وعميًا"(٢).

وأيضا تطرَّق الألوسي لهذا الأسلوب في تفسيره لقوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُواْ ۖ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ ۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا﴾(٣).

حيث قال: "(أبصر به وأسمع) صيغتا تعجُّب، والهاء ضميره تعالى، والكلام مندرج تحت القول، فليس التعجُّب منه سبحانه، ليقال ليس المراد منه حقيقته لاستحالته عليه تعالى، بل المراد أن ذلك أمر عظيم من شأنه أن يُتعجب منه، ولا يمتنع صدور التعجُّب من بعض صفاته – سبحانه– وأفعاله ﷻ حقيقة من غيره تعالى. وأيًّا ما كان ففيه إشارة إلى أن شأن بصره تعالى وسمعه ﷻ وهما صفتان غير راجعتين إلى صفة العلم خارج عمَّا عليه بصر المبصرين، وسمع السامعين، فإن اللطيف والكثيف، والصغير والكبير، والجلي والخفي، والسر والعلن على حدٍّ سواء في عدم الاحتجاب عن بصره وسمعه"(٤).

ثانيًا: القَسَم.

جاء في لسان العرب: "والقَسَمُ بالتحريك اليمين، وكذلك المقْسَمُ، وهو المصدر مثل المخْرَج، والجمع أَقْسام، وقد أَقْسَم بالله، واسْتَقْسَمه به، وقاسَمَه، حلَف له"(٥).

جهود الألوسي في القسم:

---

(١) مريم (٣٨).

(٢) روح المعاني (١٦/٩٣).

(٣) الكهف (٢٦).

(٤) روح المعاني (١٥/٢٥٤).

(٥) لسان العرب (١١/١٦٤) مادة قسم.

لقد تناول الألوسي هذا الضرب من الإنشاء بشيء من التفصيل، حيث عدَّد أدوات القسم ومعانيه، ففي تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[1].

يقول الألوسي :" فلا وربك، أي فوربك، و لا مزيدة؛ لتأكيد معنى القسم، لا لتأكيد النفي في جوابه، أعني قوله تعالى يؤمنون؛ لأنها تزاد في الإثبات أيضًا، كقوله تعالى: "فلا أقسم بمواقع النجوم"، ولم ترد في القرآن إلا مع صريح فعل القسم، ومع القسم بغير الله تعالى، مثل لا أقسم بهذا البلد، لا أقسم بيوم القيامة، فلا أقسم بالشفق؛ قصدًا إلى تأكيد القسم، وتعظيم المقْسَم به، إذ لا يقسم بالشيء إلا إعظامًا له، فكأنه بدخولها يقول: إن إعظامي لهذه الأشياء بالقسم بها – كلا إعظام– يعني أنها تستوجب من التعظيم فوق ذلك"[2].

ويقول الألوسي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ﴾[3].

"في قوله لنخرجنَّك: التأكيد القسمي للمبالغة والاعتناء بالحكم. وقوله تعالى : أو لتعودنَّ في ملتنا عطف على جواب القسم، أي والله ليكوننَّ أحد الأمرين البتة: الإخراج، أو العود، على أن المقصد الأهم هو العود، وإنما ذكر الأول لمجرد القسر والإلجاء"[4].

ويقول الألوسي: "وإنك تعطف على المقسم به، فتدخله في حكم القسم من غير واو، نحو قوله تعالى: "والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلَّى" وقوله سبحانه: "فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس والليل إذا عسعس"، ويستغنى عن تكرار حرف القسم بنيابة العاطف منابه"[5].

---

(١) النساء (٦٥).

(٢) روح المعاني (٥/٧٠).

(٣) الأعراف (٨٨).

(٤) روح المعاني (٩/٢).

(٥) روح المعاني (٨/٨٠).

وقد أفاض الألوسي في إيضاح المعاني التي يشملها القسم، والأسرار البلاغية التي تدخل في جملة القسم، ومعاني حروف القسم، ونجد ذلك جليًّا في تفسير الألوسي لقوله تعالى: ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفۡتَؤُاْ تَذۡكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوۡ تَكُونَ مِنَ ٱلۡهَٰلِكِينَ ﴾(١).

حيث قال :"تالله تفتأ، أي: لا تفتأ، ولا تزال تذكر يوسف تفجُّعًا عليه، فحذف حرف النفي كما في قوله:

فقلــت يمــين الله أبــرح قاعــدًا ولو قطعوا رأسي لديك وأوصالي (٢).

لأن القسم إذا لم يكن معه علامة الإثبات كان على النفي، وعلامة الإثبات هي اللام ونون التأكيد، وهما يلزمان جواب القسم المثبت، فإذا لم يذكرا دلَّ على أنه منفي؛ لأن المنفي لا يقارنهما، ولو كان المقصود ههنا الإثبات لقيل: لتفتأن"(٣).

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَآ أَكۡفَرَهُۥ﴾(٤).

يقول الألوسي :"قتل الإنسان دعاء عليه بأشنع الدعوات وأفظعها، ما أكفره، تعجيب من إفراطه في الكفران، وبيان لاستحقاقه الدعاء عليه، ثم إن هذا الكلام اشتمل على ما سمعت من الدعاء مرادًا به، إذ لا يتصوَّر منه تعالى لازمه، وعلى التعجُّب المراد به؛ لاستحالته عليه سبحانه التعجيب لكل سامع"(٥).

---

(١) يوسف (٨٥).

(٢) ديوان امرئ القيس، شرح وتحقيق: حجر عاصي. دار الفكر العربي- بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م. (٨٩).

(٣) روح المعاني (٤١/١٣).

(٤) عبس (١٧).

(٥) روح المعاني (٤٣/٣٠).

ثالثًا: المدح والذم.

جهود الألوسي في المدح والذم:

لقد ناقش الألوسي أسلوب المدح والذم بشيء من التفصيل، ففي تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَلَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ٢٩ وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمۡۚ قَالُواْ خَيۡرٗاۗ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٞۚ وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞۚ وَلَنِعۡمَ دَارُ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾[1] يقول الألوسي: "فاللام جيءَ بها للتأكيد؛ اعتناءً بالذم، (فلبئس مثوى المتكبِّرين)، ولتأكيد الاعتناء بالمدح جيء باللام أيضا فيما بعد من قوله سبحانه (ولدار الآخرة خير ولنعم دار المتقين)؛ لأن أولئك القوم على ضد هؤلاء؛ هادون مهديُّون"[2].

كما تناول الألوسي هذا الأسلوب في تفسيره لقوله تعالى: ﴿تَرَىٰ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ يَتَوَلَّوۡنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ لَبِئۡسَ مَا قَدَّمَتۡ لَهُمۡ أَنفُسُهُمۡ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَفِي ٱلۡعَذَابِ هُمۡ خَٰلِدُونَ﴾[3].

حيث قال: "أي لبئس شيئًا فعلوه في الدنيا ليردوا على جزائه في العقبى أن سخط الله عليهم هو المخصوص بالذم على حذف المضاف، وإقامة المضاف إليه مقامه، تنبيهًا على كمال التعلُّق والارتباط بينهما كأنهما شيء واحد، ومبالغة في الذم، أي بئس ما قدَّموا لمعادهم موجب سخط الله عليهم، وإنما اعتبروا المضاف لأن نفس سخط الله تعالى باعتبار إضافته إليه -سبحانه- ليس مذمومًا، بل المذموم ما أوجبه من الأسباب على أن نفس السخط مما لم يعمل في الدنيا ليرى جزاؤه في العقبى كما لا يخفى"[4].

---

(١) النحل (٢٩-٣٠).

(٢) روح المعاني (١٤/١٣٠).

(٣) المائدة (٨٠).

(٤) روح المعاني (٦/٢١٣).

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [1].

يقول الألوسي: "ونِعْم الوكيل، أي الموكول إليه، ففعيل بمعنى مفعول، والمخصوص بالمدح محذوف هو ضميره تعالى"[2].

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾[3].

يقول الألوسي: "ومِهَاد كفِرَاش لفظًا ومعنى، والمخصوص بالذم مقدَّر، وهو جهنم، أو ما مهَّدوه لأنفسهم"[4].

رابعًا: الرجـــاء.

الرجاء في اللغة:

يقول ابن فارس :"الراء والجيم والحرف المعتلّ أصلان متباينان، يدلُّ أحدُهما على الأمل، يقال رجَوْتُ الأمْرَ أرجُوه رجاءً" [5].

والرجاء في اصطلاح البلاغيين " هو تعلُّق القلب بحصول محبوب في المستقبل"[6].

جهود الألوسي في الرجاء:

---

(١) آل عمران (١٧٣).

(٢) روح المعاني (١٢٧/٤).

(٣) آل عمران (١٢).

(٤) روح المعاني (٩٥/٣).

(٥) معجم مقاييس اللغة (٤٩٤/٢).

(٦) كتاب التعريفات، لعلي بن محمد الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان. الطبعة الثانية ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م. (ص ١٤٦).

لقد تناوله الألوسي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿لَّعَلِّيٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ۝ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾[1] حيث قال :"وقال فاطلع بالنصب على جواب الترجي عند الكوفيين"[2].

"ولعل في المشهور موضوعة للترجّي، (وهو الطمع في حصول أمر محبوب ممكن الوقوع) والإشفاق، وهو توقُّع مخوف ممكن، والظاهر التقابل فتكون مشتركة، وذكر الرضي أنها للترجي، وهو ارتقاب شيء لا وثوق بحصوله، فيدخل فيه الطمع والإشفاق.

والذي يميل إليه القلب أنها لإنشاء توقُّع أمر متردّد بين الوقوع وعدمه مع رجحان الأول، إما محبوب فيسمى رجاءً، أو مكروه فيسمى إشفاقًا، وذلك قد يعتبر تحققه بالفعل، إما من جهة المتكلِّم، وهو الشائع؛ لأن معاني الإنشاءات قائمة به، وإما من جهة المخاطب تنزيلاً له منزلة المتكلِّم في التلبس التام بالكلام الجاري بينهما"[3].

---

(١) غافر (٣٦- ٣٧).

(٢) فالكوفيون يجوزون النصب بعد الفاء في جواب الترجّي كالتمني، ومنع ذلك البصريون، وخرجوا النصب هنا على أنه في جواب الأمر وهو ابن، كما في قوله:

يا ناق سيري عنقا فسيحا إلى سليمان فنستريحا. روح المعاني (٢٤/٦٩).

(٣) روح المعاني (١/١٨٥).

المبحث الثاني

صور إخراج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر

المبحث الثاني

صور إخراج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر

من البلاغة مطابقة الكلام لمقتضى الحال، وأن لكلٍّ مقامٍ مقالاً، ولكن قد يحدث أن يخرج الكلام عن مقتضى الظاهر لأغراض يلجأ إليها البلاغي، وهي مراعاته لمقتضى الحال[(١)].

والمراد بالظاهر هنا: "المتعارف عليه، الذي اكتسب صفة الثبات والشهرة؛ سواء في قواعد اللغة، أو في قوانين الصياغة، فالتعبير عن الواحد بلفظ الجمع، أو إطلاق لفظ الاثنين وإرادة الواحد، أو استعمال الفعل الماضي، والمتبع الفعل المضارع، أو العكس: أن يُنزَل المخاطب غيرُ السائل منزلة السائل، أو غير المنكِر منزلة المنكِر، أو المنكِر منزلة غير المنكِر...، كل هذا يعتبر خروجًا عن مقتضى الظاهر المتَّبع، وكسرًا للمعيار اللغوي لنكتة بلاغية مقصودة"[(٢)].

وصور خروج الكلام عن مقتضى الظاهر كثيرة، منها إضافة لما سبق: "وضع المضمر موضع المظهر، أو العكس، ومنها الالتفات، والتغليب، إلى غير ذلك من الصور"[(٣)].

وخروج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر لا يكون إلا لنكتة بلاغية، على الباحث أن يبحث عنها؛ ليتجلَّى السر في مخالفة الظاهر.

وسأقف على شواهدَ من القرآن الكريم، تبحث عن سر العدول عن مقتضى الظاهر.

فمن صور خروج الكلام عن مقتضى الظاهر:

أولاً: الالتفات:

"الالتفات في اللغة: مأخوذ من التفات الإنسان عن يمينه وشماله، فهو يقبل بوجهه تارةً كذا، وتارةً كذا"[(٤)].

---

(١) المراد بالحال هنا حال المتكلم والمخاطب.

(٢) بلاغة الكلمة والجملة والجمل، للدكتور منير سلطان، منشأة المعارف بالإسكندرية، الطبعة الثالثة ١٩٩٦م. (ص ٩٧).

(٣) انظر الإيضاح (ص ٧٥-٨٦).

(٤) انظر لسان العرب (٣٠١/١٢) مادة لفت.

وفي اصطلاح البلاغيين :"هو الانتقال من إحدى الصيغ الثلاث، أعني: (الحكاية والخطاب والغيبة)، إلى الأخرى منها لمفهوم واحد؛ رعاية لنكتة" [1].

"ويسمى شجاعة العربية؛ لأن الشجاعة هي الإقدام، والرجل إذا كان شجاعًا فإنه يرد الموارد الصعبة، حيث لا يرِدُها غيرُه، والالتفات مخصوص بهذه اللغة العربية دون غيرها"[2].

ومن الشواهد الكريمة على الالتفات قوله تعالى: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا﴾[3].

الالتفات في قوله تعالى:﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ..﴾ وقوله سبحانه: ﴿ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ ﴾.

لأن في الآية خطابًا، مضمونه تقرير لأمر رسول الله ﷺ، وبيان لمكانته العظيمة في الأرض، وبيان أن الخطاب يحمل معاني يجب الالتفات إليها. بينما جاءت الجملة الأخرى قوله تعالى: ﴿ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ ﴾ توضيحًا لما شملته جملة الخطاب، وحثًّا على فعل الطاعات اقتداءً بسنة المصطفى ﷺ ؛ فناسب ذلك الغرض الالتفات من الخطاب إلى الغيبة، ليفيد بعث مثل هذا الشعور لدى المؤمنين في أن يكونوا في حالة رجاء دائمٍ، وذكرٍ مستمرين"[4].

ومن الشواهد المناسبة لموضوع الالتفات هو مقام الدعوة إلى الله تعالى الذي يتطلب مراعاة أحوال المخاطبين، ويتضح سر بلاغته في قوله تعالى:

---

(١) التبيان في البيان، تأليف: شرف الدين الحسين بن محمد الطيبي، تعليق: يحيى مراد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م (ص ١٣٢).

(٢) انظر: المثل السائر. (٢/٣)، والطراز (٢/٧١).

(٣) الأحزاب (٢١).

(٤) انظر: تفسير البحر المحيط، لمحمد بن يوسف، الشهير بأبي حيان الأندلسي، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض. دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان. الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ -٢٠٠١م. (٧/٢١٥).

﴿وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدۡنِ ٱلرَّحۡمَٰنُ بِضُرّٖ لَّا تُغۡنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يُنقِذُونِ﴾[1].

فهو من أسرار بلاغة الالتفات من التكلُّم إلى الخطاب[2] في قوله تعالى: ﴿ وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾. بعد أن بيَّن — ذلك المؤمن – فضل المولى ﷻ الذي ربَّاه وأحسن إليه؛ فأنشأه من العدم، وذلك بما ورد عنه في قوله تعالى: ﴿ وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي ﴾، حيث التعبير بضمير المتكلِّم، بما فيه من دلالة على الإقرار بالربوبيَّة والعبوديَّة لله – تبارك وتعالى–، ثم التحوُّل منه إلى أسلوب الخطاب، بقوله تعالى: ﴿وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾، حيث العدول عن لفظ الواحد ﴿إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾، إلى ضمير الجمع في ﴿ تُرۡجَعُونَ ﴾، أراد به قومه، والتعبير بلفظ ﴿ تُرۡجَعُونَ ﴾، حيث التذكير بيوم البعث والحساب – وهو ما ينكره المشركون – فيه مبالغة في التهديد والزجر. وبلاغة الالتفات من التكلُّم عن نفسه، ثم استمالة قومه بالخطاب، فيه تلطُّف وترغيب في الإيمان، وهو الدعوة التي أراد في مضمونها إلزام نفسه وقومه بالإيمان بالله — تعالى –، وإشارة إلى أن الإيمان ليس مقصورًا عليه[3].

ومن الشواهد على الالتفات ما جاء من التكلُّم إلى الغيبة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ غَفُورٞ شَكُورٞ﴾[4].

---

(١) يس (٢٢–٢٣).

(٢) انظر: الإيضاح (ص ٧٨).

(٣) انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، المعروف بتفسير البيضاوي ، لناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.(٢/٢٨٠)، و إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، للقاضي أبي السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي، وضع حواشيه: عبد اللطيف عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت — لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ–١٩٩٩م. (٥/٢٩٥)، والفتوحات الإلهية، للإمام سليمان بن عمر العجيلي الشافعي الشهير بالجمل، ضبط وتصحيح: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت — لبنان، ط١، ١٤١٦هـ– ١٩٩٦م. (٦/٢٨٣).

(٤) فاطر (٢٩–٣٠).

فالالتفات من التكلُّم في قوله تعالى: ﴿ مِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ ﴾ إلى الغيبة في قوله سبحانه: ﴿ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ ﴾.

فضمير التكلُّم في قوله تعالى: ﴿ مِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ ﴾ فيه مظهر العظمة لله ﷻ، وإشارة إلى أن الرزق منه وحده؛ فلا أحد يستطيع أن يحول بين الرزق وصاحبه، بل كل شيء بحول الله تعالى وبقوَّته.

ثم الالتفات إلى ضمير الغيبة في قوله تعالى : ﴿لِيُوَفِّيَهُمْ﴾ مناسب؛ لأن السياق للمؤمنين، ففيه إشارة إلى إيمانهم بالغيب، وامتداحهم به؛ فإن الله ﷻ بعد أن رغَّب في الإنفاق، تكفَّل بحفظ ما ينفقون، وإبقائه إلى يوم لقائه.

وفي لفظ: (ليوفيهم) علَّة لمدلول نفي الكساد[(١)]. وهذا اللفظ فيه دلالة على تمام العطاء والأجر والثواب؛ وهو لفظ ينفي الكساد عن أعمالهم، بل دليل على قبول أعمالهم، وأنها موفاة بحسب أعمالهم، وخلوص نواياهم في جميع أعمالهم الصالحة، كالتلاوة، وإقامة الصلاة والإنفاق"[(٢)].

جهود الألوسي في الالتفات:

ولقد تكلَّم الألوسي عن الالتفات في تفسيره لقوله سبحانه : ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَـٰتٍ ۚ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَـٰتِ وَأَيَّدْنَـٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ وَلَـٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾[(٣)].

---

(١) انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٢/٢٧٢).

(٢) انظر: إرشاد العقل السليم (٥/٢٨٢).

(٣) البقرة (٢٥٣).

حيث قال: "وفي إيراد الاسم الجليل بطريق الالتفات تربية للمهابة، ورمز إلى ما بين التكلُّم والرفع، وبين ما سبق من مطلق التفضيل، وما لحق من إيتاء البينات والتأييد بروح القدس من التفاوت"(١).

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوۡمٖ لَّا رَيۡبَ فِيهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ﴾(٢).

يقول الألوسي: "وإظهار الاسم الجليل مع الالتفات؛ للإشارة إلى تعظيم الموعود والإجلال الناشئ من ذكر اليوم المهيب الهائل، وللإشعار بعلَّة الحكم؛ فإن الإلوهيَّة منافية الإخلاف"(٣).

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿بَرَآءَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ۝١ فَسِيحُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَرۡبَعَةَ أَشۡهُرٖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ غَيۡرُ مُعۡجِزِي ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخۡزِي ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾(٤).

يقول الألوسي :"فيه خروج من خطاب المسلمين في (إلا الذين عاهدتم) إلى خطاب المشركين في (فسيحوا)، ثم التفات من التكلُّم إلى الغيبة في (واعلموا أنكم غير معجزي الله)، (وأن الله)، والأصل غير معجزي، وإني، وفي هذا الالتفات بعد الالتفات الأول افتنانٌ في أساليب البلاغة، وتفخيم للشأن، وتعظيم للأمر، وكل هذا من حسنات الفصاحة"(٥).

وفي قوله تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا نَأۡتِي ٱلۡأَرۡضَ نَنقُصُهَا مِنۡ أَطۡرَافِهَاۚ وَٱللَّهُ يَحۡكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكۡمِهِۦۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ﴾(٦).

---

(١) روح المعاني (٢/٣).

(٢) آل عمران (٩).

(٣) روح المعاني (٩١/٣).

(٤) التوبة (١-٢).

(٥) روح المعاني (٤٩/١٠).

(٦) الرعد (٤١).

يبيِّن الألوسي بلاغة الالتفات، ويقول :"وفي الالتفات من التكلُّم إلى الغيبة، وبناء الحكم على الاسم الجليل –من الدلالة على الفخامة، وتربية المهابة، وتحقيق مضمون الخبر، بالإشارة إلى العلَّة– ما لا يخفى"(١).

وفي تفسيره لقوله جل شأنه: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗا ۝٨٨ لَّقَدۡ جِئۡتُمۡ شَيۡـًٔا إِدّٗا﴾(٢) .

يقول الألوسي :"وقوله تعالى "لقد جئتم شيئًا إدًّا" ردٌّ لمقالتهم الباطلة، وتهويل لأمرها بطريق الالتفات من الغيبة إلى الخطاب المنبئ عن كمال السخط، وشدَّة الغضب المفصح عن غاية التشنيع والتقبيح"(٣).

ويقول الألوسي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ وَقُودُ ٱلنَّارِ ۝١٠ كَدَأۡبِ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمۡۗ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾(٤).

"والالتفات للتكلُّم أولاً في (آياتنا)؛ للجري على سنن الكبرياء، وإلى الغيبة ثانيًا بإظهار الجلالة لتربية المهابة، وإدخال الروع"(٥).

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنۡ أَخۡرِجۡ قَوۡمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرۡهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ﴾(٦).

يقول الألوسي: "والالتفات من التكلُّم إلى الغيبة بإضافة الأيام إلى الاسم الجليل؛ للإيذان بفخامة شأنها"(٧).

---

(١) روح المعاني (١٣/١٧٤).

(٢) مريم (٨٨-٨٩).

(٣) روح المعاني (١٦/١٣٩).

(٤) آل عمران (١٠-١١).

(٥) روح المعاني (٣/٩٤).

(٦) إبراهيم (٥).

(٧) روح المعاني (١٣/١٨٧).

ثانيًا: التعبير بالماضي عن المضارع وبالمضارع عن الماضي:

الفعل يصوِّر الحدث والزمن، وقد ارتبط أحدهما بالآخر؛ فكوَّن هيئة معينة للفاعل والزمن، إما أن يكون حدثًا انتهى، ويسمى الفعل ماضيًا، وإما أن يكون سيحصل في المستقبل أو الحال، وهو الفعل المضارع؛ فإذا جاءت الأفعال على هذه الصورة، فتسمى موافقة لما يقتضيه الظاهر، وأما إذا أُخرِجت عنه، فتكون على خلاف مقتضى الظاهر.

"ومن ذلك أن يُعبَّر عما حدث من الأفعال التي في الحاضر والمستقبل بلفظ الماضي، وقد يحدث أن يُعبَّر عما حدث من الأفعال وانتهى بالفعل المضارع؛ دلالة على الحال أو الاستقبال. وهذه الصياغة متعارف عليها في أقوال العرب وأشعارهم، وإيقاع أحد الزمنين موضع الآخر لا يخلو من نكتةٍ بلاغيةٍ.

وهذا الأسلوب يرد كذلك في كتاب الله العزيز كثيرًا؛ لأغراضٍ ومقاصد تناسب السياق، ويُستدل عليها بالقرائن، ولهذا الأسلوب فائدة أوردها ابن الأثير حين قال: "وفائدته أن الفعل الماضي إذا أُخبر به عن الفعل المستقبل الذي لم يوجد بعدُ، كان ذلك أبلغَ وأوكدَ في تحقيق الفعل وإيجاده؛ لأن الفعل الماضي يُعطي من المعنى أنه قد كان ووُجِد، وإنما يُفعل ذلك إذا كان الفعل المستقبل من الأشياء العظيمة التي يُستعظم وجودها.

والفرق بينه وبين الإخبار بالفعل المستقبل عن الماضي أن الغَرَض بذاك تبيين هيئة الفعل: واستحضار صورته، ليكون السامع كأنه يشاهدها، والغرضُ بهذا هو الدلالة عن إيجاد الفعل الذي لم يُوجد بعدُ" [(1)].

ومن أمثلته في القرآن الكريم، والتي تظهر أسراره وإعجاز أقوال المولى — تبارك وتعالى – قوله: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗاۖ قَالُواْ نَعَمۡۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[(2)].

---

(١) المثل السائر (٢/١٦).

(٢) الأعراف (٤٤).

"بعد أن استقرَّ أهل الجنَّة في دارهم خالدين منعمين، وأهل النار في النار يعذبون. حصل النداء ما بين الطرفين"[1]، فعبَّر عن المستقبل بلفظ الماضي لتحقُّق وقوعه. والتعبير عن الفعل المستقبل -الذي لم يحدث ولم يوجد- بالفعل الماضي أبلغ في تحقيق الفعل ووجوده، مما يجسد الأقوال صورًا ماثلة تُستحضر وتُشاهد.

ولمجيء الأفعال بصيغة الماضي بلاغة؛ لأنها إخبار عمّا سيحدث في المستقبل، ذلك أن التعبير بالماضي: "تشبيهًا له في التحقيق، والعرب تفعل ذلك لفائدة، وهو أن الفعل الماضي إذا أُخْبِر به عن المضارع الذي لم يوجد بعد كان أبلغَ وآكد، وأعظم موقعًا، وأفخم بيانًا؛ لأن الفعل الماضي يعطي من المعنى أنه قد كان ووُجِد، وصار من الأمور المقطوعة بكونها وحدوثها"[2].

جهود الألوسي في التعبير بالماضي عن المضارع وبالمضارع عن الماضي:

لقد تناول الألوسي هذا الأسلوب البلاغي، وتطرَّق إليه، حيث قال في تفسيره لقوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾[3].

"ووضع الماضي (وقضي) موضع المستقبل لدنو وتيقُّن وقوعه"[4].

---

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنَّان، للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: محمد زهري النجار، دار المؤيد، مؤسسة الرسالة. الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م. (٥٨٢/١).

(٢) مقدمة تفسير ابن النقيب في علم البيان والمعاني والبديع وإعجاز القرآن، للإمام أبي عبد الله جمال الدين محمد بن سليمان البلخي المقدسي، الشهير بابن النقيب، تعليق الحواشي: د. زكريا سعيد علي، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م، الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة. (ص ٦٩). وانظر: الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز للإمام الحافظ عز الدين بن عبد السلام السلمي، تقديم: رمزي دمشقية، دار البشائر الإسلامية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٧م . (ص ٢٦).

(٣) البقرة (١١٠).

(٤) روح المعاني (٩٩/٢).

وفي قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾[1].

يقول الألوسي: "(إنا كنَّا فاعلين) ذلك بالفعل لا محالة، والأفعال المستقبلة التي علم الله تعالى وقوعها كالماضية في التحقُّق، ولذا عبَّر عن المستقبل بالماضي في مواضع كثيرة من الكتاب العزيز"[2].

ويقول الألوسي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾[3].

"حمل الماضي على معنى المستقبل، أي فجزاؤه جهنم، وأن يغضب الله تعالى عليه الخ"[4].

أما التعبير عن الماضي بالمستقبل فقد تناوله الألوسي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ﴾[5].

حيث قال: "وكذلك نري إبراهيم هذه الإراءة من الرؤية البصرية المستعارة استعارة لغوية للمعرفة من إطلاق السبب على المسبَّب، أي عرَّفناه وبصَّرناه، وكان الظاهر أرينا بصيغة الماضي، إلا أنه عدل إلى صيغة المستقبل حكاية للحال الماضية استحضارًا لصورتها، حتى كأنها حاضرة مشاهدة"[6].

---

(١) الأنبياء (١٠٤).

(٢) روح المعاني (١٠٣/١٧).

(٣) النساء (٩٣).

(٤) روح المعاني (١١٥/٥).

(٥) الأنعام (٧٥).

(٦) روح المعاني (١٩٧/٧).

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُواْ وَأَقْبَلُواْ عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُواْ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ﴾[1].

يقول الألوسي موضِّحًا أسلوب التعبير عن الماضي بالمستقبل :"وحاصل المعنى ما ضاع منكم، وصيغة المستقبل لاستحضار الصورة، فالعدول عما يقتضيه الظاهر من قولهم ماذا سُرِق منكم على ما قيل؛ لبيان كمال نزاهتهم، بإظهار أنه لم يُسْرَق منهم شيء، فضلاً عن أن يكونوا هم السارقين له، وإنما الممكن أن يضيع منهم شيء فيسألونهم ماذا؟ وفيه إرشاد لهم إلى مراعاة حسن الأدب، والاحتراز عن المجازفة، ونسبة البراء إلى ما لا خير فيه، لاسيما بطريق التأكيد، فلذلك غيَّروا كلامهم، حيث قالوا في جوابهم (قالوا نفقد صواع الملك)، ولم يقولوا (سرقتموه أو سُرِق)، وكان الظاهر أن يبادروا بالإنكار، ونفي أن يكونوا سارقين، ولكنهم قالوا ذلك طلبًا لإكمال الدعوى، إذ يجوز أن يكون فيها ما تبطل به، فلا تحتاج إلى خصام"[2].

وقد عُبِّر عن المستقبل بالماضي في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تُشَٰٓقُّونَ فِيهِمْۚ قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ إِنَّ ٱلْخِزْيَ ٱلْيَوْمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[3]، وقد تحدَّث الألوسي عن ذلك، فقال :"يقول أولئك توبيخًا للمشركين، وإظهارًا للشماتة بهم، وتقريرًا لما كانوا يعظونهم، وتحقيقًا لما أوعدوهم به، وإيثار صيغة الماضي (قال الذين...) للدلالة على تحقيق وقوعه وتحتُّمه حسبما هو المعهود في أخباره تعالى"[4].

(١) يوسف (٧٠-٧٢).

(٢) روح المعاني (١٣/٢٥).

(٣) النحل (٢٧).

(٤) روح المعاني (١٤/١٢٨).

كما ورد التعبير عن المستقبل بالماضي في قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱتَّبَعُوٓاْ أَمْرَ فِرْعَوْنَ ۖ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾ يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ﴾[1].

يقول الألوسي: "والمراد من أوردهم: يوردهم، والتعبير به دونه؛ للإيذان بتحقق وقوعه لا محالة"[2].

كما جاء التعبير عن الماضي بلفظ المستقبل في قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُواْ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[3].

قال الألوسي: "لفظ سيقول مراد منه الماضي، وهذا كما يقول الرجل إذا عمل عملاً فطعن فيه بعض أعدائه: أنا أعلم أنهم سيطعنون"[4].

وفي ورود المستقبل في مكان الماضي في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾[5].

يعلّق الألوسي على ذلك قائلاً :"والعدول عن الماضي إلى المضارع لإفادة بقاء أثر المطر زمانًا بعد زمان، كما تقول: أنعم علي فلان عام كذا، فأروح وأغدو شاكرًا له. ولو قلت: فرُحْت وغدوت لم يقع ذلك الموقع. كما أن في هذا العدول إلى المضارع استحضارًا للصورة البديعة"[6].

---

(١) هود (٩٧-٩٨).

(٢) روح المعاني (١٣٤/١٢).

(٣) البقرة (١٤٢).

(٤) روح المعاني (٢/٢).

(٥) الحج (٦٣).

(٦) روح المعاني (١٩١/١٧).

ثالثًا: التغليب:

هو: "إعطاء الشيء حكمَ غيره، وقيل: ترجيح أحد المغلوبين على الآخر، أو إطلاق لفظة عليهما، إجراءً للمختلِفَين مجرى المتفِقَين"[1]. وهو أحد طرق خروج الكلام عن مقتضى الظاهر؛ لأنه إعطاء أحد الحكمين لفظ الآخر على سبيل الاشتراك في أمرٍ، ولم يكن ذلك حقيقة واقعة؛ بل من باب التغليب، لنكتة بلاغية.

وليتضح المراد بهذا المصطلح أُقدِّم هذا الشاهد، وهو قوله تعالى: ﴿ وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴾[2].

"فلم يقل: (من القانتات)، لكن عُدَّت الأنثى من الذكور بحكم التغليب، ولهذا سرٌّ بلاغي المراد منه: امتداحها بحسن العبادة في جدِّها واجتهادها وعلمها، لذلك استحقت الرفعة من الله ﷻ، لتكون في مصافِّ الرجال أهل العبادة"[3].

وللتغليب أنواع منها:

١- تغليب المذكَّر على المؤنث.

كما في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴾[4].

يقول الألوسي :"فكان أبواه، أي أبوه وأُمُّه، ففيه تغليب"[5].

٢- تغليب العاقل على غيره.

---

(١) البرهان في علوم القرآن، للإمام بدر الدين الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الثانية، ١٣٩٣هـ، دار المعرفة، بيروت – لبنان. (٣٠٢/٣).

(٢) التحريم (١٢).

(٣) انظر: البرهان في علوم القرآن (٣٠٢/٣).

(٤) الكهف (٨٠).

(٥) روح المعاني (١٠/١٦).

ومثله قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍۖ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰٓ أَرْبَعٍۚ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[1].

وقد علَّق الألوسي على ذلك بقوله :"وتذكير الضمير في منهم لتغليب العقلاء، وبني على تغليبهم في الضمير التعبير بمن واقعة على ما لا يعقل"[2].

وهناك أنواع أخرى للتغليب[3].

والتغليب باب واسع يجري في ألوان كثيرة من البلاغة.

وأيضًا تناول الألوسي التغليب في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْاْ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِ﴾[4].

حيث قال :"إذا تراضوا ظرف للا تعضلوا، والتذكير باعتبار التغليب"[5].

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَٱسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ﴾[6].

يقول الألوسي: "وإدراج النساء في الجمع (الشهداء) بطريق التغليب"[7].

ويقول الألوسي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذَانِ يَأْتِيَٰنِهَا مِنكُمْ فَـَٔاذُوهُمَاۖ فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾[8].

---

(١) النور (٤٥).

(٢) روح المعاني (١٨/١٩٣).

(٣) انظر الإيضاح (ص ٩٨، ٩٩).

(٤) البقرة (٢٣٢).

(٥) روح المعاني (٢/١٤٥).

(٦) البقرة (٢٨٢).

(٧) روح المعاني (٣/٥٨).

(٨) النساء (١٦).

"واللذان يأتيانها منكم، هما الزاني والزانية، بطريق التغليب"(١).

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجًا وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَـٰمِ أَزۡوَٰجًاۖ يَذۡرَؤُكُمۡ فِيهِۚ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَیۡءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِیعُ ٱلۡبَصِیرُ﴾(٢).

يقول الألوسي: "وغلب في (يذرؤكم) المخاطبون العقلاء على الغيب مما لا يعقل، فهناك تغليب واحد اشتمل على جهتي تغليب، وذلك لأن الأنعام غائب غير عاقل، فإذا أدخلت في خطاب العقلاء كان فيه تغليب العقل والخطاب معًا، وهذا التغليب "أعني التغليب لأجل الخطاب والعقل" من الأحكام ذات العلَّتين، وهما هنا الخطاب والعقل"(٣).

رابعًا: الأسلوب الحكيم:

"هو تلقِّي المخاطب بغير ما يترقَّب، بحمل كلامه على خلاف مراده، تنبيهًا على أنه الأولى بالقصد، أو السائل بغير ما يتطلَّب؛ بتنزيل سؤاله منزلة غيره، تنبيهًا على أنه الأولى بحاله، أو المهم به"(٤).

"ومفهوم هذا التعريف يشير إلى أن الأسلوب الحكيم يقوم على ثلاثة دعائم:

١ - المحاورة بين اثنين: مُخَاطِب ومُخَاطَب، أو سائل ومجيب.

٢- الإجابة بغير ما يترقَّب، أو العدول عن الجواب إلى غيره.

٣- مراعاة الأولى بحال المخاطب أو السائل" (٥).

---

(١) روح المعاني (٤/٢٣٥).

(٢) الشورى (١١).

(٣) روح المعاني (٢٥/١٧).

(٤) الإيضاح (ص ٨٢).

(٥) الأسلوب الحكيم دراسة بلاغية تحليلية، للدكتور محمد بن علي الصامل، بحث نشرته مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ومعه تحقيق رسالة عن الأسلوب الحكيم لابن كمال باشا. دراسة بلاغية تحليلية، العدد الخامس عشر- شعبان ١٤١٦هـ (ص ٣١).

وخصائصه الأسلوبية أجملها فيما يلي:

أنه يعتمد على الحكمة في الخطاب، وحسن التأني في الأمر، والتلطُّف للوصول إلى الغاية بأسلوبٍ غير مباشر للتنبيه على المقصود، ومن خصائصه أن يستعمل للاستظراف، ثم حسن التخلُّص مما قد يقع من إحراج سائلٍ(١).

وللأسلوب الحكيم شواهد من القرآن الكريم، والحديث الشريف، وكلام العرب المنظوم والمنثور. "فمن شواهده في الحديث ما ورد عن أنس بن مالك ﷺ أن رجلاً من أهل البادية أتى النبي ﷺ فقال: (يا رسول الله: متى الساعة قائمة؟ قال ويلك: وما أعددت لها؟ قال: ما أعددت لها إلاَّ أني أحب الله ورسوله، قال: إنك مع من أحببت...)(٢)، فعندما سأل الرجلُ عن موعد قيام الساعة، أجابه ﷺ بسؤال مضمونه ماذا أعددت لذلك اليوم؟ فالسؤال تنبيه إلى ما فيه مصلحة السائل، وكذلك لفت النظر إلى ما ينبغي على المؤمن أن يُعدَّ به نفسه لليوم الآخر"(٣).

ومن شواهد الأسلوب الحكيم قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ﴾(٤).

في هذه الآية الكريمة تستبين حال كفار الأشراف المعظِّمين لأنفسهم، وهم يحاربون الأتباع الذين آمنوا بصالح عليه السلام، وهم من الضعفاء، فأجاب الضعفاء بما يجدون فيه فخرهم وعزهم، وهو الإيمان.

---

(١) لمعرفة المزيد من هذه الخصائص انظر: الأسلوب الحكيم، دراسة بلاغية تحليلية (ص ٤٦، ٤٧).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب علامة الحب في الله عز وجل، (٥/٢٢٨٢)، حديث رقم (٥٨١٥) ، ورواه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب المرء مع من أحب، (٤/ ٢٠٣٢)، حديث رقم (٢٦٣٩).

(٣) انظر: الأسلوب الحكيم دراسة بلاغية تحليلية (ص ٥١).

(٤) الأعراف (٧٥).

الأسلوب الحكيم وأسراره البلاغية في قوله تعالى: ﴿أَتَعۡلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرۡسَلٞ مِّن رَّبِّهِۦۚ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلَ بِهِۦ مُؤۡمِنُونَ﴾(١).

"وإنما عدلوا عن الجواب الموافق لسؤالهم بأن يقولوا: نعم، أو نعلم أنه مُرسَلٌ منه -تعالى- مسارعةً إلى تحقيق الحق، وإظهار ما لهم من الإيمان الثابت المستمر الذي تنبئ عنه الجملة الاسمية، وتنبيهًا على أن أمر إرساله من الظهور بحيث لا ينبغي أن يُسأل عنه، وإنما الحقيق بالسؤال عنه هو الإيمان به"(٢) في قوله تعالى: ﴿إنا بما أرسل به مؤمنون﴾.

وهذا هو الأسلوب الحكيم، عُبِّر به في هذه الآية الكريمة تقريعًا للمستكبرين على سؤالهم، وبيان أن أمر إرساله حقيقة مُسلَّم بها، والواجب اتباعه؛ لذلك كان جواب أهل الكفر بقوله تعالى: ﴿إنَّا بما أرسلتم به كافرون﴾، فاتضح خطأ موقع سؤالهم، وأنه لم يصِب مكانه؛ لأن الموقف لم يزدهم إلاّ إيمانًا(٣).

جهود الألوسي في الأسلوب الحكيم:

لقد تناول الألوسي الأسلوب الحكيم في تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَلَنَأۡتِيَنَّكَ بِسِحۡرٖ مِّثۡلِهِۦ فَٱجۡعَلۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكَ مَوۡعِدٗا لَّا نُخۡلِفُهُۥ نَحۡنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانٗا سُوٗى ۝٥٨ قَالَ مَوۡعِدُكُمۡ يَوۡمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحۡشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحٗى﴾(٤).

حيث قال: "ولم يذكر عليه السلام المكان الذي ذكره اللعين، وأعرض عليه السلام عن ذكره مكتفيًا بذكر الزمان المخصوص؛ للإشارة إلى استغنائه عن ذلك، وأن كل الأمكنة بعد حصول الاجتماع بالنسبة إليه سواء، فقد أخرج عليه الصلاة والتسليم جوابه على الأسلوب الحكيم"(٥).

---

(١) الأعراف من الآية (٧٥).

(٢) إرشاد العقل السليم (٢/٥١١، ٥١٢)، وانظر: نظم الدرر، لبرهان الدين أبي الحسن إبراهيم البقاعي، دار الكتاب الإسلامي بالقاهرة، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م. (٧/٤٤٧)، و تفسير روح البيان، للشيخ إسماعيل حقي البروسوي، تعليق: أحمد عزو، دار إحياء التراث العربي، بيروت — لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م. (٣/٢٤٦).

(٣) انظر الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تأليف: أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي. دار إحياء التراث العربي - بيروت، لبنان. (٤/١٩٧).

(٤) طه (٥٨-٥٩).

(٥) روح المعاني (١٦/٢١٨).

المبحث الثالث

القصـر

المبحث الثالث

القصـر

القَصر في اللغة:

"القاف والصاد والراء، أصلان صحيحان، فأما أحدهما؛ فإنه يدل على عدم وصول الشيء نهايته، والقِصَر: خلاف الطول، يقال: قَصَرْتُ الثوب والحبل تقصيرًا، ويقال: قَصْر الصلاة، وهو عدم تمامها لسفر أو نحو ذلك، والأصل الآخر يدل على الحَبْس، يقال قصره: إذا حبسه، وامرأة قاصرة الطرف؛ لا تمده إلى غير بعلها، كأنها تحبس طرفها حبسًا، ومنه قوله تعالى: ﴿فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ﴾[(١)].

ونلاحظ أن الأصلين متقاربان، يجتمعان في معنى واحد، وهو عدم الامتداد"[(٢)]، ومنه قولهم: قصر الشيء على الأمر: ردَّه إليه، وقولهم: يقصر در ناقته على فرسه، يجعلها خاصة له[(٣)].

أما القصر اصطلاحًا:

"فهو تخصيص شيء بشيء بطريق مخصوص"[(٤)]. وهو أحد طرق القصر المصطلح عليها من قِبَل البلاغيين، ونلحظ أن المعنى اللغوي هو أساس المعنى الاصطلاحي، الذي استقرَّ عليه علماء البلاغة حينما عَرَّفوا القَصْر.

---

(١) الرحمن (٥٦).

(٢) انظر: معجم مقاييس اللغة (٥/٩٦، ٩٧)، (باب القاف والصاد، وما يثلثهما)، وبصائر ذوي التمييز، لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، تحقيق: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، بيروت- لبنان. (٤/٢٧٣، ٢٧٤)، ولسان العرب (١١/١٨٥)، (مادة قصر).

(٣) انظر: المعجم الوسيط، إخراج: د. إبراهيم مصطفى، د. أحمد حسن الزيات، حامد عبد القادر، محمد علي النجار، تحقيق مجمع اللغة العربية. (٣/٣٩٣).

(٤) انظر: مفتاح العلوم، لأبي يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد السكاكي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م. (ص ٤٠٠).

"ويلتقي المعنى اللغوي والاصطلاحي: بأن الموصوف يخصّص بصفة دون أخرى، كقولك: زيد قائم لا قاعد. لمن يتوهَّم أن زيدًا على أحد الوصفين، دون ترجيح، فقد أفادت الجملة الإثبات والنفي، فأثبتت القيام لزيد، ونفت عنه القعود، وغالبًا ما يكون إثبات الصفة ونفي غيرها صريحًا، وقد يأتي الإثبات صريحًا، والنفي متضمنًا، فعندما نقول: (إنما نجح محمد)، فقد أثبتنا النجاح لمحمد، ونفيناه عن غيره ضمنًا، وقد يكون الأمر غير ذلك، كما في قولهم: (ما أنت فعلت هذا)، فهنا نفيت الفعل عن المسند إليه المقدَّم نصًّا، وأثبته لغيره ضمنًا.

وهذا الشيء الذي أُثْبِتَ ونُفِيَ يسمى مقصورًا، وهو إما أن يكون صفةً، أو يكون موصوفًا، والذي أُثْبِتَ له يسمى مقصورًا عليه، وهو أيضًا صفةً أو موصوفًا، والطريق المخصوص هو أدوات القصر"[1].

أقسام القصر:

ينقسم القصر باعتبار عموم النفي، وعدم عمومه، إلى:

قصر حقيقي: وهو تخصيص الشيء بالشيء على وجه الحقيقة، وأن نفس الأمر –أو الصفة– لا يتجاوزه إلى غيره. كما في قوله تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾[2].

قصر غير حقيقي: وهو القصر الإضافي: ويكون بحسب الإضافة والتخصيص، والتخصيص بالمذكور ليس مطلقًا؛ بل بالإضافة إلى معيَّن آخر، أي: بالإضافة إلى صفةٍ أخرى[3]، ومثال ذلك قولك: (زهير شاعر لا كاتب). فالمراد قصر زهير على صفة الشعر، لا يتجاوزها إلى كونه كاتبًا. أي زهير شاعر، وليس كاتبًا، وهذا لا يمنع أن يكون لزهير صفة أخرى غير قول الشعر[4].

وطرق القصر كثيرة، منها:

(١) انظر: بغية الإيضاح (٢/ ٣-٤).

(٢) الأنعام (٥٩).

(٣) انظر: المطول (ص ٣٨١).

(٤) انظر: الإيضاح (ص ١٢٤، ١٢٥).

١- النفي والاستثناء.

ومنه قول ابن خفاجة:

وما السيفُ لولا الخوف إلا حديدةٌ ... ولا الـــرمح إلا خُوطَـــةٌ تتـــأوّدُ [(١)]

٢- القصر بـ(إنما).

ومنه قول امرئ القيس:

ألا إنمـــا الـــدهر ليـــالٍ وأعصـــرٌ ... وليس على شيء قويم بمستمر [(٢)]

تقديم المسند أو المسند إليه أو بعض متعلقاتهما.

العطف بـ(لا)، وبـ(بل).

والمتأمِّل في طرق القصر يجد بينها فروقًا من حيث موقع المقصور والمقصور عليه، ففي النفي والاستثناء يأتي المقصور عليه بعد الاستثناء، أما القصر بـ(إنما)، فالمقصور يليها دائمًا. أما في حالة التقديم والتأخير، فالمقدَّم هو المقصور عليه، والمؤخر هو المقصور. أما العطف بـ(لا)، فالمقصور عليه يكون قبلها، وإذا كان العطف بـ(بل)، فإن المقصور عليه يكون بعدها[(٣)].

أغراض القصر:

لما كان القصر بمثابة تخصيص الشيء بالشيء، فإن إثبات أحدهما للآخر، ونفيه عن غيره، جعل جملة القصر في قوة جملتين، وبهذا أصبح القصر أحد طرق الإيجاز، والإيجاز من أهم أغراضه.

---

(١) ديوان ابن خفاجة، تحقيق: عبد الله سندة، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م. (ص١٠٢).

(٢) ديوان امرئ القيس (ص ٥١).

(٣) انظر: بغية الإيضاح (٢/١٠-١٥).

ومن أغراض القصر كذلك: "أن يُتعرَّف على حال المخاطب النفسيَّة، وينظم عبارته بناءً على ما في نفسه من شكٍّ أو إنكار؛ حتى يتمكَّن الكلام، ويتقرَّر في الذهن، ويندفع ما في النفس من أوهام تحوم حول الواقع"(١).

وقد ورد القصر في كثير من آي الذكر الحكيم، ففي قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾(٢).

فهذه الآية المباركة تُبيِّن حقيقة الإيمان الذي يتمكَّن من نفس صاحبه، وأنه يجعل تلك النفس المؤمنة تخلع عنها رداء الذل والخضوع لغير وجه الله – تعالى –، وتستجمع كل عزها وأنفتها العربية المعهودة؛ خالصة له جلَّت قدرته.

ولقد ورد في معنى العبادة: "أنها بمعنى نخشع ونذل ونستكين؛ لأن العبودية الحقَّة له لا تكون إلاَّ بالمذلَّة، وأن العرب كانت تسمي الطريق المذلَّل الذي وطئته الأقدام، وذلَّلته السابلة (معبَّدًا)، وأما الاستعانة؛ فإنها بمعنى: نطلب منك العون على عبادتنا إياك دون سواك"(٣).

والقصر في الآية الكريمة أحد ألوان البلاغة التي تدل على الإعجاز، "فالقصر بتقديم المفعول به (إياك) لقصد الاختصاص، والمعنى نخصّك بالعبادة، ونخصّك بالاستعانة، ولا نعبد غيرك، ولا نستعين بسواك"(٤).

بالإضافة إلى ما في معناه من التعظيم والاهتمام به، وما فيه من التبرئة من الشرك، والتعريض بالمشركين(٥)، ولما تكرَّر الضمير المنصوب (إياك) دلَّ على زيادة الاختصاص والاعتناء بهذا المعنى

---

(١) انظر: بغية الإيضاح (٣/٢).

(٢) الفاتحة (٥).

(٣) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، المعروف بتفسير الطبري، تحقيق: بشار عواد معروف، وعصام فارس الحرستاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م. (٦٩/١).

(٤) انظر أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٩/١).

(٥) انظر: إرشاد العقل السليم (٢٦/١).

– العبادة والاستعانة– لما لهما من فضلٍ، ولإبراز الاستلذاذ بالمناجاة والخطاب[1]، كما أن فيها إشعارًا بالتنصيص على طلب العون[2].

وهذا القسم من التقديم يسمى قصرًا حقيقيًّا؛ لأن المؤمنين الذين أُلهموا الحمد والثناء؛ فإنهم لا يعبدون ولا يستعينون استعانة حقيقة بغير إرادة المولى المستحق لذلك[3].

"وقصر الصفة على الموصوف هو ألاَّ تتجاوز الصفة ذلك الموصوف إلى موصوف آخر، نحو قوله تعالى: (إياك نعبد)؛ حيث قصرت صفة العبادة على الله ﷻ، وهي مما لا ينبغي لغيره – سبحانه – حتى يتحقَّق الإيمان الصحيح. وهذا القصر يسمَّى قصرًا حقيقيًّا تحقيقيًّا، وليس كذلك في قوله تعالى: ﴿إياك نستعين﴾ بل هو من باب القصر الحقيقي؛ لأن الإنسان قد يحتاج إلى من يعينه ويساعده في بعض الأمور، ومن يحقِّق له مطالبه، وهذا النوع من المساعدة لا بد للبشر منها"[4]، بل ومندوب إليها، كما في قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ﴾[5].

"كما ناسب أن يذكر الضمير في (نعبد)، و(نستعين) بصيغة الجمع؛ إشعارًا بضعف العبيد، وحاجاتهم بعضهم إلى بعض، وأنهم جميعًا إلى الله – تعالى – مفتقرون، وإليه متَّجهون لقضاء حوائجهم"[6].

جهود الألوسي في القصر:

---

(١) انظر: إرشاد العقل السليم (٢٦/١).

(٢) انظر: روح المعاني (٩٣/١).

(٣) انظر: التحرير والتنوير (١٨٣/١/١).

(٤) انظر: علم المعاني، تأليف: الدكتور بسيوني عبد الفتاح، مؤسسة المختار، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م. (١٦/٢).

(٥) المائدة (٢).

(٦) انظر: روح المعاني (٩٠/١).

لقد تناول الألوسي القصر في تفسيره لقوله تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾[1].

حيث قال :"والقصر في الموضعين بناءً على القول بإفادة إنما بالكسر وإنما بالفتح الحصر من قصر الموصوف على الصفة قصر قلب، والمقصور عليه في الأول أنا، والمقصور البشرية مثل المخاطبين، وهو مبني على تنزيلهم لاقتراحهم عليه –عليه الصلاة والسلام– ما لا يكون من بشر مثلهم منزلة من يعتقد خلافه، أو على تنزيلهم منزلة من ذُكِر لزعمهم أن الرسالة التي يدعيها مبرهنة بالبراهين الساطعة تنافي ذلك، ومما يوضِّح ما ذكرنا أنه لو قيل: إنما إلهكم واحد لم يكن إلا من قصر الموصوف على الصفة، فزيادة إله للتوطئة للوصف بواحد"[2].

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخۡشَىٰهَا﴾[3].

يقول الألوسي: "والقصر من قصر الموصوف على الصفة، والمعنى: ما أنت إلا منذر، لا معلِّم بالوقت مبيِّن له، وإنما ذكر صلة المنذر إظهارًا لكونها ذات مدخل في القصر، لكون الكلام في القصر على منذر خاص، ونفي إعلام خاص يقابله، وكونه من قصر الصفة على الموصوف بناءً على ما يتبادر إلى الفهم من أن المعنى: إنما أنت منذر الخاشي دون من لا يخشى، أي ما أنت منذر إلا من يخشى دون غيره"[4].

وقد تحدَّث الألوسي عن القصر بجميع أقسامه، فقد تناول القصر الإضافي بأقسامه من إفراد وقلب وتعيين، ففي تفسيره لقوله تعالى: ﴿لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ﴾[5] يقول الألوسي:"وحيث إن مقصودهم شركة الفريقين في كلتا العبادتين كان القصر المستفاد من تقديم المسند قصر إفراد حتمًا"[6].

---

(١) الكهف (١١٠).

(٢) روح المعاني (٥٣/١٦).

(٣) النازعات (٤٥).

(٤) روح المعاني (٣٧/٣٠).

(٥) الكافرون (٦).

(٦) روح المعاني (٢٥٤/٣٠).

كما تحدَّث عن قصر القلب في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ قُلْ إِنَّمَا ٱلْأَيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾[1].

حيث قال :"وإنما أنا نذير مبين، ليس من شأني إلا الإنذار بما أوتيت من الآيات، لا الإتيان بما اقترحتموه، فالقصر قصر قلب"[2].

كما تناول قصر القلب في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾[3].

فعلَّق الألوسي قائلاً :"قل إن هدى الله هو الهدى، فإنه على طريقة الجواب لمقالتهم، ولعلهم ما قالوا ذلك إلا لزعمهم أن دينهم حق وغيره باطل، فأجيبوا بالقصر القلبي، أي دين الله تعالى هو الحق، ودينكم هو الباطل، و هدى الله تعالى الذي هو الإسلام هو الهدى، وما يدعون إليه ليس بهدى، بل هوى على أبلغ وجه؛ لإضافة الهدى إليه تعالى"[4].

ويقول الألوسي في تفسيره لقوله ﷻ: ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾[5].

"كأنَّ القوم لعدم أدائهم حقّه –سبحانه– قد اعتقدوا أن الفاعل لذلك غيره تعالى، أو هو مع غيره، فخوطبوا على وجه قصر القلب، أو قصر الإفراد بذلك"[6].

---

(١) العنكبوت (٥٠).

(٢) روح المعاني (٦/٢١).

(٣) البقرة (١٢٠).

(٤) روح المعاني (٣٧٢/١).

(٥) هود (٦١).

(٦) روح المعاني (٨٨/١٢).

المبحث الرابع

الفصل والوصل

المبحث الرابع

الفصل والوصل

الفصل في اللغة:

"الفاء والصاد واللام كلمة صحيحة تدل على تميز الشيء من الشيء، وإبانته عنه"(١)، "وهو المسافة بين الشيئين، والحاجز بينهما"(٢).

الوصل في اللغة:

الواو والصاد واللام: "أصل واحد يدل على ضمِّ الشيء إلى الشيء حتى يعلقه"(٣).

أما في اصطلاح البلاغيين:

"فالوصل عطف بعض الجمل على بعض، والفصل تركه"(٤).

ومعلوم أن المعنى البلاغي للفصل لا ينفك عن المعنى اللغوي الذي يدل على فصل الكلام بعضه عن بعض، أو هو المسافة بين الشيئين بمعنى فصلهما، وهو كذلك في الكلام، فلا يتم الجمع بين الجملتين بأيٍّ من حروف العطف، فما بينها من تراحمٍ وترابطٍ في المعنى لا تحتاج معه الجمل إلى استخدام تلك الروابط .

وأما الوصل بين الجمل؛ فإنه يكون بين الجمل التي لا محل لها من الإعراب(٥) -كذلك- إذا قصد التشريك في الحكم الإعرابي، وكان بينهما مناسبة تسوغ هذا العطف، وهذا ما نلحظه في قول عبد القاهر، حيث قال:

---

(١) معجم مقاييس اللغة (٤/٥٠٥)، (باب الفاء والصاد، وما يثلثهما).

(٢) انظر: المعجم الوسيط (٢/٢٩٦).

(٣) معجم مقاييس اللغة (٦/١١٥)، (باب الواو والصاد، وما يثلثهما).

(٤) الإيضاح (ص ١٤٩).

(٥) لأن الجمل التي لها محل لها من الإعراب والمفردات كذلك؛ فأمرهما واضح، إذ لا يقصد منه سوى التشريك في الحكم الإعرابي.

"إن دقَّة المعاني تظهر في الجمل التي لا محل لها من الإعراب، لأن الجمل التي لها محل من الإعراب أمرها هيِّن، حيث قصد به التشريك في الحكم الإعرابي فقط، و(الواو) من بين حروف العطف هي الواسطة لذلك؛ لأنها لا تحمل من المعاني سوى التشريك في الحكم ومطلق الجمع، لذا كان العطف بها دقيقًا مشكلاً "[1]. وأما غير (الواو) من حروف العطف؛ فإنها تفيد مع التشريك في الأحكام معانيَ أخرى.

مواضع الفصل:

الأول: إذا كان بين الجملتين كمال اتصال: وهو أن تتفق الجملتان في الإنشائية والخبرية لفظًا ومعنى، أو معنى فقط. وذلك لما بين الجملتين من قوةٍ وترابطٍ لا تحتاج معه إلى رابطٍ. وقوة هذا التلاحم بينهما تعود إلى أمور ثلاثة:

أن تكون الجملة الثانية مؤكدة للأولى تأكيدًا لفظيًّا أو معنويًّا.

أن تكون الجملة الثانية منزلة من الأولى بمنزلة بدل الكل أو البعض، أو بدل اشتمال.

أن تكون الجملة الثانية بيانًا للجملة الأولى. كأن يكون في الجملة الأولى غموض، وتأتي الجملة الثانية بيانًا وإيضاحًا لها.

الثاني: كمال الانقطاع بلا إبهام : وهو أن يكون بين الجملتين تباين تام وانقطاع كامل، ويرجع ذلك إلى اختلافهما إنشاءً وخبرًا، أو لا تكون بينهما مناسبة. ويتحقق ذلك في ثلاث صور:

أن تختلف الجملتان خبرًا وإنشاءً لفظًا ومعنى.

أن تختلف الجملتان إنشاءً وخبرًا معنى فقط، وتتفقان لفظًا.

---

(١) انظر: دلائل الإعجاز (ص ٢٢٤)، والإيضاح (ص ١٤٩،١٥٠).

أن تتفق الجملتان خبرًا أو إنشاء لفظًا ومعنى، ولكن يفقد الجامع بينهما، أي لا توجد بينهما مناسبة تصحِّح العطف.

الثالث: شبه كمال الاتصال: ويسمى أيضًا بالاستئناف البياني، وهو أن تكون الجملة الأولى متضمنة لسؤال تقع الجملة الثانية جوابًا له.

الرابع: شبه كمال الانقطاع: وهو أن تكون الجملة مسبوقة بجملتين يصح وصلها بالأولى منهما لوجود المناسبة، ولا يصح عطفها على الثانية؛ فيترك العطف دفعًا لتوهم العطف على الثانية، وتصبح الجملة الثالثة بمنزلة المنقطعة عن الأولى لهذا السبب.

الخامس: الفصل لعدم الاشتراك في القيد: أو كما عرَّفه بعض البلاغيين بالتوسُّط بين الكمالين، مع وجود المانع من العطف، وهو عدم الاشتراك في الحكم[1].

مواضع الوصل:

الوصل لعدم الإيهام : لدفع إيهام خلاف المقصود.

الوصل للتوسُّط بين الكمالين: وهو التوسُّط بين حالتي كمال الانقطاع، وكمال الاتصال[2]، وستأتي الأمثلة على ذلك من القرآن الكريم في الصفحات التالية.

والفصل والوصل من المباحث البلاغية المهمَّة؛ وله شأن في البلاغة عظيم، لا يستغني عن دراسته أهل البلاغة للوقوف على أصوله ومواضعه، فما له من الأهمية ما تحتاج معه إلى دقَّة في فهمه، وذوق صحيح في إدراك أسراره، حتى إن بعض العلماء قصر البلاغة على معرفة الفصل والوصل؛ تنبيهًا وإشارة إلى غموضه[3].

---

(١) انظر: علم المعاني د.بسيوني عبد الفتاح (٢/١٧٠،١٤٦)، والبلاغة الاصطلاحية (ص ٢٥٤).

(٢) انظر: بغية الإيضاح (٢/٧٦- ٨٠).

(٣) فقد سجَّل علماء البلاغة عبارات كلها تشيد بموضوع الفصل والوصل. انظر: البيان والتبيين، تأليف: عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت- لبنان، (١/ ٨٨)، ودلائل الإعجاز (ص ٢٢٢)، والإيضاح (ص ١٤٩).

ومعلوم أن كتب البلاغة تبدأ عادة بذكر الفصل؛ لأنه الأصل، والوصل طارئ عليه، ومرجع ذلك أن الفصل لا يحتاج إلى حرف عطف، وعدم العطف هو الأصل؛ فلا يفتقر إلى زيادة شيء على المنفصلين؛ فلذلك قُدِّم، وأُخر الوصل؛ لأنه يحتاج إلى زيادة حرف العطف، وهو لذلك فرع عما لا يفتقر إلى زيادة شيء[1].

ومن شواهده في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ۝٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٥﴾[2].

ففي قوله تعالى :﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِ﴾.

١- فصل بينهما لكمال الاتصال؛ فالجملة الأولى (ذلك الكتاب) وصف للكتاب الكريم بكمال الهداية للناس، وقد اكتسبت هذه الفائدة من تعريف الطرفين: تعريف المسند إليه باسم الإشارة (ذلك) الذي يدل على البعيد، إشارة إلى بُعد وعلو منزلته، وأما الطرف الآخر، وهو تعريف المسند (الكتاب) بالألف واللام؛ تعظيمًا له.

وكذلك الشأن في قوله تعالى: ﴿لَا رَيۡبَۛ فِيهِ﴾ ؛ فإنها تفيد نفي الريب والشك؛ فلا يتطرق إليه النقص ولا الخلل، وهذا تقرير وتأكيد لمعنى الجملة الأولى، إذ يلزم من بلوغ القرآن الكريم مرتبة الكمال، أن لا يتطرق إليه الشك أو الريب؛ فجاءت جملة (لا ريب فيه) مقررة لهذا المعنى ومؤكدة له.

---

(١) انظر المطول (ص ٤٣٤).

(٢) البقرة (١-٥).

وأيضًا في قوله – عز من قائل-: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ أفادت أن القرآن الكريم لكماله؛ فإنه أصبح في الهداية على درجة لا يبلغها كتاب آخر، حتى كأنه هو الهداية ذاتها. فقد دلَّ تنكير لفظ (هدى) على التعظيم؛ بدلالة السياق، وباختيار لفظ المصدر الذي يدل على المبالغة في الوصف.

ويتضح من الجمل السابقة أنها تأكيد لجملة: (ذلك الكتاب)، ولذلك ترك العطف بينها بالواو؛ فما بينها من القوة والاتصال مما لا تحتاج معه إلى ربط بالواو(١).

٢- الفصل لشبه كمال الاتصال في قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾، مع ما سبقها لسؤال نشأ عن الجملة السابقة، كأنه قيل: ما بال المتقين مخصوصين بالهدى دون غيرهم؟ فكان الجواب ما انطوى عليه اسمهم من أوصافهم بصفات المتقين.

٣- من بلاغة الوصل بين الجمل الكريمة قوله تعالى: ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾، الوصل للتوسُّط بين الكمالين، والملاحظ أن هذه الجمل قد اتفقت في الخبريَّة، فجاءت بصفات المؤمنين الذين آمنوا بالغيب وأقاموا الصلاة، وأنفقوا مما رزقهم الله تعالى. وفي تلك الأوصاف ما يجعلهم أجدر بأن يكونوا من المهتدين ومن المفلحين.

٤- وكذلك الوصل في قوله تعالى: ﴿بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ لكمال الاتصال"(٢).

وقد تناول الألوسي الفصل لكمال الاتصال في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِي ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِيٓ أَمْرِي﴾(٣) حيث قال: "وفصل الدعاء الأول عن الدعاء السابق؛ لكمال الاتصال بينهما؛ فإن شدَّ الأزر عبارة عن جعله وزيرًا، وأما الإشراك في الأمر فحيث كان من أحكام الوزارة توسَّط بينهما العاطف"(٤).

---

(١) انظر: معجم البلاغة القرآنية، للدكتور محمد سعد الدبل، الناشر مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م. (١/١١-١٤).

(٢) انظر: معجم البلاغة القرآنية (١/١١-١٥).

(٣) طه (٢٩-٣٢).

(٤) روح المعاني (١٦/١٨٥).

كما ورد الفصل لكمال الاتصال في تفسير الألوسي لقوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَـٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[1].

حيث قال :"قلنا اهبطوا منها جميعا كرّر للتأكيد، فالفصل لكمال الاتصال، والفاء في فتلقَّى للاعتراض؛ إذ لا يجوز تقدُّم المعطوف على التأكيد، وفائدته الإشارة إلى مزيد الاهتمام بشأن التوبة"[2].

كما جاء الفصل لكمال الاتصال في تفسير الألوسي لقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَـٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴾[3] حيث قال الألوسي :" يضاعف له العذاب يوم القيامة بدل من يلق، بدل كل من كل، أو بدل اشتمال، وجاء الإبدال من المجزوم بالشرط في قوله:

متى تأتنا تلمم بنا في ديارنا　　　تجد حطبًا جزلا ونارًا تأججا[4]

ومن الشواهد على الفصل ما جاء في قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ﴾[5].

حيث فُصل قوله تعالى:﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ عن سابقه؛ لأنه كلام مستأنف أراد به تثبيت المؤمنين على ما هم عليه من الصفات، وهي الدعوة إلى الخير[6]، ثم فُصِلَت جملة: (تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ

---

(١) البقرة (٣٧-٣٨).

(٢) روح المعاني (١/٢٣٨).

(٣) الفرقان (٦٨-٦٩).

(٤) روح المعاني (١٩/٤٨). "لم أقف على قائل للبيت".

(٥) آل عمران (١١٠).

(٦) انظر: إرشاد العقل السليم (٢/ ١٧).

عَنِ الْمُنكَرِ) عما قبلها للاستئناف البياني "شبه كمال الاتصال"؛ لأن الجملة جواب عن سؤال مضمونه: لماذا هي أفضل أمَّة؟. فجاء الجواب مفصولاً بقوله تعالى: ﴿تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾.

جهود الألوسي في الفصل والوصل:

لقد تناول الألوسي الفصل في تفسيره لقوله تعالى : ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾[1]. حيث قال: "فُصِل الذين يحشرون عما قبله استئنافًا؛ لأن التسلية السابقة حرَّكت منه ﷺ بأن يسأل: فإذاً بماذا أجيبهم، وما يكون قولي لهم؟ فقيل قل لهم: الذين يحشرون على وجوههم إلى جهنم الخ"[2].

وفي تفسيره لقوله تعالى :﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾[3] يقول الألوسي: "قال استئناف بياني؛ كأنه قيل: فماذا قال لهم حين أُرسِل إليهم؟ فقيل: قال الخ"[4].

وفي تفسيره لقوله تعالى:﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ﴾[5]. يقول الألوسي: "نسقيكم استئناف بياني، كأنه قيل: كيف العبرة فيها؟ فقيل: نسقيكم مما في بطونه"[6].

ويقول الألوسي في تفسير قوله تعالى :﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا ۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى﴾[7]. "(قال) استئناف بياني؛ كأنه قيل: فماذا فعل بهم لما رجع إليهم؟ فقيل: قال يا قوم ألم يعدكم ربكم..."[8].

---

(١) الفرقان (٣٣-٣٤).
(٢) روح المعاني (١٩/١٧).
(٣) الأعراف (٦٥).
(٤) روح المعاني (٨/١٥٤).
(٥) النحل (٦٦).
(٦) روح المعاني (١٤/١٧٦).
(٧) طه (٨٦).
(٨) روح المعاني (١٦/٢٤٤).

كما يقول الألوسي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾[(1)]. "(ومن كفر) هذه الجملة، وكذا جملة (يعبدونني) استئناف بياني، أما في الأولى فالسؤال ناشئ من قوله تعالى: (وعد الله الخ)، فكأنه قيل: فما ينبغي للمؤمنين بعد هذا الوعد الكريم، أو بعد حصوله؟ فقيل: يعبدونني لا يشركون بي شيئًا. وأما في الثانية فالسؤال ناشئ من الجواب المذكور، فكأنه قيل: فإن لم يفعلوا فماذا؟ فقيل: ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون"[(2)].

كما يقول الألوسي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۖ وَلِلْكَٰفِرِينَ أَمْثَٰلُهَا ﴾[(3)]. "وقوله تعالى: "(دمَّر الله عليهم) استئناف بياني؛ كأنه قيل: كيف كانت عاقبتهم؟ فقيل: أهلك ما يختص من النفس والأهل والمال. يقال دمَّره: أهلكه، ودمَّر عليه: أهلك ما يختص به، فدمَّر عليه أبلغ من دمَّره"[(4)].

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ ۙ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِي سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى ۚ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ ۚ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾[(5)] يقول الألوسي :" وقوله تعالى "تسرون إليهم بالمودة" استئناف بياني؛ كأنهم لما استشعروا العتاب مما تقدَّم سألوا: ما صدر عنَّا حتى عُوتِبنا؟ فقيل: تسرون... الخ"[(6)].

---

(١) النور (٥٥).

(٢) روح المعاني (١٨/٢٠٥).

(٣) محمد (١٠).

(٤) روح المعاني (٢٦/٤٥).

(٥) الممتحنة (١).

(٦) روح المعاني (٢٨/٦٧).

المبحث الخامس

الإيجاز والإطناب

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الإيجاز.

المطلب الثاني: الإطناب.

المطلب الأول
الإيجاز

مفهومه:

أولاً: في اللغة.

من جوز، يقال: "تجوَّز في صلاته أي خَفَّف"، وفي الحديث: (أسمع بكاء الصبي فأتجوز في صلاتي [١]، أي: أخفِّفها وأقلِّلها)[٢].

ثانيًا: في الاصطلاح.

"تقليل الكلام من غير إخلالٍ بالمعنى، وإذا كان المعنى يمكن أن يعبر عنه بألفاظٍ كثيرة، ويمكن أن يعبر عنه بألفاظٍ قليلة؛ فالألفاظ القليلة إيجاز. والإيجاز على وجهين: (حذف، وقِصَر)؛ فالحذف إسقاط كلمة للاجتزاء عنها بدلالة غيرها من الحال، أو فحوى الكلام.

والقِصَر: بنية الكلام على تقليل اللفظ، وتكثير المعنى من غير حذف"[٣]، والإيجاز بالقصر أغمض من الحذف، فهو يحتاج إلى العلم بمواضعه، والدربة على مسالكه.

وسأستهل الحديث بالتعريف عن موضوع الحذف، ولا بد من التنويه أنه في كل حذفٍ لا بد من وجود أمرين: داعٍ يدعو إليه، وقرينة تدل على المحذوف، وترشد إليه وتُعيِّنهُ[١]. والمحذوف إما أن يكون:

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الجماعة والإمامة، باب من أخف الصلاة عند بكاء الصبي، (١/٢٥٠)، رقم (٦٧٥). ومسلم في صحيحه، في كتاب الصلاة، باب أمر الأئمة بتخفيف الصلاة في تمام، (١/ ٣٤٢)، حديث رقم (٤٧٠).

(٢) انظر: لسان العرب (٢/٤١٨) مادة (جوز) . أصل المادة: (وج ز). ماضيها (أوجز) على وزن أفعل بزيادة الألف، فيقال: أوجز يوجز إيجازاً.

(٣) انظر: كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، تصنيف: أبي هلال العسكري، تحقيق: علي محمد البجادي، محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت. ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م. (ص ١٧٩)، وسر الفصاحة، لأبي محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي، فهرسة: داود غطاشة، دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م. (ص ١٩٧).

١- حذف حرف. ٢- حذف المسند أو المسند إليه، أو أحد متعلقات الفعل، كالمفعول، والجار والمجرور. ٣- حذف المضاف. ٤- حذف المضاف إليه. ٥- حذف الموصوف. ٦- حذف الصفة. ٧- حذف القَسَم. ٨- حذف جواب القَسَم. ٩- حذف الشرط. ١٠- حذف جواب الشرط. ١١- حذف جواب الاستفهام. ١٢- حذف المعطوف. ١٣- حذف الجملة، والمراد بها التي تفيد معنىً مستقلاً.

"وهذا النوع من الحذف لا تجده في كلام البلغاء، وإنما تجده في كتاب الله – تعالى -؛ لأنه بحذف جملةٍ من الكلام دون إدراكٍ لما تحدثه من تداخل في المعنى، قد يؤدي أحيانًا إلى نقصٍ في المراد، لكن كلام الله ﷻ يعطينا المعاني كاملة، ومع ذلك نجد حلاوة الإيجاز، ناشئة عن روعة إعجاز القرآن الكريم أصلاً" [٢].

من أسرار بلاغة الحذف: "منها تفخيم وتعظيم للمعنى، لما فيه من الإيهام لذهاب الذهن به كل مذهب، وتشوفه إلى ما هو المراد، فيرجع قاصرًا عن إدراكه، فعند ذلك يعظم شأنه، ويتزايد قدره، ويعلو في النفس مكانه؛ لأن المحذوف إذا ظهر في اللفظ زال ما كان يختلج في الوهم، واتضح المراد.

ومن بلاغته كذلك ازدياد اللذة لما فيه من معالجة، حتى يستنبط الذهن ذلك المحذوف ويقدره. وكلما كان الشعور بالمحذوف أعسر كان الالتذاذ به أشد وأحسن، والرغبة في زيادة الأجر على الاجتهاد فيه، ومنها طلب الإيجاز والاختصار، وتحصيل المعنى الكثير في اللفظ القليل، والتشجيع على الكلام"[٣]. وغيرها من الأسرار التي تستجد بتجدد المعاني القرآنية.. وللحذف قيمة بلاغية أشار إليها علماء البلاغة، فمنهم من عدَّه من شجاعة العربية[٤]، ومنهم من قال

---

(١) انظر: الخصائص، لأبي الفتح عثمان بن جني، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتاب العربي . (٣٦٠/٢).

(٢) انظر: المثل السائر (٧٤/٢- ٧٦)، وعلم المعاني (١٨٨/٢-١٩٤)، للدكتور بسيوني عبد الفتاح.

(٣) انظر: البرهان في علوم القرآن (١٠٤/٣، ١٠٥).

(٤) انظر: الخصائص (٣٦٠/٢).

عنه: "إنه عجيب الأمر، شبيه بالسحر، وذلك أنك ترى فيه ترك الذِّكر أفصح من الذِّكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون مبينًا إذا لم تُبين، وهذه جملةُ تنكرها حتى تَخْبُرَ، وتدفعها حتى تَنْظُر"[1].

من شروط الحذف :

١- والأصل في المحذوفات جميعها على اختلافها أن يكون في الكلام ما يدل على المحذوف؛ فإن لم يكن هناك دليل على المحذوف؛ فإنه لغو من الحديث.

٢- ومن شروطه: أن يكون متى أُظهِر في الكلام، فَقَدَ الكلام معه حسنه وبلاغته.

٣- ظهور المحذوف بالإعراب كقولهم: (أهلاً وسهلاً) مما يدل على ناصبٍ محذوفٍ، وهذا النوع يقع في المفردات كثيرًا، ومنه ما يظهر بالنظر إلى تمام المعنى، كما في قولهم: (فلان يحل ويعقد)، وتقدير المحذوف: يحل الأمور ويعقدها، فالمحذوف لم يظهر بالإعراب، وإنما دلَّ عليه المعنى، وهذا النوع يقع في الجمل من المحذوفات"[2].

ومن الشواهد على الإيجاز بالقصر: قوله تعالى:﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾[3].

أراد بهم الذين اتقوا المثْلة[4]، والمبالغة في القصاص، وابتعدوا عن كل ما نهى عنه –سبحانه–[5].

ولقد وردت بعض الآيات بإيجازٍ في ألفاظها، وتميُّزٍ في أسلوبها، فأعطت فيضًا زاخرًا بالمعاني الجليلة، التي لا يحتويها تأليف، كما ورد في قوله تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾[1].

---

(١) المثل السائر (٢/٧٧).

(٢) المثل السائر (٢/٢٢٠).

(٣) النحل (١٢٨).

(٤) وهي التشهير والتنكيل. انظر: المعجم الوسيط (٢/٦٢٨).

(٥) انظر التحرير والتنوير (٦/١٤/٣٣٨).

"والسورة الكريمة شاهد عظيم من شواهد بلاغة القرآن الكريم في كل جوانبه، فهي على قصرها وإيجازها، إلا أنها بلغت الكمال في معانيها، وبينت الطريق المستقيم الذي عليه المؤمن الكامل الإيمان، فكل أحدٍ هالك إلا الذي آمن، ثم الذي عَلِم الحق وعمل به، وذكَّر غيره بالنصيحة، ثم وصَّى وأمر بالصبر على الثبات على ذلك، وعلى العمل بموجب كل هذه الصفات"[٢].

ولكثرة ما ورد في فضل هذه السورة الكريمة على قصرها، واختصار عباراتها؛ فلقد تآزرت البلاغة بإيجازها مع المعاني، فأظهرتها كاملةً على قصر عباراتها: مَنْ تقفَّى أثرها وصل إلى سعادة الدارين. حيث عبَّر بالاستثناء في قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ لتقرير الحكم في نفس السامع تامًا بأن الناس على فريقين: فريق يلحقه الخسران، وفريق في مأمنٍ مِن الخسارة، ومن سوء العاقبة.

ولما كان المقام في هذه السورة الكريمة مقام توجيه وإرشاد، وكانت الدعوة في أوجها ومستهلِّها، وفي حاجةٍ إلى مؤازرين ومناصرين لها، ناسب ذلك أن تكون العبارات موجزة، وأن تكون على جانب من القِصر، يؤدي الغرض من مفهومها، هذا من ناحية، ومن ناحيةٍ أخرى؛ فإن أسلوب الإيجاز بالقصر ضروري في هذه الحالة، لتأخذ النصيحة بمجامع القلوب، وتؤدي دورها في تحريك المفاهيم، فتمازج العقول؛ حتى يعيها ذوو الألباب، ويعملوا بمقتضاها[٣].

وفي هذا الأسلوب –كذلك - إشعار لمن نُزِّل عليهم القرآن الكريم، وهم أرباب البيان، بأن ما يفعله الرسول ﷺ معهم ما هو إلا من قبيل التواصي بالحق، والتواصي بالصبر اللَّذَيْن أمَرَ بهما؛ فقد جمعتا من فضائل الدين الإسلامي ما فيه الخير الكثير، وأن على المؤمنين أن يسيروا على نهجهما، فهما الطريقة المثلى في الثبات على الدين، وعلى التواصي بالحق[٤].

---

(١) العصر (١-٣).

(٢) نظم الدرر (٢٣٨/٢٢).

(٣) انظر نظم الدرر (٢٣٩/٢٢).

(٤) انظر التحرير والتنوير (٥٣١/٣٠/١٢).

يقول الخطابي مبيِّنًا الصورة البلاغية التي اشتمل عليها قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ أَنَّ قُرۡءَانٗا سُيِّرَتۡ بِهِ ٱلۡجِبَالُ أَوۡ قُطِّعَتۡ بِهِ ٱلۡأَرۡضُ أَوۡ كُلِّمَ بِهِ ٱلۡمَوۡتَىٰۗ بَل لِّلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ جَمِيعًا﴾(١).

إنَّ الإيجاز في موضعه، وحذف ما يُستغنى عنه من الكلام، نوعٌ من أنواع البلاغة، وإنما جاز حذف الجواب في ذلك وحسُن؛ لأنَّ المذكور منه يدلُّ على المحذوفِ والمسكوتِ عنه من جوابه؛ ولأنَّ المعقول من الخطاب عند أهل الفهم كالمنطوق به، والمعنى (ولو أنَّ قرآنًا سيِّرت به الجبال أو قُطِّعت به الأرض أو كلِّم به الموتى لكان هذا القرآن). والحذف في مثل هذا أبلغ من الذكر؛ لأنَّ النفس تذهب في الحذف كل مذهب، ولو ذُكر الجواب لكان مقصورًا على الوجه الذي تناوله الذكر.."(٢).

وقد تحدَّث الألوسي عن الإيجاز في تفسيره لقوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَأَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ﴾(٣).

حيث قال :"(قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون) جواب وتقرير لما مرَّ من الجواب الإجمالي، واستحضار له على وجه أبسط من ذلك وأشرح، ولا يخفى ما في الآية من الإيجاز؛ إذ كان الظاهر أعلم غيب السموات والأرض وشهادتهما؛ وأعلم ما كنتم تبدون وما كنتم تكتمون، وما ستبدون وتكتمون، إلا أنه سبحانه اقتصر على غيب السموات والأرض؛ لأنه يعلم منه شهادتهما بالأولى، واقتصر من الماضي على المكتوم؛ لأنه يعلم منه البادي كذلك، وعلى المبدأ من المستقبل؛ لأنه قبل الوقوع خفي، فلا فرق

(١) الرعد (٣١).
(٢) بيان إعجاز القرآن (ص ٤٢).
(٣) البقرة (٣٣).

بينه وبين غيره من خفياته، وتغيير الأسلوب حيث لم يقل: (وتكتمون)؛ لعله لإفادة استمرار الكتمان، فالمعنى أعلم ما تبدون قبل أن تبدوه، وأعلم ما تستمرون على كتمانه"(١).

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ﴾(٢) يقول الألوسي: "وتخصيص الذريَّة مع أنهم محمولون بالتبع؛ لأنه أبلغ في الامتنان، حيث تضمَّن بقاء عقبهم، وأدخل في التعجُّب ظاهر، حيث تضمَّن حمل ما لا يكاد يحصى كثرة في سفينة واحدة مع الإيجاز؛ لأنه كان الظاهر أن يقال: حملناهم ومن معهم ليبقى نسلهم، فذِكْر الذرية يدل على بقاء النسل، وهو يستلزم سلامة أصولهم، فدلَّ بلفظ قليل على معنى كثير"(٣).

وتناول الألوسي إيجاز الحذف في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾(٤) حيث قال: "وقال الملك ائتوني به أستخلصه" أجعله خالصًا لنفسي، وخاصًا بي، فلما كلَّمه... في الكلام إيجاز، أي فأتوا به، فلما... الخ، وحذف ذلك للإيذان بسرعة الإتيان، فكأنه لم يكن بينه وبين الأمر بإحضاره -عليه السلام- والخطاب معه زمان أصلاً "(٥).

كما تناول الألوسي إيجاز الحذف في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾(٦).

حيث قال: "ما نفدت كلمات الله جواب لو، وفي الكلام اختصار يسمى إيجاز حذف، ويدل على المحذوف السياق، والتقدير: ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام، والبحر ممدود بسبعة أبحر، وكتبت بتلك الأقلام، وبذلك المداد كلمات الله تعالى ما نفِدَت لعدم تناهيها،

---

(١) روح المعاني (١/٢٢٨).

(٢) يس (٤١).

(٣) روح المعاني (٢٣/٢٧).

(٤) يوسف (٥٤).

(٥) روح المعاني (١٣/٤).

(٦) لقمان (٢٧).

ونفِدَت تلك الأقلام والمداد لتناهيها، ونظير ذلك في الاشتمال على إيجاز الحذف قوله تعالى :"أو به أذى من رأسه ففدية" أي فحَلَقَ رأسَه لدفع ما به من الأذى ففدية"[1].

كما تناول الألوسي إيجاز الحذف في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَٱسۡتَفۡتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾[2].

حيث قال :"وفي الكلام إيجاز الحذف بحذف الفاء والمعطوف عليه، أي استفتحوا ففتح لهم، وظفروا بما سألوا وأفلحوا، وخاب كل جبَّار عنيد"[3].

(١) روح المعاني (٢١/١٠٠).

(٢) إبراهيم (١٥).

(٣) روح المعاني (١٣/٢٠١).

المطلب الثاني

الإطناب

مفهومه:

أولاً: في اللغة.

"الطاء والنون والباء أصل واحد، يدل على ثبات الشيء وتمكُّنه، مصدر أطنب في كلامه إطنابًا، وهو من البلاغة في الكلام والوصف، وبه يكون تطويل ذيول الكلام؛ لإفادة المعاني مدحًا كانت أو ذمًّا. واشتقاقه من قولهم: أطنب بالمكان: إذا طال مقامه فيه، وفرس طَنِبٌ: إذا طال متنه، ومن أجل ذلك سُمِّي حَبْل الخيمة طُنُبًا لطوله. والإطناب نقيض الإيجاز"[1].

ثانيًا في الاصطلاح:

"هو زيادة اللفظ على المعنى لفائدة جديدة من غير ترديد، فقولنا: هو زيادة اللفظ على المعنى عام في الإطناب، وفي الألفاظ المترادفة، كقولنا: ليث وأسد، فإنه كلّه من باب زيادة اللفظ على معناه، وقولنا لفائدة، يخرج عنه التطويل، فإنه زيادة من غير فائدة، وقولنا جديدة، تخرج عنه الألفاظ المترادفة، فإنها زيادة في اللفظ على المعنى لفائدة لغويَّة، ولكنها ليست جديدة، وقولنا من غير ترديد يحترز به عن التواكيد اللفظية، كقولنا: اضرب اضرب، فإنها زيادة اللفظ على المعنى لفائدة جديدة، وهو التأكيد، لكنه ترديد اللفظ وتكريره، بخلاف الإطناب فإنه خارج عن التأكيد" [2].

فائدته:

---

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة (٤٢٦/٣)، (باب الطاء والنون، وما يثلثهما)، ولسان العرب (١/ ٢٠٥)، (مادة طنب).

(٢) الطراز (١٢٣/٢).

"المبالغة في تصوير المعنى المقصود، لما فيه من طول النزهة في الكلام، فيجتلب معه في طريقه فوائد عظيمة، إما حقيقة كما في قوله تعالى: ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾[(١)]، ومعلوم أن القلب في الجوف، ولكن أراد به هنا التأكيد، ومثاله: ﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾[(٢)].

فكما أن القلب لا يكون إلا في الجوف، فكذلك السقف لا يكون إلا من فوق، وهذا مقام ترهيب وتخويف، كما أن ذاك مقام إنكار وتعظيم، فلذكر لفظة (فوقهم)- فائدة لا توجد مع إسقاطها من هذا الكلام، وأنت تحس هذا من نفسك، فإنك إذا تلوتَ هذه الآية يخيَّل إليك أن سقفًا خرَّ على أولئك من فوقهم، وحصل في نفسك من الرعب ما لا يحصل مع إسقاط تلك اللفظة"[(٣)].

"وإما مجازًا، نحو قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾[(٤)] تحقيقًا لإضافة العمى إلى القلوب بطريق المجاز؛ توضيحًا للمراد، وحتى لا يلتبس المعنى بمحل البصر. وفيه إخراج الكلام في صور مختلفة وتفصيلية، يجعل المعنى يستقر المراد به ويتضح"[(٥)].

صوره وأغراضه:

وللإطناب صور متنوعة، وأغراض مختلفة، أوردها البلاغيون كالآتي:

١/ الإيضاح بعد الإبهام: وهو طرح الكلام بصورتين مختلفتين، ذلك أنه إذا أُلقي الكلام على سبيل الإجمال والإبهام، تشوَّقت النفس إلى معرفة المعنى بتفصيله، فتتوجَّه إلى ما يرد بعد ذلك؛ فإذا أُلقي الكلام في صورة أخرى، تمكَّن فيها فضل تمكُّن، وأثَّر في نفس السامع، وكملت لذة العلم به.

---

(١) الأحزاب (٤).

(٢) النحل (٢٦).

(٣) المثل السائر (٢/ ١٢٣).

(٤) الحج (٤٦).

(٥) انظر: الطراز (١٢٦/٢).

٢/ ذكر الخاص بعد العام للتنبيه على فضله، حتى كأنه ليس من جنسه.

٣/ التكرير: ويأتي لدواعٍ، منها: الإنذار، وزيادة التنبيه، وطول الفصل.

٤/ التذييل: وهو تعقيب الجملة بجملة تشتمل على معناها للتوكيد.

٥/ الإيغال: وهو ختم البيت بما يفيد نكتة يتم المعنى بدون التصريح بها.

٦/ الاحتراس: ويسمى التكميل، وهو أن يؤتى في كلام يوهم خلاف المقصود بما يدفعه.

٧/ التتميم: وهو أن يؤتى في كلام لا يوهم خلاف المقصود بفصله؛ ليفيد نكتة.

٨/ الاعتراض: وهو أن يؤتى بجملة في كلام متَّصل بعضه ببعض لنكتة.

٩/ عطف الخاص على العام.

وهناك أغراض أخرى للإطناب غير ما ذكر(١).

ولا تعذب الإطالة والإطناب إلاّ في كلام الله ﷻ، فكل زيادة في القرآن الكريم تحللت بفائدةٍ وجمالٍ، لا يكونان في غيره، ومن ذلك ما ورد في قوله تعالى: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ وَلَوۡ ءَامَنَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۚ مِّنۡهُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾(٢).

فورد الإطناب بعطف العام على الخاص في قوله تعالى: ﴿وَتُؤۡمِنُون بِٱللَّهِۗ﴾ ، فهو ترغيب في مزيد من التمسُّك بالدِّين القويم، وإشارة إلى أنه يجب أن تكون أفعالكم وأقوالكم الإيمانية المتمثلة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تدعو – جميعها – إلى دين الله – تعالى –، ففي ذلك بقاؤكم (خير أمة)، كما أن فيه تذكيرًا لأهل الكتاب بأهمية الإيمان بالله – تعالى – وأنه ليس كإيمان أهل الكتاب الذي ورد في كتبهم، وهناك إطناب بالاحتراس في قوله ﷻ: ﴿مِّنۡهُم

---

(١) انظر: الإيضاح (ص ١٨٩) وما بعدها.

(٢) آل عمران (١١٠).

ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ احتراسًا من أن تلحق الذين آمنوا من أهل الكتاب وصمة الكفر لما تقدَّم في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾.

وفي الآية عطف للعام على الخاص في قوله تعالى: ﴿تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ حيث عطف النهي عن المنكر على الأمر بالمعروف، وهو من باب عطف الخاص على العام؛ لأن الأمر بالمعروف أعم، ويدخل فيه النهي عن المنكر، لذلك قُدِّم، أما النهي عن المنكر فإنه أخص[1].

من الإطناب عطف الخاص على العام كما في قوله تعالى: ﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴾[2].

"فالإطناب. في قوله تعالى:﴿لا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ﴾.

وبعد بيان معنى التجارة والبيع، اتَّضح ما بينهما من مغايرة التجارة للبيع، وأن التجارة عامة، والبيع خاص، والعطف بينهما يعد من باب عطف الخاص على العام، وهو ما أراده أبو حيان بقوله: "والظاهر مغايرة التجارة والبيع، ولذلك عطف؛ فاحتمل أن تكون تجارة من إطلاق العام، ويراد به الخاص، فأراد بالتجارة الشراء، ولذلك قابله بالبيع، أو يراد تجارة الجلب، ويقال: تجر فلان في كذا إذا جلبه، وبالبيع البيع بالأسواق"[3]، وورد في أن البيع: "يطلق بالاشتراك على التحصيل الذي هو الشراء" [4].

وقد تحدَّث الألوسي عن الإطناب في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾[5] حيث قال :"وذكر

---

(١) انظر التحرير والتنوير (٢/٤/٥٠).

(٢) النور (٣٧).

(٣) تفسير البحر المحيط (٦/٤٢٢).

(٤) نظم الدرر (١٣/٢٧٨).

(٥) الزخرف (٧١).

ذلك الشامل لكل لذَّة ونعيم بعد ذكر الطواف عليهم بأواني الذهب -الذي هو بعض من التنعُّم والترفُّه- تعميم بعد تخصيص، كما أن ذكر لذَّة العين -التي هي جاسوس النفس بعد اشتهاء النفس- تخصيص بعد تعميم، ففي الآية إطناب بذكر العام بعد الخاص، وكذلك بذكر الخاص بعد العام"(١).

وأيضا تناول الألوسي الإطناب في تفسيره لقوله تعالى: ﴿قُلْ إِن تُخْفُواْ مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾(٢).

حيث قال :"ويعلم ما في السموات وما في الأرض من إيراد العام بعد الخاص؛ تأكيدًا له وتقريرًا" (٣).

وكذلك تحدَّث الألوسي عن الإطناب في تفسيره لقوله ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَـٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾(٤).

حيث قال :"وأصل الفحش: مجاوزة الحد في السوء، ومنه قول طرفة: "عقيلة مال الفاحش المتشدِّد" يعني الذي جاوز الحد في البخل، فلعل المراد منها هنا: المعصية البالغة في القبح، والظلم: الذنب مطلقًا، وذكره بعدها من ذكر العام بعد الخاص"(٥).

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُواْ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾(٦).

---

(١) روح المعاني (٩٨/٢٥).
(٢) آل عمران (٢٩).
(٣) روح المعاني (١٢٦/٣).
(٤) آل عمران (١٣٥).
(٥) روح المعاني (٦٠/٤).
(٦) يونس (٨٨).

يقول الألوسي:"زينة: أي ما يتزيَّن به من اللباس والمراكب ونحوها، وتستعمل مصدرًا، وأموالاً: أنواعًا كثيرة من المال كما يشعر به الجمع والتنوين، وذِكْر ذلك بعد الزينة من ذكر العام بعد الخاص للشمول"[١].

ويقول الألوسي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿قَالُواْ يَـٰقَوۡمَنَآ إِنَّا سَمِعۡنَا كِتَـٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسۡتَقِيمٍ﴾[٢].

"يهدي إلى الحق من العقائد الصحيحة، وإلى طريق مستقيم من الأحكام الفرعيَّة، أو ما يعمّها وغيرها من العقائد، على أنه من ذكر العام بعد الخاص"[٣].

ويقول الألوسي موضِّحًا الإطناب عن طريق ذكر الخاص بعد العام في تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَـٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾[٤] "وخصَّ الصلاة من الذكر بالإفراد بالذكر مع أن الذي يصد عنه يصد عنها لأنه من أركانها؛ تعظيمًا لها، كما في ذكر الخاص بعد العام، وإشعارًا بأن الصاد عنها كالصاد عن الإيمان؛ لما أنها عماده، والفارق بينه وبين الكفر"[٥].

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَـٰذَآ أَخِيۖ قَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَآۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾[٦].

---

(١) روح المعاني (١٧٢/١١).
(٢) الأحقاف (٣٠).
(٣) روح المعاني (٣٢/٢٦).
(٤) المائدة (٩١).
(٥) روح المعاني (١٦/٧).
(٦) يوسف (٩٠).

قال الألوسي :"وذِكْر الصبر بعد التقوى من ذكر الخاص بعد العام"(١).

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلۡحِسَابِ﴾(٢).

يقول الألوسي :"وهذا من قبيل ذكر الخاص بعد العام للاهتمام؛ حيث إن الخوف من سوء الحساب داخل في خشية الله"(٣).

وقد يأتي الإطناب عن طريق الإيضاح بعد الإبهام، وقد تحدَّث الألوسي عن ذلك في تفسيره لقوله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٖ مُّخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهَاۚ وَمِنَ ٱلۡجِبَالِ جُدَدُۢ بِيضٞ وَحُمۡرٞ مُّخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٞ﴾(٤).

فقال :"وقوله تعالى سود بدل منه، أو عطف بيان له، وهو مفسِّر للمحذوف، ونظير ذلك قول النابغة:

والمؤمنِ العائذاتِ الطّيرَ تمسَحُها ركبانُ مكةَ بينَ الغيلِ والسعدِ (٥)

وفيه التفسير بعد الإبهام؛ لمزيد الاعتناء بوصف السواد، حيث دلَّ عليه من طريق الإضمار والإظهار"(٦).

---

(١) روح المعاني (١٣/٥٠).
(٢) الرعد (٢١).
(٣) روح المعاني (١٣/١٤٠).
(٤) فاطر (٢٧).
(٥) ديوان النابغة الذبياني، شرح وتقديم: عباس عبد الساتر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى. ١٤٠٥هـ-١٩٨٤م. (ص ١٥).
(٦) روح المعاني (٢٢/١٩٠).

"وإذا قلت: غرابيب سود، تجعل السود بدلاً من غرابيب؛ لأن توكيد الألوان لا يتقدَّم. وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم: (إن الله يبغض الشيخ الغربيب) [١] يعني الذي يخضب بالسواد.

قال الشاعر:

العين طامحة واليد سابحة **والرجل لافحة والوجه غربيب** [٢].

---

(١) رواه الديلمي عن أبي هريرة مرفوعًا، انظر: كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، تأليف: إسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي، تحقيق: أحمد القلاش، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٥هـ. (٢٨٩/١).

(٢) الجامع لأحكام القرآن، تأليف: أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار الشعب – القاهرة. (٣٤٢/١٤).

الفصل الثالث

صور البيان في روح المعاني

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: التشبيه.

المبحث الثاني: المجاز، وفيه مطلبان:

المبحث الثالث: الكناية

المبحث الأول

التشبيه

المبحث الأول
التشبيه

"إن القرآن أعلى منازل البيان، وأعلى مراتبه ما جمع وجوه الحسن وأسبابه وطرقه وأبوابه من تعديل النظم وسلامته، وحسنه وبهجته، وحسن موقعه في السمع، وسهولته على اللسان، ووقوعه في النفس موقع القبول، وتصوُّره تصوُّر المشاهَد"[(١)].

وأحد أركان البيان الأساسية والمهمة التشبيه، وتأتي أهميته من الدور الذي يلعبه في إيضاح وتقريب الصورة لتصبح مشاهدة حيّة، ومما يدل على مكانته وروده بكثرة في كتاب الله، وفي الأحاديث النبوية، وفي أشعار العرب، ونثرهم.

تعريف التشبيه في اللغة:

جاء في لسان العرب: "التَّشبيهُ التمثيل، وأَشْبَه الشيءُ الشيءَ ماثله، ويقال: شَبَّهْتُ هذا بهذا، وأَشْبَه فلانٌ فلانًا" [(٢)].

التشبيه في اصطلاح البلاغيين:

ولقد اهتمَّ علماء البلاغة بدراسة التشبيه، وإبراز صوره وأشكاله، ولقد حوت كتبهم كثيرًا من الملاحظات التي تبيِّن اهتمامهم بهذا النوع من الكلام؛ إذ يمثل التشبيه ركنًا مهمًّا من أركان البلاغة العربية، حيث استعمله الشعراء قديمًا وحديثًا. وقد ذكر البلاغيون حدودًا عدَّة له، وهي لا تخرج عن القول بأن التشبيه هو :" دلالة على مشاركة أمر لآخر في معنى"[(٣)].

"ويصح تشبيه الشيء بالشيء جملة، وإن شابهه من وجه واحد، مثل قولك: وجهك مثل الشمس، ومثل البدر، وإن لم يكن مثلهما في ضيائهما وعلوّهما ولا عِظَمِهما، وإنما شبهه بهما

---

(١) إعجاز القرآن (ص ٢٧٦).

(٢) لسان العرب (٧/٢٣) مادة شبه.

(٣) الإيضاح: (ص ٢٠٣).

لمعنى يجمعهما وإياه، وهو الحسن. وعلى هذا قول الله ﷻ:﴿وَلَهُ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡمُنشَـَٔاتُ فِي ٱلۡبَحۡرِ كَٱلۡأَعۡلَـٰمِ﴾[1] " إنما شبَّه المراكب بالجبال من جهة عِظَمِها، لا من جهة صلابتها ورسوخها ورزانتها، ولو أشبه الشيءُ الشيءَ من جميع جهاته لكان هو هو" [2].

يقول ابن رشيق :"التشبيه: صفة الشيء بما قاربه وشاكله من جهة واحدة، أو جهات كثيرة، لا من جميع جهاته؛ لأنه لو ناسبه مناسبة كليَّة لكان إياه، ألا ترى أن قولهم: "خدٌّ كالورد" إنما أرادوا حمرة أوراق الورد، وطراوتها، لا ما سوى ذلك من صفرة وسطه، وخضرة كمائمه، وكذلك قولهم: "فلان كالبحر، وكالليث" إنما يريدون كالبحر سماحة وعلمًا، وكالليث شجاعة وقَرَما[3]، وليس يريدون ملوحة البحر وزُعُوقته ، ولا شتامة [4] الليث وزُهُومته" [5] [6].

ومن ذلك قول امرئ القيس:

وَتَعْطو بـرخَصٍ غيرِ شَثْنٍ كأنّهُ ... أساريعُ ظبي أو مساويكُ إسحلِ[7]

فغاية امرئ القيس هنا أنه شبَّه أنامل محبوبته بأساريع، وهي دواب تكون في الرمل ظهورها ملس، وبمساويك أسحل، والأسحل شجر له أغصان ناعمة.. ومنه قول الراضي بالله في هذا الباب:

قالوا الرحيل فأنشبت أظفارها ... في خدِّها وقد اعتلقن خضابا
فكأنها بأنامل من فضَّة ... غرست بأرض بنفسج عنابا

---

(١) الرحمن (٢٤).

(٢) الصناعتين (ص ٢٣٩).

(٣) القرم: شدَّة شهوة اللحم. (انظر لسان العرب مادة قرم).

(٤) الزعاق: الماء المر الغليظ لا يطاق شربه (لسان العرب مادة زعق)، والشتم: الكريه الوجه (انظر لسان العرب مادة شتم).

(٥) الزهومة: والزهمة بضمهما ريح لحم سمين منتن، والزهم بالضم الريح المنتنة (انظر لسان العرب مادة زهم).

(٦) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، لابن رشيق القيرواني، شرح وضبط: عفيف نايف حاطوم، دار صادر، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٣م. (١/٢٤١).

(٧) ديوان امرئ القيس (ص ١٥).

ومثله قول الشاعر:

قبلتـــه فبكـــى وأعـــرض نـــافرًا ... يـذري المـدامع مـن كحيـل أدعـج

فكـأن سـقط الـدمع مـن أجفانـه ... لمـــا بـــدا في خـــدِّه المتضـــرج

بـــرد تســـاقط فـــوق ورد أحمـــر ... مـن نـرجس فسـقى ريـاض بنفسـج

فانظر أيها المتأمِّل إلى هذه التشابيه التي يرشفها السمع مداما، وتهيم الأذواق السليمة في محاسنها غراما"[1].

يقول الرماني في النكت في إعجاز القرآن :"وهذا الباب يتفاضل فيه الشعراء، وتظهر فيه بلاغة البلغاء؛ وذلك أنَّه يُكسب الكلام بيانًا عجيبًا، وهو على طبقات في الحسن، فبلاغة التشبيه الجمع بين شيئين بمعنى يجمعهما يكسب بيانًا فيهما، والأظهر الذي يقع فيه البيان بالتشبيه به على وجوه: منها إخراج ما لا تقع عليه الحاسَّة إلى ما تقع عليه الحاسَّة، ومنها إخراج ما لم تجرِ به عادة إلى ما جرت به عادة، ومنها إخراج ما لا يعلم بالبديهة إلى ما يعلم بالبديهة، ومنها إخراج ما لا قوَّة له في الصفة إلى ما له قوَّة في الصفة"[2].

ومن الواضحِ البَيِّن في هذا المعنى قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[3] "فلَم يأتِ معطوفًا نحو وكأنَّ في أذنيه وقراً؛ لأنَّ المقصود من التشبيه بِمَنْ في أذنيه وقْرٌ هو بعينه المقصود من التشبيه بِمَنْ لم يسمع، إلاَّ أنَّ الثاني أبلغ وآكد في الذي أُرِيد . وذلك أنَّ المعنى في التشبيهين جميعًا أن ينفي أن يكون لتلاوة ما تُلِي عليه من الآيات فائدةٌ معه، ويكون لها تأثيرٌ فيه، وأن يجعل حاله إذا تُلِيت عليه كحاله إذا لم تُتْلَ. ولا شبهة في أن التشبيه بِمَنْ في أذنيه وقرٌ أبلغ وآكد في جعله كذلك من حيث كان مَنْ لا يصحُّ

(١) خزانة الأدب وغاية الأرب، تأليف: تقي الدين أبي بكر ابن حجة الحموي، شرح: عصام شعيتو، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان. (٣٨٥/١). "لم أقف على ديوان شعر لشاعر الأبيات".

(٢) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، للرماني، والخطابي، وعبد القاهر الجرجاني، حققها وعلّق عليها: محمد خلف الله أحمد، ودكتور محمد زغلول سلام، دار المعارف، القاهرة، مصر. الطبعة الثالثة. ١٩٧٦م. (ص ٨١).

(٣) لقمان (٧).

منه السَّمْعُ – وإن أراد ذلك أبعد من أن يكون لتلاوة ما يُتْلَى عليه فائدةٌ من الذي يصحُّ منه السمع، إلاّ أنه لا يسمع إما اتفاقًا، وإما قصدًا إلى أن لا يسمع"(١).

"والأصل في حسن التشبيه أن يمثِّل الغائب الخفي الذي لا يعتاد، بالظاهر المحسوس المعتاد، فيكون حسن هذا لأجل إيضاح المعنى وبيان المراد، أو يمثل الشيء بما هو أعظم وأحسن وأبلغ منه، فيكون حسن ذلك لأجل الغلو والمبالغة" (٢).

خصائص التشبيه في القرآن:

"إن أول ما يسترعى النظر من خصائص التشبيه في القرآن أنه يستمدّ عناصره من الطبيعة، وذلك هو سرّ خلوده، فهو باق ما بقيت هذه الطبيعة، وسر عمومه للناس جميعًا أنه يوثر فيهم لأنهم يدركون عناصره، ويرونها قريبة منهم، وبين أيديهم. فلا تجد في القرآن تشبيهًا مصنوعًا يدرك جماله فرْدٌ دون آخر، ويتأثر به إنسان دون إنسان. انظر إليه يجد في السراب –وهو ظاهرة طبيعية يراها الناس جميعًا، فيغرهم مرآها، ويمضون إلى السراب يظنونه ماءً، فيسعون إليه يريدون أن يطفئوا حرارة ظمئهم، ولكنهم لا يلبثون أن تملأ الخيبة قلوبهم، حينما يصلون إليه بعد جهد جهيد، فلا يجدون شيئًا مما كانوا يؤمِّلون– إنه يجد في هذا السراب صورة قويَّة توضِّح أعمال الكفرة، تظن مجدية نافعة، وما هي بشيء فيقول: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾(٣)(٤).

"فأعمال الكافرين شيء معنوي لا يتمكَّن من نفوسنا، ولا يستقرُّ في أذهاننا إلا إذا أتى في معرض الحسِّ والمشاهدة، فمرّة يُشبَّه بالرماد الذي تذروه الرياح الهوجاء في يوم شديد العصف، ومرّة بأنه السراب الخادع الذي نطمئن إليه، ثم تنكشف لنا حقيقته، وإننا نبوء معه بالخسران، ومرّة

---

(١) دلائل الإعجاز (١٧٨/١).

(٢) سر الفصاحة (ص ٢٣٥).

(٣) النور (٣٩).

(٤) من بلاغة القرآن (ص ١٥١).

بأنها الظلمات المتراكمة لا نتبين منها شعاعًا من نور الحق، وكل هذه صور حسيَّة تراها الأعين فتطمئن إلى وقوعها وحتمية مآلها، وتزيل كل شك أو تردُّد في ذهن السامع بمصير أعمال الكافرين"(١).

"ويجد في الزرع –وقد نبت ضئيلاً ضعيفًا، ثم لا يلبث ساقه أن يقوى بما ينبت حوله من البراعم، فيشتد بها ساعده ويغلظ، حتى يصبح بهجة الزارع، وموضع إعجابه– يجد في ذلك صورة شديدة المجاورة لصورة أصحاب محمد، فقد بدؤوا قلَّة ضعافًا، ثم أخذوا في الكثرة والنماء حتى اشتدَّ ساعدهم، وقوي عضدهم، وصاروا قوة تملأ قلب محمد بهجة، وقلب الكفار حقدًا وغيظًا، فقال ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا﴾(٢)(٣).

والتشبيه في الآية تمثيلي: "فقد اتخذ الزرع في نمائه مثلاً ضربه الله ﷻ للنبي ﷺ وصحبه – رضوان الله عليهم –، حيث المشبَّه الرسول ﷺ وأصحابه الكرام، عندما كانوا قِلَّة في بَدْءِ الدعوة، ثم اشتد أمرُهم، وقوي أزرُهم، والمشبه به الزرع الذي تنامت فروعه، وأخرج شطأه فآزر الزرع بالتفافه حول سوقه، حتى استغلظ وقوي، فأصبح ذا هيئةٍ تعجب الزُرَّاع ليغيظ الكفار بهم"(٤).

ووجه الشبه مركَّب من التدرُّج في النمو، والتحوُّل من القلَّة إلى الكثرة، ثم إلى استحكام القوة في كلٍ من الطرفين.

---

(١) القرآن والصورة البيانية، للدكتور عبد القادر حسين، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ–١٩٨٥م. (ص ٩٦).

(٢) الفتح (٢٩).

(٣) من بلاغة القرآن (ص ١٥٢).

(٤) انظر: الكشاف (٤/٣٥٠).

"ويجد في أعجاز النخل المنقعر المقتلع عن مغرسه، وفي الهشيم الضعيف الذاوي صورة قريبة من صورة هؤلاء الصرعى قد أرسلت عليهم ريح صرصر تنزعهم من أماكنهم، فألقوا على الأرض مصرعين هنا وهناك، فيقول: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا صَرۡصَرٗا فِي يَوۡمِ نَحۡسٖ مُّسۡتَمِرّٖ ١٩ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٖ مُّنقَعِرٖ﴾[1].

ويقول: "﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ فَكَانُواْ كَهَشِيمِ ٱلۡمُحۡتَظِرِ﴾[2].

ومن خصائص التشبيه القرآني أنه ليس عنصرًا إضافيًا في الجملة، ولكنه جزء أساس لا يتم المعنى بدونه، وإذا سقط من الجملة انهار المعنى من أساسه، فعمله في الجملة أن يعطي الفكرة في صورة واضحة مؤثِّرة، فهو لا يمضي إلى التشبيه كأنما هو عمل مقصود لذاته، ولكن التشبيه يأتي ضرورة في الجملة يتطلبه المعنى؛ ليصبح واضحًا قويًّا"[3].

"وتشبيهات القرآن -بعد ذلك كلِّه- كانت بعيدة عن ترف الخيال، ورعونة العاطفة، وسرف القول وفضوله، فهي إذن عناصر أساسية في الموضوع، وأجزاء رئيسة في الجملة. ولما كان القرآن كتاب هداية للأحياء ما دامت الحياة فإن تشبيهاته جميعًا كانت تدور حول هذا الإنسان، تشبِّهه تارة، وتشبِّه له تارة أخرى، تشبِّهه بما يناسب وضعه، وتشبِّه له بما يحيط به من هذا الكون مما لا غناء عنه في حياته ووجوده"[4].

---

(١) القمر (١٩-٢٠).

(٢) القمر (٣١).

(٣) من بلاغة القرآن (ص ١٥٣).

(٤) البلاغة فنونها وأفنانها، علم البيان والبديع، للدكتور فضل حسن عباس، دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، الطبعة الحادية عشرة، ٢٠٠٦م. (ص ٩٠).

جهود الألوسي في التشبيه:

لقد تناول الألوسي التشبيهات الواردة في القرآن الكريم بشيء من العناية والتوضيح، من خلال تفسيره للآيات التي تشتمل على هذا اللون من ألوان البيان، وقد أجاد الألوسي إبراز صورة التشبيه بشكل واضح، وتفصيل دقيق، وكان يستعمل -كغيره من البلاغيين- مصطلحات (التشبيه والتمثيل والمثل) للدلالة على صورة التشبيه في النص القرآني.

وفيما يلي أهم صور التشبيه التي ذكرها الألوسي في تفسيره.

فقد فصَّل الألوسي في أسلوب التشبيه عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِيٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾[1] حيث قال شارحًا لمعاني التشبيه في الآية، موافقًا لكثير من المفسرين في مدلول هذا التشبيه :"كأنه رؤوس الشياطين، أي في تناهي الكراهة، وقبح المنظر، والعرب تشبِّه القبيح الصورة بالشيطان، فيقولون: كأنّه وجه شيطان، أو رأس شيطان وإن لم يروه؛ لما أنه مستقبح جدًّا في طباعهم؛ لاعتقادهم أنه شر محض لا يخلطه خير، فيرتسم في خيالهم بأقبح صورة، ومن ذلك قول امرئ القيس:

أَيَقْتُلُني والمَشْرَفِيُّ مُضاجِعي ... ومَسْنونةٌ زُرْقٌ كأَنيابِ أَغوالِ[2]

فشبَّه بأنياب الأغوال ولم يرَها؛ لما ارتسم في خياله، وعلى عكس هذا تشبيههم الصورة الحسنة بالمَلَك؛ وذلك أنهم اعتقدوا فيه خيرًا محضًا لا شرَّ فيه، فارتسم في خيالهم بأحسن صورة، وعليه قوله تعالى "ما هذا بشرًا إن هذا إلا ملك كريم"، وبهذا يُرَدُّ على بعض الملاحدة، حيث طُعِن في هذا التشبيه بأنه تشبيه بما لا يُعْرَف، وحاصله أنه لا يشترط أن يكون معروفًا في الخارج، بل يكفي كونه مركوزًا في الذهن والخيال"[3].

---

(١) الصافات (٦٤-٦٥).

(٢) ديوان امرئ القيس (ص ٨٩).

(٣) روح المعاني (٢٣/ ٩٥).

وهذا ما ذهب إليه ابن ناقيا بقوله :"ويجوز حمل ذلك على مذهب العرب في تسميتهم كل ما يستعظمونه شيطانًا، وتشبيههم بالشياطين على سبيل التهويل، وهو وجه حسن مأثور. قال الشاعر :"ما ليلة الفقير إلا شيطان". والفقير بئر معروفة [1] وتمام البيت في لسان العرب:

ما ليلة الفقير إلا شيطان   مجنونة تودي بروح الإنسان

يقول ابن منظور :"والعرب تقول للشيء إذا استصعبوه (شيطان)" [2].

"فالذي سمح بأن يكون المشبَّه به خياليًّا (رؤوس الشياطين)، هو ما تراكم على الخيال بمرور الزمن من أوهام رسمت في النفس صورة رؤوس الشياطين في هيئة بشعة مرعبة، وأخذت هذه الصورة يشتد رسوخها بمرور الزمن، ويقوى فعلها في النفس، حتى كأنها محسوسة تُرَى بالعين، وتُلمس باليد، فلما كانت هذه الصورة من القوة إلى هذا الحد ساغ وضعها في موضع التصوير والإيضاح. ولا نستطيع أن ننكر ما لهذه الصورة من تأثير بالغ في النفس"[3].

يقول الجاحظ :"وليس أنَّ النَّاس رأوا شيطانًا قط على صورة، ولكن لما كان اللّه تعالى قد جعل في طباع جميع الأمم استقباحَ جميعِ صُور الشَّياطين، واستسماجَه وكراهتَه، وأجرى على ألسنة جميعهم ضرْبَ المثل في ذلك، رجع بالإيحاش والتّنفير وبالإخافة والتقريع إلى ما قد جعله اللّه في طباع الأوَّلين والآخِرين، وعند جميع الأمم على خلاف طبائع جميع الأمم"[4].

"ألا ترى أن التشبيه الصريح إذا وقع بين شيئين متباعدين في الجنس، ثم لطف وحسن، لم يكن ذلك اللطف وذلك الحسن إلا لاتفاق كان ثابتًا بين المشبَّه والمشبَّه به من الجهة التي بها

---

(١) الجمان في تشبيهات القرآن، لأبي القاسم عبد الله بن محمد بن ناقيا البغدادي، حققه وشرحه الدكتور محمد رضوان الداية، دار الفكر، دمشق، سورية، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م. (ص ١٩٤).

(٢) لسان العرب (٣٠٢/١٠) مادة (فقر). "لم أقف على شاعر لبيت الشعر".

(٣) من بلاغة القرآن (ص ١٥٠).

(٤) الحيوان، تأليف: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت - لبنان - ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م. (٣٩/٤).

شبهت، إلا أنه كان خفيًّا لا ينجلي إلا بعد التأنق في استحضار الصور وتذكُّرها، وعرض بعضها على بعض، والتقاط النكتة المقصودة منها، وتجريدها من سائر ما يتصل بها، نحو أن تشبِّه الشيءَ بالشيء في هيئة الحركة، فتطلب الوفاق بين الهيئة والهيئة مجردة من الجسم، وسائر ما فيه من اللون وغيره من الأوصاف، كما فعل ابن المعتز في تشبيه البرق، حيث قال:

وكأنَّ البرق مصحفُ قارٍ فانطباقًا مرة وانفتاحًا

فلم ينظر من جميع أوصاف البرق ومعانيه إلا إلى الهيئة التي تجدها العين له من انبساط يعقبه انقباض، وانتشار يتلوه انضمام، ثم فَلَى نفسه عن هيئات الحركات لينظر أيها أشبه بها، فأصاب ذلك فيما يفعله القارئ من الحركة الخاصة في المصحف، إذا جعل يفتحه مرة، ويطبقه أخرى.

ولم يكن إعجاب هذا التشبيه لك وإيناسه إياك لأن الشيئين مختلفان في الجنس أشدّ الاختلاف فقط، بل لأن حصل بإزاء الاختلاف اتفاق كأحسن ما يكون وأتمه، فبمجموع الأمرين -شدَّة ائتلاف في شدَّة اختلاف- حلا وحسُن، وراق وفتَن"(١).

يقول محمد محمد أبو موسى[٢] :"وقد جاء في القرآن ضرب من التشبيه اعتمد في إبراز الحقيقة المراد إبرازها على ما ترسَّخ في النفوس من صور لأشياء ليست حقائقها مرئية في حياة الناس، كقوله تعالى في وصف طلع شجرة الزقوم :"طلعها كأنه رؤوس الشياطين" فإنه اعتمد في بيان حالتها على ما تخيلته النفوس للشيطان من رأس قبيحة جدًّا، وبالغة في النفرة والكراهية، والشجرة شجرة غريبة لم توجد على أساس القانون الطبيعي لوجود الشجر من تربة فيها حياة وماء، وإنما هي شجرة تخرج في أصل الجحيم، هي شجرة شاذّة وغريبة. فناسبتها هذه الرؤوس الغريبة "رؤوس الشياطين". والجمع في كلمة رؤوس يمنح الصورة قدرًا من الغزارة، فليس عليها رأس شيطان، وإنما عليها رؤوس جميع الشياطين المنبثين في الثقلين جادِّين في إفساد الوجود يغرسون الشر والأذى،

(١) أسرار البلاغة تأليف: الإمام عبد القاهر الجرجاني، قرأه وعلَّق عليه: محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ ١٩٩١م. (ص ١٥٣).

٢) محلل بلاغي مبدع، له إسهامات واسعة في مجال البلاغة القرآنية، من مؤلفاته: دلالات التراكيب، وخصائص التراكيب، والتصوير البياني.

ويقتلعون الخير النافع... طلع شجرة الضر النامية في قعر جهنم تثمر طعامًا لهؤلاء الذين كانوا يكوِّنون جبهة الشر في الأرض، أو حزب الشيطان.

هذا التشبيه فيه قدر من التهكُّم بأولياء الشيطان الذين يطعمون في جهنم من شجرة طلعها كرأس وليهم.

ومما جاء على هذه الطريقة من الشعر قول قيس بن الأسلت الأنصاري:

قالت ولم تقصد لقيل الخنا ... مهلا فقد أبلغت أسماعي

أنكرته حين توسمته ... والحرب غول ذات أوجاع

من يذق الحرب يجد طعمها ... مرًّا وتحبسه بجعجاع

فقد شبَّه الحرب بالغول في الهول والرهبة" [1].

يقول عبد القاهر :"واعلم أن العقلاء بنوا كلامهم إذ قاسوا وشبَّهوا على أنَّ الأَشياء تستحقُّ الأسامي لخواصِّ معانٍ هي فيها دون ما عداها، فإذا أثبتوا خاصة شيءٍ لشيءٍ أثبتوا له اسمه، فإذا جعلوا الرجل بحيث لا تنقُصُ شجاعتُه عن شجاعة الأسد، ولا يعدَمُ منها شيئًا قالوا : هو أسدٌ . وإذا وصفوه بالتَّناهي في الخير والخصال الشريفة، أو بالحسن الذي يَبْهُر قالوا : هو مَلَكٌ . وإذا وصفوا الشيءَ بغاية الطِّيب قالوا : هو مِسْكٌ، وكذلك الحكم أبداً . ثم إنهم إذا استقصَوا في ذلك نَفَوا عن المشبَّه اسم جنسه، فقالوا : ليس هو بإنسانٍ وإنما هو أسدٌ ، وليس هو آدميًّا وإنما هو مَلَكٌ . كما قال الله تعالى : (ما هذا بَشَراً إنْ هَذا إلاَّ مَلَك كريم)[2].

---

(١) التصوير البياني، محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م. (ص ٩٣). "لم أقف على ديوان شعر لشاعر الأبيات".

(٢) دلائل الإعجاز (٣١٧/١).

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [1]

يقول الألوسي: "وحاصل هذا التشبيه أنَّ نفقات هؤلاء زاكية عند الله تعالى لا تضيع بحال، وإن كانت تتفاوت بحسب تفاوت ما يقارنها من الإخلاص، والتعب، وحب المال، والإيصال إلى الأحوج التقي، وغير ذلك، فهناك تشبيه حال النفقة النامية لابتغاء مرضاة الله تعالى، الزاكية عن الأدناس -لأنها للتثبيت الناشئ عن ينبوع الصدق والإخلاص- بحال جنَّة نامية زاكية بسبب الربوة، وأحد الأمرين "الوابل والطل"، والجامع النمو المقرون بالزكاء على الوجه الأتم، وهذا من التشبيه المركَّب العقلي.. ولك أن تعتبر تشبيه حال أولئك عند الله تعالى بالجنَّة على الربوة، ونفقتهم القليلة والكثيرة بالوابل والطل، فكما أن كل واحد من المطرين يُضعف أكل تلك الجنة، فكذلك نفقتهم جلَّت أو قلَّت بعد أن يُطلب بها وجه الله تعالى زاكية زائدة في زلفاهم وحسن حالهم عند ربِّهم"[2].

"فالقرآن يتوجَّه بالخطاب إلى الذين آمنوا ألا يبطلوا صدقاتهم بالمن والأذى، ويرسم لهم مشهدًا عجيبًا، أو مشهدين عجيبين يتّسقان مع المشهد الأول (مشهد الزرع والنماء)، ويصوران طبيعة الإنفاق الخالص لله، والإنفاق المشوب بالمنّ والأذى، على طريقة التصوير الفني في القرآن، التي تعرض المعنى صورة، والأثر حركة، والحالة مشهدًا شاخصًا للخيال، فالمشهد الأول مشهد كامل مؤلف من منظرين متقابلين شكلاً ووضعًا وثمرة، وفي كل منظر جزئيات يتَّسق بعضها مع بعض من ناحية فن الرسم وفن العرض؛ ويتَّسق كذلك مع ما يمثله من المشاعر والمعاني التي رُسم المنظر كلّه لتمثيلها وتشخيصها وإحيائها.

---

(١) البقرة (٢٦٥).

(٢) روح المعاني (٣/٣٦).

نحن في المنظر الأول أمام قلب صلد (كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر)، فهو لا يستشعر نداوة الإيمان وبشاشته، ولكنه يغطي هذه الصلادة بغشاء من الرياء، هذا القلب الصلد المغشى بالرياء يمثله (صفوان عليه تراب)، حجر لا خصب فيه ولا ليونة، يغطيه تراب خفيف يحجب صلادته عن العين، كما أن الرياء يحجب صلادة القلب الخالي من الإيمان، (فأصابه وابل فتركه صلدًا)، وذهب المطر الغزير بالتراب القليل! فانكشف الحجر بجدبه وقساوته، ولم ينبت زرعه، ولم يثمر ثمرة .. كذلك القلب الذي أنفق ماله رئاء الناس، فلم يثمر خيرًا، ولم يعقب مثوبة!.

أما المنظر الثاني المقابل له في المشهد، فقلب عامر بالإيمان، ندي ببشاشته، ينفق ماله (ابتغاء مرضاة الله)، وينفقه عن ثقة ثابتة في الخير، نابعة من الإيمان، عميقة الجذور في الضمير، وإذا كان القلب الصلد وعليه ستار من الرياء يمثله صفوان صلد عليه غشاء من التراب، فالقلب المؤمن تمثله جنَّة.. جنَّة خصبة عميقة التربة، في مقابل حفنة التراب على الصفوان، جنَّة تقوم على ربوة، في مقابل الحجر الذي تقوم عليه حفنة التراب! ليكون المنظر متناسق الأشكال، فإذا جاء الوابل لم يذهب بالتربة الخصبة هنا كما ذهب بغشاء التراب هناك، بل أحياها، وأخصبها، ونمَّاها . . (فأصابها وابل فآتت أكلها ضعفين) . .

أحياها كما تحيي الصدقُة قلبَ المؤمن، فيزكو ويزداد صلة بالله، ويزكو ماله كذلك، ويضاعف له الله ما يشاء، وكما تزكو حياة الجماعة المسلمة بالإنفاق وتصلح وتنمو، (فإن لم يصبها وابل) . . غزير . . (فطل)، من الرذاذ يكفي في التربة الخصبة، ويكفي منه القليل!.

إنه المشهد الكامل، المتقابل المناظر، المنسَّق الجزئيات، المعروض بطريقة معجزة التناسق والأداء، الممثل بمناظره الشاخصة لكل خالجة في القلب وكل خاطرة، المصوِّر للمشاعر والوجدانات بما يقابلها من الحالات والمحسوسات، الموحي للقلب باختيار الطريق في يسر عجيب".[1]

---

(١) في ظلال القرآن، تأليف: سيد قطب، دار الشروق، بيروت، لبنان، الطبعة الحادية عشرة، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م. (٣٠٩/١).

وفي تفسير قوله تعالى : ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (1).

يقول الألوسي :"وإسناد الإنبات إلى الحبَّة مجاز؛ لأنها سبب للإنبات، والمنبت في الحقيقة هو الله تعالى، وهذا التمثيل تصوير للإضعاف كأنها حاضرة بين يدي الناظر، فهو من تشبيه المعقول بالمحسوس"(2).

" إن المعنى الذهني للتعبير ينتهي إلى عملية حسابية تضاعف الحبة الواحدة إلى سبعمائة حبة، أما المشهد الحي الذي يعرضه التعبير فهو أوسع من هذا وأجمل؛ وأكثر استجاشة للمشاعر، وتأثيرًا في الضمائر . . إنه مشهد الحياة النامية، مشهد الطبيعة الحيَّة، مشهد الزرعة الواهبة، ثم مشهد العجيبة في عالم النبات.. العود الذي يحمل سبع سنابل، والسنبلة التي تحوي مائة حبة!.

وفي موكب الحياة النامية الواهبة يتَّجه بالضمير البشري إلى البذل والعطاء، إنه لا يعطي بل يأخذ؛ وإنه لا ينقص بل يزاد . . وتمضي موجة العطاء والنماء في طريقها.. تضاعف المشاعر التي استجاشها مشهد الزرع والحصيلة. . إن الله يضاعف لمن يشاء، يضاعف بلا عدَّة ولا حساب، يضاعف من رِزْقه الذي لا يعلم أحد حدوده؛ ومن رحمته التي لا يعرف أحدٌ مداها"(3).

وفي تفسير قوله تعالى : ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍۗ يَهْدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾(4).

---

(1) البقرة (٢٦١).

(2) روح المعاني (٣٢/٣).

(3) في ظلال القرآن (٣٠٦/١).

(4) النور (٣٥).

يقول الألوسي :"وتحديد مراتب تضاعف ما مُثِّل به من نور المشكاة بما ذُكِر لكونه أقصى مراتب تضاعفه عادة، فإن المصباح إذا كان في مكان متضايق كالمشكاة كان أضوأ له، وأجمع لنوره؛ بسبب انضمام الشعاع المنعكس منه إلى أصل الشعاع، بخلاف المكان المتَّسع، فإن الضوء ينبث فيه وينتشر، والقنديل أعون شيء على زيادة الإنارة، وكذلك الزيت وصفاؤه، وليس وراء هذه المراتب مما يزيد نورها إشراقًا، ويمده بإضاءة مرتبة أخرى عادة، والظاهر عندي أن التشبيه الذي تضمنته الآية الكريمة من تشبيه المعقول؛ وهو نوره –تعالى– بمعنى أدلّته سبحانه، لكن من حيث إنها أدلة، أو القرآن، أو التوحيد والشرائع، وما دلَّ عليه بدليل السمع والعقل، أو الهدى أو نحو ذلك– بالمحسوس، وهو نور المشكاة المبالغ في نعته، وأنه ليس في المشبه به أجزاء يُنتزع منها الشبه ليبنى عليه أنه مركَّب أو مفرَّق، و إذا كان المراد تشبيه النور بمعنى الهدى الذي دلَّت عليه الآيات المبينات فهو من التشبيه المركَّب العقلي، وقد شبَّه فيه الهيئة المنتزعة بأخرى، فإن النور – وإن كان لفظه مفردًا– دال على متعدِّد، وكذا إذا كان المراد تشبيه ما نوَّر الله تعالى به قلب المؤمن من المعارف والعلوم بنور المشكاة المنبث فيها من مصباحها"(١).

يقول سيد قطب معلقًا على هذا التمثيل البديع :"وهو مثل يقرب للإدراك المحدود صورة غير المحدود، ويرسم النموذج المصغَّر الذي يتأمله الحس، حين يقصر عن تملي الأصل، وهو مثل يقرب للإدراك طبيعة النور حين يعجز عن تتبع مداه وآفاقه المترامية وراء الإدراك البشري الحسير"(٢).

"قد يبدو للنظرة العجلى أن المشبَّه –وهو نور الله– أقوى من مصباح هذه المشكاة، ولكن نظرة إلى الآية الكريمة ترى أن النور المراد هنا هو النور الذي يغمر القلب، ويشرق على الضمير فيهدي إلى سواء السبيل، أو لا ترى أن القلب ليس في حاجة إلى أكثر من هذا المصباح يلقي عليه ضوءه، فيهتدي إلى الحق وأقوم السبل، ثم ألا ترى في اختيار هذا التشبيه إيحاء بحالة القلب وقد لفه ظلام الشك، فهو متردِّد قلق خائف، ثم لا يلبث نور اليقين أن يشرق عليه فيجد الراحة

---

(١) روح المعاني (١٨/١٦٩-١٧٠).

(٢) في ظلال القرآن (٤/٢٥١٩).

والأمن والاستقرار، فهو كساري الليل يخبط في الظلام على غير هدى، حتى إذا أوى إلى بيته فوجد هذا المصباح في المشكاة وجد الأمن سبيله إلى قلبه، واستقرَّت الطمأنينة في نفسه، وشعر بالسرور يغمر فؤاده.. وإذا تأمَّلتَ الآية الكريمة رأيتها قد مضت تصف ضوء هذا المصباح، وتتأنق في وصفه بما يصور لك قوَّته وصفاءه، فهذا المصباح له زجاجة تكسب ضوءه قوة تجعله يتلألأ كأنه كوكب له بريق الدر ولمعانه، أما زيت هذا المصباح فمن شجرة مباركة قد أخذت من الشمس بأوفى نصيب؛ فصفا لذلك زيتُها حتى ليكاد يضيء ولو لم تمسسه نار، ألا ترى أنَّ هذا المصباح جدير أن يبدِّد ظلمة الليل، ومثله جدير أن يبدِّد ظلام الشك، ويمزِّق دجى الكفر والنفاق، وقد ظهر بما ذكرناه جمال هذا التشبيه، ودقَّته، وبراعته.."[1].

وفي تفسيره لقوله تعالى :﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ﴾[2].

يقول الألوسي :"وتخصيص الحسبان بالظمآن مع شموله لكل من يراه كائنًا من كان من العطشان والريان؛ لتكميل التشبيه بتحقيق شركة طرفية في وجه الشبه الذي هو المطلع المطمع، والمقطع المؤيس.. وجملة (وجد الله عنده.. الخ)، بيان لبقية أحوالهم العارضة لهم بعد ذلك بطريق التكملة؛ لئلا يتوهم أن قصارى أمرهم هو الخيبة والقنوط فقط كما هو شأن الظمآن، ويظهر أنه يعتريهم بعد ذلك من سوء الحال ما لا قدر للخيبة عنده أصلاً، فليست الجملة معطوفة على لم يجده شيئًا، بل على ما يُفهم منه بطريق التمثيل من عدم وجدان الكفرة من أعمالهم عينًا ولا أثرًا، كما في قوله تعالى : (وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثورًا)، كيف لا وأنَّ الحكمَ بأن أعمال الكفرة كسراب يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئًا حُكْمٌ -بأنها حيث يحسبونها في الدنيا- نافذ لهم في الآخرة، حتى إذا جاءوها لم يجدوها شيئًا، كأنه قيل: حتى إذا

---

(١) من بلاغة القرآن (ص ١٥١)

(٢) النور (٣٩).

جاء الكفرة يوم القيامة أعمالهم التي كانوا في الدنيا يحسبونها نافعة لهم في الآخرة لم يجدوها شيئًا، ووجدوا الله، أي حكمه وقضاءه عند المجيء..

وأيما كان فالمراد بالظمآن مطلق الظمآن، وقيل المراد به الكافر، وإليه ذهب الزمخشري.. قال : شبَّه سبحانه ما يعمله من لا يعتقد الإيمان بسراب يراه الكافر بالساهرة وقد غلبه عطش القيامة، فيحسبه ماءً، فيأتيه فلا يجده، ويجد زبانية الله تعالى عنده يأخذونه فيسقونه الحميم والغساق..

واستطيب ذلك العلامة الطيبي حيث قال : إنما قيّد المشبه به برؤية الكافر، وجعل أحواله ما يلقاه يوم القيامة، ولم يطلق لقوله تعالى ووجد الله عنده إلخ؛ لأنه من تتمة أحوال المشبَّه به، وهذا الأسلوب أبلغ؛ لأن خيبة الكافر أدخل، وحصوله على خلاف ما يؤمله أعرق"[(١)].

"فهذا بيان قد أخرج ما لا تقع عليه الحاسة إلى ما تقع عليه، وقد اجتمعا في بطلان المتوهَّم مع شدّة الحاجة، وعظم الفاقة، ولو قِيل: يحسبه الرائي ماءً، ثم يظهر أنه على خلاف ما قدر لكان بليغًا، وأبلغ منه لفظ القرآن؛ لأنَّ الظمآن أشدّ حرصًا عليه، وتعلّق قلب به، ثم بعد هذه الخيبة حصل على الحساب الذي يصيّره إلى عذاب الأبد في النار، وتشبيه أعمال الكفار بالسراب من حُسْن التشبيه، فكيف إذا تضمَّن مع ذلك حُسْن النظم، وعذوبة اللفظ، وكثرة الفائدة، وصحّة الدلالة.."[(٢)].

"إن النَّسق اللغوي، والنظم الإلهي يضفي حياة على الصورة التشبيهية، ويكسبها ظلالاً إيحائية لا يستطيع طرفا التشبيه وحدهما أن يقوما بها، فالنظم الإلهي والتركيب اللغوي يبرزان حالة نفسيَّة حركيَّة تصور معاناة سائر في صحراء قاحلة، تناوشه أحاسيس الظمأ، ويحاول تهدئتها بقرب إدراكه الماء الذي يتكشف في نهاية الطريق عن وهم خادع"[(٣)].

(١) روح المعاني (١٨/١٨١).

(٢) ثلاث رسائل قي إعجاز القرآن (النكت). (ص ٨٢).

(٣) البيان في ضوء أساليب القرآن، تأليف: الدكتور عبد الفتاح لاشين، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٨٤م. ص (٥٦).

فلو أنَّ القرآن اختار التعبير الذي لا خيال فيه، وقال مثلاً :"والذين كفروا أعمالهم غير مثمرة" لم يكن له في النفس هذا الأثر القوي، الذي يصوِّر عدم جدوى هذه الأعمال، إذ يقرنه بشيء نراه بأعيننا، ونكاد نؤمن بوجوده إيمانًا لا يتسرَّب إليه الشك، فالصورة التي أتى بها القرآن تزيدنا اقتناعًا بعدم جدوى أعمالهم.."[1].

وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿يَجۡعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِۚ وَٱللَّهُ مُحِيطُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾[2] يقول الألوسي: "المراد من هذا التمثيل تشبيه حال المنافقين في الشدَّة، ولباس إيمانهم المبطن بالكفر المطرز بالخداع حذر القتل، بحال ذوي مطر شديد فيه ما فيه، يرقعون خروق آذانهم بأصابعهم حذر الهلاك، إلى آخر ما علم من أوصافهم، ووجه الشبه وجدان ما ينفع ظاهره، وفي باطنه بلاء عظيم"[3].

يقول ابن عاشور :"وفي هذا تشبيه لجزع المنافقين من آيات الوعيد بما يعتري القائم تحت السماء حين الرعد والبرق والظلمات، فهو يخشى استكاك سمعه، ويخشى الصواعق حذر الموت"[4].

ويقول الألوسي في تفسير قوله تعالى :﴿مَثَلُ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ كَٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡأَصَمِّ وَٱلۡبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِۚ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾[5].

"أي كحال من جمع بين العمى والصمم، ومن جمع بين البصر والسمع، فهناك تشبيهان، الأول: تشبيه حال الكفرة الموصوفين بالتعامي والتصام عن آيات الله تعالى، بحال من خُلق أعمى أصم لا تنفعه عبارة ولا إشارة، والثاني: تشبيه حال الذين آمنوا وعملوا الصالحات فانتفعوا بأسماعهم وأبصارهم اهتداءً إلى الجنة، وانكفاءً عما كانوا خابطين فيه من ضلال الكفر والدجنة،

---

(١) البيان في ضوء أساليب القرآن. ص (٦٢).

(٢) البقرة (١٩).

(٣) روح المعاني (١/١٨١).

(٤) التحرير والتنوير (١/١/١٨٦).

(٥) هود (٢٤).

بحال من هو بصير سميع يستضيء بالأنوار في الظلام، ويستفيء بمغانم الإنذار والإبشار فوزًا بالمرام"(١).

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ﴾(٢) يقول الألوسي: "يقال ناقة لاقح أي حامل، ووصف الرياح بذلك على التشبيه البليغ، شبهت الريح التي بالسحاب الماطر بالناقة الحامل؛ لأنها حاملة لذلك السحاب، أو للماء الذي فيه"(٣).

وكان التشبيه في الآية الكريمة بليغًا؛ لأنه لم تذكر فيه أداة التشبيه، ولم يذكر فيه وجه الشبه. "والتشبيه المضمر أبلغ من التشبيه المظهر، وأوجز؛ أما كونه أبلغ فلجعل المشبه مشبَّهًا به من غير واسطة أداة، فيكون هو إياه، فإنك إذا قلت: "زيد أسد" كنت قد جعلته أسدًا من غير إظهار أداة التشبيه"(٤).

ويقول الألوسي عند تفسيره لقوله جل وعز: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾(٥) "في الآية مضاف محذوف، إما من جانب المشبَّه أو المشبَّه به، أي مثل داعي الذين كفروا كمثل الذي ينعق، أو مثل الذين كفروا كمثل بهائم الذي ينعق. ووضع المظهر -وهو الموصول- موضع المضمر -وهو البهائم- ليتمكَّن من إجراء الصفة التي هي وجه الشبه عليه، وحاصل المعنى على التقديرين أن الكفرة لانهماكهم في التقليد، وإخلادهم إلى ما هم عليه من الضلالة لا يلقون أذهانهم إلى ما يُتلى عليهم، ولا يتأمَّلون فيما

---

(١) روح المعاني (٣٤/١٢).

(٢) الحجر (٢٢).

(٣) روح المعاني (٣١/١٤).

(٤) المثل السائر (٣٧٣/١).

(٥) البقرة (١٧١).

يقرر معهم فهم في ذلك كالبهائم التي يُنعَق عليها، وهي لا تسمع إلا جرس النغمة، ودوي الصوت"[1].

وعند تفسيره لقوله تعالى:﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ﴾[2] يقول الألوسي :" شُبِّهوا في جلوسهم مجالس رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مستندين فيها، وما هم إلا أجرام خالية عن الإيمان والخير- بخشب منصوبة مسندة إلى الحائط في كونهم أشباحًا خالية عن الفائدة؛ لأن الخشب تكون مسندة إذا لم تكن في بناء أو دعامة بشيء آخر، ويجوز أن يراد بالخشب المسندة الأصنام المنحوتة من الخشب المسندة إلى الحيطان، شُبِّهوا بها في حسن صورهم، وقلّة جدواهم"[3].

وهنا يظهر لنا ما ذهب إليه العلوي بقوله: "واعلم أنك إذا أردت تشبيه الشيء بغيره فإنما تقصد به تقرير المشبَّه في النفس بصورة المشبَّه به، أو بمعناه. فيستفاد من ذلك البلاغة فيما قصد به من التشبيه على جميع وجوهه، من مدح، أو ذم، أو ترغيب، أو ترهيب، أو كبر، أو صغر، أو غير ذلك من الوجوه التي يقصد بها التشبيه، وتراد للإيجاز والاختصار في اللفظ من تعديد الأوصاف الشبهية"[4].

وبهذا يتّضح لنا جليّا أن التشبيه "يضفي على المعنى شرفًا ووضوحًا، ويزيده قوة وتأكيدًا، ويرفع من قدر الكلام، فتهفو النفس له، ويتحرَّك القلب إليه؛ لأنه ينتقل بنا من المعنى الأصلي إلى صورة تشبهه، وكلما جلا التشبيه المعنى وزاده قوَّة ووضوحًا كان أملك للنفس، وأبعد للتأثير".[5]

كما تناول الألوسي التشبيه عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾[1] حيث قال :" وإطلاق الإخوة على المؤمنين من باب

---

(١) روح المعاني (٤١/٢).

(٢) المنافقون (٤).

(٣) روح المعاني (١١١/٢٨).

(٤) الطراز (١٤٢/١) .

(٥) القرآن والصورة البيانية (ص ١١٠).

التشبيه البليغ، وشُبِّهوا بالإخوة من حيث انتسابهم إل أصل واحد، وهو الإيمان الموجب للحياة الأبديَّة"[2].

وفي تفسير قوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ ﴾[3].

يقول الألوسي :"الكاف في موضع نصب، إما على الحال من ضمير المصدر، أي يأكلونه أي الأكل مشبها أكل الأنعام، وإما على أنه نعت لمصدر محذوف، أي أكلاً مثل أكل الأنعام، والمعنى أن أكلهم مجرد من الفكر والنظر، كما تقول للجاهل: تعيش كما تعيش البهيمة، لا تريد التشبيه في مطلق العيش، ولكن في خواصه ولوازمه، وحاصله أنهم يأكلون غافلين عن عواقبهم ومنتهى أمورهم"[4].

وهذا الذي ذهب إليه الألوسي هو ما عناه سيد قطب بقوله :" وهو تصوير زري، يذهب بكل سمات الإنسان ومعالمه؛ ويلقي ظلال الأكل الحيواني الشره، والمتاع الحيواني الغليظ.. بلا تذوُّق، وبلا تعفُّف عن جميل أو قبيح . . إنه المتاع الذي لا ضابط له من إرادة، ولا من اختيار، ولا حارس عليه من تقوى، ولا رادع عنه من ضمير .

والحيوانية تتحقق في المتاع والأكل، ولو كان هناك ذوق مرهف للطعوم، وحسٌّ مدرَّب في اختيار صنوف المتاع، كما يتفق هذا لكثير من الناشئين في بيوت النعمة والثراء، وليس هذا هو المقصود، إنما المقصود هو حساسية الإنسان الذي يملك نفسه وإرادته، والذي له قيم خاصة للحياة؛ فهو يختار

---

(١) الحجرات (١٠).

(٢) روح المعاني (١٥١/٢٦).

(٣) محمد (١٢).

(٤) روح المعاني (٤٦/٢٦).

الطيب عند الله، عن إرادة لا يخضعها ضغط الشهوة، ولا يضعفها هتاف اللذة، ولا تحسب الحياة كلها مائدة طعام، وفرصة متاع؛ بلا هدف بعد ذلك ولا تقوى فيما يباح وما لا يباح"[1].

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴾[2].

يقول الألوسي :"المراد تشبيههن بالبيض الذي كنه الريش في العش أو غيره في غيره، فلم تمسّه الأيدي، ولم يصبه الغبار في الصفاء، وشوب البياض بقليل صفرة مع لمعان كما في الدر، والعرب تشبِّه النساء بالبَيْض، ويقولون لهنّ: بيضات الخدور، ومنه قول امرئ القيس:

وبَيْضَةِ خِدْرٍ لا يُرام خباؤها ... تمتَّعت من لهوٍ بها غير مُعْجَلِ[3] [4]

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[5].

يقول الألوسي: وهذا التشبيه يجوز أن يكون مفرّقًا، فالنافق المنافق كالحجر في عدم الانتفاع، ونفقته كالتراب لرجاء النفع منهما بالأجر والإنبات، ورياؤه كالوابل المذْهِب له سريعًا، الضار من حيث يُظنُّ النفع، ولو جُعِل مركَّبًا لصحَّ "[6].

ويقول الألوسي في تفسير قوله تعالى: ﴿ مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾[7].

---

(١) في ظلال القرآن (٦/٣٢٩٠).

(٢) الصافات (٤٨-٤٩).

(٣) ديوان امرئ القيس (ص ١٢)

(٤) روح المعاني (٢٣/٨٩).

(٥) البقرة (٢٦٤).

(٦) روح المعاني (٣/٣٥).

(٧) آل عمران (١١٧).

"وهذا من التشبيه المركَّب الذي توجد فيه الزبدة من الخلاصة والمجموع، ولا يلزم فيه أن يكون ما يلي الأداة هو المشبَّه به، كقوله تعالى (إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه...)، وإلا لوجب أن يقال كمثل حرث؛ لأنه المشبَّه به (المنْفَق)، وجوز أن يراد مثل إهلاك ما ينفقون كمثل إهلاك ريح، أو مثل ما ينفقون كمُهْلَك ريح، والمهْلَك اسم مفعول هو الحرث، والوجه عند كونه مركَّبًا قلَّة الجدوى والضياع"[1].

"إننا ننظر فإذا نحن أمام حقل قد تهيأ للإخصاب، فهو حرث، ثم إذا العاصفة تهب، إنها عاصفة باردة ثلجية محرقة، تحرق هذا الحرث بما فيها من صِرّ . واللفظة ذاتها كأنها مقذوف يُلقى بعنف، فيصور معناه بجرسه النفاذ، وإذا الحرث كله مدمَّر خراب..

إنها لحظة يتم فيها كل شيء، يتم فيها الدمار والهلاك، وإذا الحرث كله يباب.. ذلك مثل ما ينفق الذين كفروا في هذه الدنيا -ولو كان ينفق فيما ظاهره الخير والبر- ومثل ما بأيديهم من نعم الأولاد والأموال، كلّها إلى هلاك وفناء . . دون ما متاع حقيقي، ودون ما جزاء" [2].

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْأَخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٩﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَمْ يَكُونُواْ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلْعَذَابُ مَا كَانُواْ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُواْ يُبْصِرُونَ ﴿٢٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٢١﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى ٱلْأَخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴿٢٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخْبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٣﴾ مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾[3].

ففي قوله تعالى: كَالْأَعْمَى وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ، يقول الألوسي:" أي كحال من جمع بين العمى والصمم، ومن جمع بين البصر والسمع، فهناك تشبيهان، الأول: تشبيه حال الكفرة

---

(١) روح المعاني (٣٦/٤).

(٢) في ظلال القرآن (٤٥١/١).

(٣) هود (١٩-٢٤).

الموصوفين بالتعامي والتصام عن آيات الله تعالى، بحال من خُلِق أعمى أصم لا تنفعه عبارة ولا إشارة. والثاني: تشبيه حال الذين آمنوا وعملوا الصالحات –فانتفعوا بأسماعهم وأبصارهم اهتداءً إلى الجنة وانكفاءً عما كانوا خابطين فيه من ضلال الكفر والدجنة– بحال من هو بصير سميع يستضيء بالأنوار في الظلام، ويستفيء بمغانم الإنذار والإبشار فوزًا بالمرام.. والعطف لتنزيل تغاير الصفات منزلة تغاير، وللآية على احتمالاتها شبه في الجملة بقول امرئ القيس:

كأنَّ قلوبَ الطَّير رَطْبًا ويابسًا ... لدى وَكْرِها العنَّابُ والحشَفُ البالي(١)

وقد يعتبر التشبيه تمثيليًّا بأن يُنتزع من حال الفريق الأول –في تصامّهم وتعاميهم المذكورَين، ووقوعهم بسبب ذلك في العذاب المضاعف، والخسران الذي لا خسران فوقه– هيئة منتزعة ممن فقد مشعري البصر والسمع، فتخبَّط في مسلكه فوقع في مهاوي الردى، ولم يجد إلى مقصده سبيلاً، ويُنتزع من حال الفريق الثاني في استعمال مشاعرهم في آيات الله تعالى حسبما ينبغي، وفوزهم بدار الخلود هيئة تشبه بهيئة منتزعة ممن له بصر وسمع يستعملهما في مهماته، فيهتدي إلى سبيله وينال مرامه"(٢).

"إنها صورة حسيَّة تتجسم فيها حالة الفريقين، والفريق الأول كالأعمى لا يرى، وكالأصم لا يسمع، والذي يعطل حواسه وجوارحه عن الغاية الكبرى منها، وهي أن تكون أدوات موصلة للقلب والعقل، ليدرك ويتدبر، فكأنما هو محروم من تلك الجوارح والحواس، والفريق الثاني كالبصير يرى، وكالسميع يسمع، فيهديه بصره وسمعه"(٣).

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلۡعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتۡ بَيۡتٗاۖ وَإِنَّ أَوۡهَنَ ٱلۡبُيُوتِ لَبَيۡتُ ٱلۡعَنكَبُوتِۖ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ﴾(٤).

---

(١) ديوان امرئ القيس (ص ٩٢).

(٢) روح المعاني (١٢/٣٤).

(٣) في ظلال القرآن (٤/١٨٦٨).

(٤) العنكبوت (٤١).

يقول الألوسي :"كمثل العنكبوت فيما نسجته واتخذته بيتًا، والتشبيه على هذا من التشبيه المركَّب، فيعتبر في جانب المشبَّه اتخاذ ومتَّخِذ واتّكال عليه، وكذلك في الجانب الآخر ما يناسبه، ويعتبر تشبيه الهيئة المنتزعة من ذلك كله بالهيئة المنتزعة من هذا بالأسر، والغرض تقرير وهن أمر دينهم، وأنه بلغ الغاية التي لا غاية بعدها، ومدار قطب التشبيه أن أولياءهم بمنزلة منسوج العنكبوت، ضعف حال، وعدم صلوح اعتماد، وعلى هذا يكون قوله تعالى (إن أوهن البيوت) تذييلاً يقرِّر الغرض من التشبيه"[1].

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِى يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ۝١٩ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ﴾[2].

يقول الألوسي :"(منقعر) أي منقلع عن مغارسه، ساقط على الأرض، وشبهوا بأعجاز النخل –وهي أصولها بلا فروع–؛ لأن الريح كانت تقلع رؤوسهم فتبقى أجسادًا وجثثًا بلا رؤوس، ويزيد هذا التشبيه حسنًا أنهم كانوا ذوي جثث عظام طوال"[3].

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ ۝٣٢ كَأَنَّهُۥ جِمَـٰلَتٌ صُفْرٌ﴾ [4].

يقول الألوسي :"عبَّر بصفر؛ لأنَّ الشرار لما فيه من النارية والهوائية يكون أصفرَ، فالصفرة على معناها المعروف، وقيل سُوْد، والتعبير بصفر لأن سواد الإبل إلى الصفرة، شبّه به الشرر حين ينفصل عن النار في عظمه بالقصر، وحين يأخذ في الارتفاع والانبساط لانشقاقه عن أعداد غير محصورة بالجمال لتصور الانشقاق والكثرة والصفرة والحركة المخصوصة، وقد روعي الترتيب في التشبيه رعاية لترتيب الوجود، وأفيد أن القصور والجِمال يشبه بعضها ببعض.. فالتشبيه الثاني بيان للتشبيه الأول؛ على معنى أن التشبيه بالقصر كان المتبادر منه إلى الفهم العظم فحسب، فلما

(١) روح المعاني (٢٠/١٦١).

(٢) القمر (١٩-٢٠).

(٣) روح المعاني (٢٧/٨٧).

(٤) المرسلات (٣٢-٣٣).

قيل كأنه جمالة صفر، وهو قائم مقام التخصيص في القصر، كثُر وجه الشبه كأنَّه قيل: كأنه قصر من شأنه كذا وكذا، والتشبيه بالجِمال في الكثرة، والتتابع، وسرعة الحركة أيضًا"[1].

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ﴾[2].

يقول الألوسي :"شُبِّه القمر بالعرجون[3]، وهو عود عزق النخلة من بين الشمراخ إلى منبته منها، والقديم، أي العتيق الذي مرَّ عليه زمانٌ يبس فيه، ووجه الشبه الاصفرار والدقة والاعوجاج"[4].

يقول عبد الفتاح لاشين :"قد يبرز المشبَّه في صورة أنيقة تخلب اللب، وتبهر العقل، ويظهر في صورة يندر حضورها في الذهن عند حضور المشبَّه به، كقوله تعالى "والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم".. فصورة العرجون القديم غير نادرة الحضور في الذهن، بل شائع ومطروق، ولكنها تندر عند استحضار صورة القمر، البون الشاسع بين الصورتين؛ فالقمر مسكنه في السماء، والعرجون مقرّه الأرض، والقمر مثال العلو والهداية، والعرجون شيء تافه، وشتان ما بين الصورتين.."[5].

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴿١١﴾﴾[6].

---

(١) روح المعاني (١٧٦/٢٩).

(٢) يس (٣٩).

(٣) جاء في لسان العرب :" العُرْجُون العِذْقُ عامَّة، وقيل: هو العِذْقُ إذا يَبس واعْوجَّ، وقيل: هو أَصل العِذْق الذي يعْوَجُّ وتُقْطع منه الشماريخ، فيبقى على النخل يابسًا.. قال الأَزهري: العرجون أَصْفرُ عريض، شبَّه الله به الهلالَ لما عاد دقيقًا". لسان العرب، (١٢٢/٩)، مادة (عرج).

(٤) روح المعاني (٢٠/٢٣).

(٥) البيان في ضوء أساليب القرآن (ص ٦٥).

(٦) القارعة (٨-١١).

يقول الألوسي: "وعبّر عن المأوى بالأم على التشبيه بها؛ فالأم مفزع الولد ومأواه، وفيه تهكم به"[1].

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُواْ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[2].

يقول الألوسي:" أي يعرفونه بالأوصاف المذكورة في الكتاب بأنه النبي الموعود، بحيث لا يلتبس عليهم عرفانًا مثل عرفانهم أبناءهم، بحيث لا تلتبس عليهم أشخاصهم بغيرهم، وهو تشبيه للمعرفة العقليَّة الحاصلة من مطالعة الكتب السماوية بالمعرفة الحسيَّة في أن كلاً منهما يتعذَّر الاشتباه فيه، والمراد بالأبناء الذكور؛ لأنهم أكثر مباشرة ومعاشرة للآباء، وألصق وأعلق بقلوبهم من البنات، فكان ظن اشتباه أشخاصهم أبعد، وكان التشبيه بمعرفة الأبناء آكد من التشبيه بالأنفس؛ لأن الإنسان قد يمر عليه قطعة من الزمان لا يعرف فيها نفسه، كزمن الطفولة، بخلاف الأبناء فإنه لا يمر عليه زمان إلا وهو يعرف ابنه "[3].

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۖ وَلَلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[4].

يقول الألوسي: "المراد وما أعمال الحياة الدنيا المختصة بها إلا كاللعب واللهو في عدم النفع والثبات، وبهذا التقدير خرج ما فيها من الأعمال الصالحة كالعبادة، وما كان لضرورة المعاش،

(١) روح المعاني (٣٠/٢٢٢).
(٢) البقرة (١٤٥-١٤٦).
(٣) روح المعاني (٢/١٣).
(٤) الأنعام (٣٢).

والكلام من التشبيه البليغ ولو لم يقدَّر مضاف، وجعلت الدنيا نفسها لعبًا ولهوًا مبالغة، كما في قوله: وإنما هي إقبال وإدبار"[1].

وفي تفسيره لقوله تعالى : ﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ فَأَصۡبَحَ هَشِيمٗا تَذۡرُوهُ ٱلرِّيَٰحُۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقۡتَدِرًا﴾[2].

يقول الألوسي: "وليس المشبَّه به نفس الماء، بل هو الهيئة المنتزعة من الجملة، وهي حال النبات المنبَت بالماء يكون أخضر مهتزًا، ثم يصير يابسًا تطيِّره الرياح حتى كأنه لم يكن.. وعبَّر بالفاء في الآية للإشعار بسرعة زواله وصيرورته بتلك الصفة.." [3].

"وهذا بيان قد أخرج ما لم تجرِ به عادة، إلى ما قد جرت به، وقد اجتمع المشبَّه والمشبَّه به في الزينة والبهجة، ثم الهلاك بعده.."[4].

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَمۡ تَأۡتِهِم بِـَٔايَةٖ قَالُواْ لَوۡلَا ٱجۡتَبَيۡتَهَاۚ قُلۡ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ مِن رَّبِّيۚ هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمۡ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾[5]

يقول الألوسي :"بصائر من ربكم، أي بمنزلة البصائر للقلوب، بها تبصر الحق، وتدرك الصواب، أو حجج بيِّنة، وبراهين نيِّرة تغني عن غيرها، فالكلام خارج مخرج التشبيه البليغ"[6].

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَأَرۡسَلۡنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَسۡقَيۡنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمۡ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ﴾ "[7].

---

(١) روح المعاني (١٣٣/٧).

(٢) الكهف (٤٥).

(٣) روح المعاني (٢٨٦/١٥).

(٤) ثلاث رسائل قي إعجاز القرآن (النكت). (ص ٨٣).

(٥) الأعراف (٢٠٣).

(٦) روح المعاني (١٥٠/٩).

(٧) الحجر (٢٢).

يقول الألوسي: "لاقح بمعنى حامل، يقال ناقة لاقح أي حامل، ووصف الرياح بذلك على التشبيه البليغ، حيث شُبِّهت الريح -التي بالسحاب الماطر- بالناقة الحامل؛ لأنها حاملة لذلك السحاب، أو للماء الذي فيه"[١].

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾[٢].

يقول الألوسي: "حتى إذا جعله نارًا، أي كالنار في الحرارة والهيئة، فهو من التشبيه البليغ"[٣].

وفي تفسير قوله تعالى : ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[٤]

يقول الألوسي :"فهي كالحجارة، أي في القسوة وعدم التأثُّر، والجمع لجمع القلوب، وللإشارة إلى أنها متفاوتة في القسوة كما أن الحجارة متفاوتة في الصلابة، والكاف للتشبيه، وهي متعلِّقة هنا بمحذوف، أي كائنة كالحجارة "[٥].

وفي تفسير قوله تعالى : ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ ۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾[٦].

---

(١) روح المعاني (٣١/١٤).
(٢) الكهف (٩٥-٩٦).
(٣) روح المعاني (٤١/١٦).
(٤) البقرة (٧٤).
(٥) روح المعاني (٢٩٥/١).
(٦) الرعد (١٤). .

قال الألوسي :"شُبِّه الداعون لغير الله تعالى بمن أراد أن يغرف الماء بيديه، فبسطهما ناشرًا أصابعه في أنهما لا يحصلان على طائل، وجعل بعضهم وجه الشبه قلة الجدوى، ولعله أراد عدمها، لكنه بالغ بذكر القلَّة، وإرادة العدم دلالة على هضم الحق، وإيثار الصدق، ولإشمام طرف من التهكُّم، والتشبيه على هذا من تشبيه المفرد المقيد، كقولك لمن لا يحصل من سعيه على شيء: هو كالراقم على الماء، فإن المشبَّه هو الساعي مقيّدًا بكون سعيه كذلك، والمشبَّه به هو الراقم مقيَّدًا بكونه على الماء كذلك"[1].

"فهذا بيان قد أخرج ما لا تقع عليه الحاسَّة إلى ما تقع عليه، وقد اجتمعا في الحاجة إلى نيل المنفعة، والحسرة بما يفوت من درك الطلبة، وفي ذلك الزجر عن الدعاء إلا لله عز وجل الذي يملك النفع والضر، ولا يضيع عنده مثقال الذر.."[2].

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا﴾[3].

يقول الألوسي:"أي وجعلنا الليل الذي يقع فيه النوم غالبًا لباسًا يستركم بظلامه كما يستركم اللباس، ولعل المراد بهذا اللباس المشبَّه به ما يستتر به عند النوم من اللحاف ونحوه؛ فإن شَبَه الليل به أكمل، واعتباره في تحقيق المقصد أدخل"[4].

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾[5].

يقول الألوسي: "أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتًا.. فيه تمثيل لما يصدر عن المغتاب من حيث صدوره عنه، ومن حيث تعلقه بصاحبه على أفحش وجه وأشنعه طبعًا وعقلاً وشرعًا، مع

---

(١) روح المعاني (١٣/١٢٥).

(٢) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن (النكت). (ص ٨٣).

(٣) النبأ (١٠).

(٤) روح المعاني (٣٠/٧).

(٥) الحجرات (١٢).

مبالغات من فنون شتى.. الاستفهام التقريري من حيث إنه لا يقع إلا في كلام هو مسلّم عند كل سامع حقيقة أو ادعاء، وإسناد الفعل إلى أحد إيذانًا بأن أحدًا من الأحدين لا يفعل ذلك، وتعليق المحبة بما هو في غاية الكراهة، وتمثيل الاغتياب بأكل لحم الإنسان، وجعل المأكول أخًا للكل وميتًا، وتعقيب ذلك بقوله تعالى (فكرهتموه) حملاً على الإقرار، وتحقيقًا لعدم محبة ذلك، أو لمحبته التي لا ينبغي مثلها"[(١)].

"لقد عرض القرآن مشهدًا تتأذى له أشد النفوس كثافة، وأقل الأرواح حساسية، مشهد الأخ يأكل لحم أخيه ميتاً.. ثم يبادر فيعلن عنهم أنهم كرهوا هذا الفعل المثير للاشمئزاز، وأنهم إذن كرهوا الاغتياب"[(٢)].

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَثۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۚ فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾[(٣)].

يقول الألوسي: "والتشبيه من تشبيه المفرد بالمفرد، وقيل –وعليه كثير من المحقّقين– إنه تشبيه للهيئة المنتزعة مما عراه بعد الانسلاخ –من سوء الحال، واضطرام القلب، ودوام القلق والاضطراب، وعدم الاستراحة بحال من الأحوال– بالهيئة المنتزعة مما ذُكِر في حال الكلب"[(٤)].

"فهذا بيان قد أخرج ما لا تقع عليه الحاسَّة إلى ما تقع عليه، وقد اجتمعا في ترك الطاعة على وجه من وجوه التدبير، وفي التخسيس؛ فالكلب لا يطيعك في ترك اللهث حملت عليه أو تركته، وكذلك الكافر لا يطيع بالإيمان على رفق، ولا على عنف..."[(٥)].

---

(١) روح المعاني (٦/١٥٨).

(٢) في ظلال القرآن (٦/٣٣٤٧).

(٣) الأعراف (١٧٥-١٧٦).

(٤) روح المعاني (٩/١١٥).

(٥) ثلاث رسائل قي إعجاز القرآن (النكت). (ص ٨٢).

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ بِئۡسَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[1].

يقول الألوسي :"وفي الآية دليلٌ على سوءِ حال العالم الذي لا يعمل بعلمه، وتخصيص الحمار بالتشبيه به؛ لأنه كالعَلَم في الجهل، ومن ذلك قول الشاعر :

ذوامـلُ للأسـفار لا علـمَ عنـدهم بجيّدهـــا إلا كعلـــمِ الأباعــــرِ
لعمـرك مـا يـدري البعـير إذا غـدا بأوســـاقه أو راح مـــا في الغرائـــرِ

بناءً على ما نقل عن ابن خالويه[2] أن البعير اسم من أسماء الحمار"[3].

"فإن وجه الشبه هنا ليس شيئًا واحدًا، وإنما هو صورة منتزعة من أمور كثيرة، فهي صورة من يجهد نفسه ويتعبها بأشياء نفيسة دون أن يحصل على جدوى"[4].

وهذا تشبيه قد أَخْرَجَ ما لا يُعلم بالبديهة إلى ما يُعلم بالبديهة، وقد اجتمعا في الجهل بما حَمَلا، وفي ذلك العيبُ لطريقة مَنْ ضيَّع العلمَ بالاتّكال على حفظ الرواية من غير دراية.." [5].

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمۡ حُمُرٞ مُّسۡتَنفِرَةٞ ۝ فَرَّتۡ مِن قَسۡوَرَةِۭ ﴾[6].

يقول الألوسي: "والمعنى مشبهين بحُمُر نافرة جدًّا فرَّت من قسورة، أي أسد، شبِّهوا في إعراضهم عن القرآن، واستماع ما فيه من المواعظ، وشرادهم عنه، بحُمُر وحشية جدت في نفارها

---

(١) الجمعة (٥).
(٢) ينظر لسان العرب (١/٤٤٤)، مادة (بعر).
(٣) روح المعاني (٢٨/٩٥) . "لم أقف على قائل معين للأبيات".
(٤) البلاغة فنونها وأفنانها علم البيان والبديع (ص ٣٣)
(٥) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن (النكت). (ص ٨٤).
(٦) المدثر (٥٠-٥١).

مما أفزعها، وفي تشبيههم بالحُمُر مذمَّة ظاهرة، وتهجين لحالهم بيِّن، كما في قوله سبحانه (كمثل الحمار يحمل أسفارًا)، أو شهادة عليهم بالبله، وقلَّة العقل.."[1].

"فربما بدا أنه يكفي في تصوير إعراضهم وصفهم بأنهم كالحمير، ولكنه في دقَّته لا يُكتفى بذلك، فهو يريد أن يصوِّر نفرتهم من الدعوة، وإسراعهم في إبعاد أنفسهم عنها إسراعًا يمضون فيه على غير هدى، فوصف الحمر بأنها مستنفرة تحمل نفسها على الهرب وتحثها عليه، يزيد في هربها وفرارها أسدٌ هصور يجري خلفها، فهي تتفرَّق في كل مكان، وتجري غير مهتدية في جريها، أو لا ترى في صورة هذه الحمر –وهي تجد في هربها لا تلوي على شيء تبغى الفرار من أسد يجري وراءها– ما ينقل إليك صورة هؤلاء القوم معرضين عن التذكرة ،فارِّين أمام الدعوة لا يلوون على شيء سائرين على غير هدى!! ثم ألا تبعث فيك هذه الصورة الهزء بهم والسخرية! "[2].

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَرَمَادٍ ٱشۡتَدَّتۡ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوۡمٍ عَاصِفٖۖ لَّا يَقۡدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ﴾[3].

يقول الألوسي :"وحاصل التمثيل تشبيه أعمالهم في حبوطها وذهابها هباءً منثورًا؛ –لابتنائها على غير أساس من معرفة الله تعالى، والإيمان به، وكونها لوجهه– برماد طيَّرته الريح العاصف وفرَّقته، وهذه الجملة فذلكة ذلك، والمقصود منه.. والاكتفاء ببيان عدم رؤية الأثر لأعمالهم للأصنام مع أن لها عقوبات للتصريح ببطلان اعتقادهم، وزعمهم أنَّها شفعاء لهم عند الله تعالى، وفيه تهكُّم بهم.."[4].

---

(١) روح المعاني (١٣٤/٢٩).

(٢) من بلاغة القرآن (ص ١٥٤).

(٣) إبراهيم (١٨).

(٤) روح المعاني (٢٠٤/١٣).

"فهذا بيان قد أخرج ما لا تقع عليه الحاسَّة إلى ما تقع عليه، فقد اجتمع المشبَّه والمشبَّه به في الهلاك، وعدم الانتفاع، والعجز عن الاستدراك لِمَا فات، وفي ذلك الحسرة العظيمة والموعظة البليغة.." [1].

"إنَّ مشهد الرماد تشتد به الريح في يوم عاصف مشهود معهود، يجسِّم به السياق معنى ضياع الأعمال سدى، لا يقدر أصحابها على الإمساك بشيء منها، ولا الانتفاع به أصلاً . يجسِّمه في هذا المشهد العاصف المتحرك، فيبلغ في تحريك المشاعر له ما لا يبلغه التعبير الذهني المجرد عن ضياع الأعمال وذهابها بددًا .

هذا المشهد ينطوي على حقيقة ذاتية في أعمال الكفار . فالأعمال التي لا تقوم على قاعدة من الإيمان، ولا تمسكها العروة الوثقى التي تصل العمل بالباعث، وتصل الباعث بالله- مفكَّكة كالهباء والرماد، لا قوامَ لها ولا نظام. فليس المعوّل عليه هو العمل، ولكن باعث العمل.. حركة آلية لا يفترق فيها الإنسان عن الآلة إلا بالباعث والقصد والغاية.

وهكذا يلتقي المشهد المصوَّر مع الحقيقة العميقة، وهو يؤدي المعنى في أسلوب مشوّق موحٍ مؤثِّر"[2].

---

(١) ثلاث رسائل قي إعجاز القرآن (النكت). (ص ٨٢)

(٢) في ظلال القرآن (٤/٢٠٩٤).

المبحث الثاني
المجاز

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: المجاز العقلي.

المطلب الثاني: المجاز اللغوي.

تعريف المجاز لغة:

مصدر ميمي من جوز، يقال: "جزت الطريق، وجاز الموضع جوازًا ومجازًا، والمجاز والمجازة الموضع"[1]، "مأخوذ من قولهم: جاز من هذا الموضع إلى هذا الموضع إذا تخطَّاه إليه، فالمجاز إذًا اسم للمكان الذي يُجاز فيه، وحقيقته هي الانتقال من مكان إلى مكان، فجعل ذلك لنقل الألفاظ من محل إلى محل، كقولنا: زيد أسد، فإن زيدًا إنسان، والأسد هو هذا الحيوان المعروف، وقد جزنا من الإنسانيَّة إلى الأسديَّة، أي عبرنا من هذه إلى هذه لوصلة بينهما، وتلك الوصلة هي صفة الشجاعة"[2]، ولقد سُمِّيت به الكلمة التي جازت مكانها الأصلي.

أما المجاز في اصطلاح البلاغيين:

فهو "كل كلمة أُريد بها غير ما وقعت له في وضع واضعها؛ لملاحظة بين الثاني والأول، فهي مجاز، وإن شئت قلت: كل كلمة جزت بها ما وقعت له في وضع الواضع إلى ما لم توضع له، من غير أن تستأنف فيها وضعًا لملاحظة بين ما تجوز بها إليه، وبين أصلها الذي وضعت له في وضع واضعها فهي مجاز"[3].

وهذا التعريف يشير إلى أن المجاز هو "اللفظ المستعمل في غير ما وُضِع له لعلاقة المشابهة، مع قرينة تمنع من إرادة المعنى الحقيقي"[4].

"فالمجاز من شأنه أن يَفْخُمَ عليه المعنى، وتحدُثَ فيه النَّباهةُ. فليس يَشتَبه على عاقل أن ليس حالُ المعنى وموقعهُ في قوله: (فَنَامَ لَيلِي وتجَلَّى هَمِّي ...)، كحالِهِ وموقعه إذا أنت تركت المجاز

---

(١) انظر: لسان العرب (٤١٦/٢)، (مادة جوز).

(٢) المثل السائر (١/ ٧٤).

(٣) أسرار البلاغة (ص ٣٥٢).

(٤) وتفصيل ذلك: أن الكلمة المستعملة مجازاً فيها معنيان: الحقيقي الذي وضعت له، والمعنى المجازي الذي استعملت فيه الكلمة ثانياً. والعلاقة: مراد بها الصلة بين المعنيين، ولولاها لما استطعنا نقل الكلمة من معناها الأول الذي وضعت له إلى معناها الثاني الذي استعملت فيه، وأما القرينة، فهي التي تبين لنا المعنى الحقيقي أنه غير مراد، وأن المجاز هو المعنى المقصود. انظر: البلاغة فنونها وأفنانها، علم البيان والبديع (ص ١٤١).

وقلتَ : فنمتُ في ليلي وتجلَّى همِّي. ومن ذا الذي يَخفى عليه مكانُ العلوِّ، وموضعُ المزية وصورةُ الفُرقان بين قوله تعالى: (فما ربحتْ تجارتُهم)، وبين أن يقال : (فما ربحوا في تجارتهم)!.

وإن أردت أَن تزداد للأمر تَبيُّنًا فانظر إلى بيت الفرزدق:

يَحْمـي إذا اخْتَـرَطَ السُّـيوفُ نسـاءَنا ضَـرْبٌ تَخِـرُّ لـه السَّـواعدُ أرْعَـلُ [1]

وإلى رونقه ومائه، وإلى ما عليه من الطَّلاوة . ثم ارجع إلى الذي هو الحقيقة وقل: "نحمي إذا اخْتَرَطَ السيوفُ نساءَنا بضربٍ تطيرُ له السواعدُ أرعلُ " ثم اسْبِرْ حالَك هل تَرى مما كنتَ تراه شيئًا ؟!

وهذا الضَّرْبُ من المجاز على حِدَته كنز من كنوزِ البلاغة، ومادَّةُ الشاعر المُفْلِق، والكاتب البليغ في الإبداع والإحسان والاتِّساع في طُرُق البيان . وأن تجيء بالكلام مطبوعًا مصنوعًا، وأن يضعه بعيد المرام قريبًا من الأفهام"(٢).

"وشاهده ما جاء في قوله تعالى: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾(٣)، ذلك أن كلمة: ﴿الصِّرَاطَ﴾ وضعها العرب للطريق، واستعملها القرآن الكريم للدلالة على الدِّين؛ لعلاقة توصيل كل منهما إلى المراد. والواقع أن المجاز ورد في اللغة، وفي القرآن الكريم، ولقد أُعْتُبِر المجاز أبلغ من الحقيقة"(٤)؛ "بل هو أولى بالاستعمال منها في باب الفصاحة والبلاغة"(٥). "وأرباب البلاغة يعدلون إلى المجاز ما أمكن لتضمنه لطائف النكات"(٦).

[1]) ديوان الفرزدق، شرح: كرم البستاني، دار صادر، بيروت. ١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م. (٢/ ١٥٥).

(٢) دلائل الإعجاز (٢٢٨/١).

(٣) الفاتحة (٦).

(٤) انظر: الإتقان في علوم القرآن، تأليف: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق: سعيد المندوب، دار الفكر – لبنان، الطبعة الأولى – ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م، (٩٧/٢).

(٥) انظر: المثل السائر (٧٨/١).

(٦) روح المعاني (٩٩/٢٠).

يُقسم المجاز إلى قسمين:

"المجاز العقلي، ويكون في الإسناد.

المجاز اللغوي، وهو نوعان:

إذا كانت العلاقة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي المشابهة سُمي استعارة، وإن كانت العلاقة غير المشابهة، فهو مجاز مرسل"[١].

وفيما يلي بيان وتفصيل لكل نوع من أنواع المجاز، مع شواهد من القرآن الكريم.

---

(١) انظر: الإيضاح (ص ٢٧٩، ٢٨٠).

المطلب الأول

المجاز العقلي

"هو الكلام المفاد به خلاف ما عند المتكلِّم من الحكم فيه لضربٍ من التأويل"[1]، وورد تعريفه لدى الخطيب بأنه: "إسناد الفعل أو ما في معناه إلى مُلابسٍ له غير ما هو له بتأول"[2].

فقوله : (إسناد الفعل أو ما في معناه) يقصد به الفعل، وما هو في معنى الفعل، ويعمل عمله، مثل: اسم الفاعل، واسم المفعول، واسم الزمان والمكان.

وقوله: (لغير ما هو له) هو التجوُّز في إسناد الفعل بإسناده إلى غير فاعله، ومثال ذلك : (صامت سعاد)، و(قامت فاطمة)، فإسناد الصوم والقيام إلى سعاد وفاطمة إسناد حقيقي. وأما في قولهم: (أنبت الربيع البقل)، و(فاض الكأس)؛ فإن الله ﷻ هو الذي أنبت البقل، والذي فاض من الكأس هو الماء، فما حصل هو إسناد أنبت، وفاض إلى غير الفاعل الحقيقي، وهو ما سُمي في التعريف بغير ما هو له. وهو ما يسمى بالإسناد المجازي. والذي سوغ لهذا التجوز هو العلاقة التي تربطهما ما بين المسند والمسند إليه، فالإنبات إنما حصل في فصل الربيع، وكان بسببه. وكذلك الفيض أسند إلى الكأس؛ لأنه هو المكان الممتلئ بالماء، وهكذا[3].

وعلاقات المجاز العقلي:

١- المكانية: (سال النهر).

ومثله قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّٰرُ ۝١٦ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَسَالَتۡ أَوۡدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا فَٱحۡتَمَلَ ٱلسَّيۡلُ زَبَدٗا رَّابِيٗا﴾[4].

---

(١) مفتاح العلوم (ص ٥٠٣).

(٢) الإيضاح (ص ٢٦).

(٣) انظر المطول (ص ٥٨٤).

(٤) الرعد (١٦-١٧).

"حيث أسند فيه السيلان إلى الأودية، مع أنَّ السيلان للماء فيها، ولكنّنا حين نقرأ أو نسمع هذا الكلام نلمس المقصود به من وراء فاصل، وهو ساتر المجاز، إذ أُسنِد السيلان للمحلّ، وهو هنا الأودية، ومع لمس المراد من وراء الساتر نحسّ بزينة خاصّة في هذا الساتر، وبفكرة مضافة، وهي أنّ النّاظر إلى تدفّق الماء في الأودية، وتدافع أمواجه، يتوهّم في لحظات الانبهار أنّ الأودية تجري أيضًا مع الماء، وهذا معنى بديع يضفي على الكلام زينة حلوة، ويصوّر حالة التخيّل التي تعتري الناظرين المندهشين"[1] .

٢- الزمانية: كقولنا (ليله قائم).

ومنه قول الشاعر:

أشَابَ الصَّغِيرَ وَأَفْنَى الْكَبِيـ ... ـرَ كَرُّ الْغَدَاةِ وَمَرُّ الْعَشِيّ

حيث أسند فعلي أشاب وأفنى إلى كرِّ الغداة ومرِّ العشي، وهما لا يفعلان ذلك، لكنهما زمنان لما يحدث من تغييرات فيهما بفعل الربِّ الخالق، وسنَّته في كونه، فالملابسة الظرفية الزمانية" [2].

ومنه قول المتنبي:

رماني الدهرُ بالأرزاء حتى ... فؤادي في غشاء من نبالِ[3]

وقد تطرق الألوسي لهذا النوع من المجاز في تفسيره لقوله تعالى : ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ﴾[4].

---

(١) البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها (٢/٣٠١).

(٢) المصدر نفسه (٢/٣٠١). "لم أقف على قائل معين للبيت".

(٣) ديوان المتنبي، وضعه: عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان ١٤٠٧هـ – ١٩٨٦م. (٣/١٤١).

(٤) الحج (١).

حيث قال :" والزلزلة التحريك الشديد، والإزعاج العنيف بطريق التكرير، بحيث يزيل الأشياء من مقارها، ويخرجها عن مراكزها، وإضافتها إلى الساعة من إضافة المصدر إلى فاعله، لكن على سبيل المجاز في النسبة، لأن المحرك حقيقة هو الله تعالى"[1].

كما وضَّح الألوسي ذلك في تفسيره لقوله تعالى :﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ بَلۡ مَكۡرُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ﴾[2]. حيث قال :" أي صدنا مكركم بنا في الليل والنهار، فجعل الليل والنهار ماكِرَين على الإسناد المجازي"[3].

٣- السببية: مثل (أشابتنا الهموم).

وقد جاء التعبير بطريق المجاز العقلي في إسناد زيادة الإيمان إلى تلاوة الآيات، وإنما هو لله سبحانه، وإسناد الوجل إلى القلوب، وإنما هو إلى أهلها، كما قال تعالى:﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ﴾[4].

فالمجاز العقلي نلحظه في قول الله تعالى: ﴿وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ﴾ ، إذ أسند الوجل إلى القلوب، وحقيقة الأمر أنه للإنسان، وهو من باب وصف الكل بصفة البعض، وهذا القول دليل على أن القلب هو مصدر التأثر والإيمان واليقين، وبه تُؤْدَى جميع العبادات، فوجل القلوب يعني أن توجل على أثره كل الأعضاء، وكذلك القول بالمجاز العقلي؛ لأن الوجل أصله للإنسان، وإنما أسند إلى القلب؛ لأن الإنسان مجموعة تلك الأعضاء، فخوفها هو خوف القلب.

---

(١) روح المعاني (١٧/ ١١٠).

(٢) سبأ (٣٣).

(٣) روح المعاني (٢٢/ ١٤٥).

(٤) الأنفال (٢-٤).

وفي قوله تعالى: ﴿زَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا﴾ مجاز عقلي؛ لأنه أسند فعل زيادة الإيمان إلى الآيات، وهي في الحقيقة إلى الله تعالى، وإنما الآيات سبب في هذه الزيادة، ولفظ (الزيادة) يدل على وجود الإيمان في القلب، وتمكنها منه، والآيات تزيد من ذلك[1].

ويبين الألوسي أن في وصف الرزق بلفظة (كريم) مجاز عقلي: إذ المعنى أن الرازق كريم، فهو لذلك رزق وافر كريم لا ينقطع، كما هي عادة الكرماء، فما بالنا برب الأكرمين.

حيث قال الألوسي: "وجعل الرزق نفسه كريمًا مجاز عقلي"[2].

كما ورد المجاز في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّـٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٨٤﴾﴾[3].

"ففي قوله تعالى: ﴿ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ﴾ مجاز عقلي في قوله سبحانه: ﴿ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ ﴾ إذ أسند الفيض إلى العين، وهو في الحقيقة لمدمع العين، وعلاقته السببية؛ لأن الفيض حصل بسبب الدمع الغزير، وسرّه البلاغي يكمن في نقل الفكر من حالة البكاء المعتاد، إلى فيض من عبق مشاعر الإيمان، وقد أوقدته دموع فياضة، فدلَّ بذلك على قلوب رقيقة، وخشيةٍ شديدة، مما يشير إلى مسارعته لقبول الحق، ولقد جاء التعبير بلفظ الفيض؛ لأنه يدل على امتلاء الإناء أو غيره، حتى يطلع ما فيه"[4].

---

(١) انظر التحرير والتنوير (٢٥٧/٩/٤).

(٢) انظر: روح المعاني (١٦٨/٥).

(٣) المائدة (٨٣-٨٤).

(٤) انظر: الكشاف (٧٠٢/١)، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل (٢٧٩/١، ٢٨٠).

٤- **المصدرية: ومثال ذلك: (جدَّ الجدُّ).**

ومنه قول أبي فراس الحمداني:

سـيذكرني قـومي إذا جـدَّ جـدُّهم وفي الليلـة الظلمـاء يفتقـد البـدر [1]

٥- المفعولية: وذلك حين يأتي اسم الفاعل، والمراد به اسم المفعول، كقوله تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَـٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ﴾(٢)، أي: مدفوق.

٦- الفاعلية: حيث يأتي اسم المفعول، ويُراد به اسم الفاعل. كقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا﴾(٣)، فمأتي: اسم مفعول، والمراد اسم الفاعل آتٍ"(٤).

يقول الألوسي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ﴾(٥) "والإسناد في "أمر مريج" مجازي كما في "عيشة راضية" مبالغة بجعل المضطرب الأمر نفسه، وهو في الحقيقة صاحبه"(٦).

قرينة المجاز العقلي:

يحتاج المجاز العقلي إلى قرينة تمنع من إرادة المعنى الأصلي، وهذه القرينة إما لفظيَّة، أو غير لفظيَّة، كاستحالة صدور المسند من المسند إليه، أو استحالة وقوع الفعل من الفاعل.

---

[1]) ديوان أبي فراس الحمداني، دار صادر، بيروت. ١٣٨٥هـ - ١٩٦٦م.(ص ١٦٦).

(٢) الطارق (٥-٦).

(٣) مريم (٦١).

(٤) انظر: الإيضاح (ص ٢٧، ٢٨)، وخصائص التراكيب (ص ١٠٧).

(٥) ق (٥).

(٦) روح المعاني (١٧٥/٢٦).

فمثال الأول قول أبي النجم[1]:

قــد أصــبحتْ أمُّ الخيــار تَــدعي ... علـــيَّ ذنبًـــا كلُّـــهُ لم أصـــنعِ
مِــنْ أنْ رأتْ رأســي كـرأسِ الأصـلعِ ... ميَّـــزَ عنـــه قُنزعًـــا مـــن قُنْـــزعِ
أفنـــاهُ قيـــل اللهِ للشـــمسِ: اطْلَعـــي ... حـــتَّى إذا واراكِ أفْـــقٌ فـــارْجِعي

"فالشاعر أسند الفعل (ميز) إلى (جذب الليالي) إسنادًا مجازيًّا من إسناد الفعل إلى السبب أو الزمن، وقرينة المجاز لفظيَّة، فقد أسند فناء شعر الرأس إلى الله ﷻ، فهذا دليل على أن القائل مؤمن متجوز في كلامه، والقرينة لفظيَّة مذكورة في الكلام: (أفناه قِيْلُ الله للشمس: اطلعي).

القرينة غير اللفظية؛ كقولهم: فتح عمرو بن العاص مصر، فإسناد فتْح مصر إلى عمرو مجاز عقلي لعلاقة السببية، والقرينة الاستحالة، إذ يستحيل عادة أن يفتح عمرو بمفرده مصر، وإن أمكن ذلك عقلاً "[2].

"وسُمي المجاز عقليًّا؛ لأنه يُحتكم فيه إلى العقل؛ لأن إسناد الكلمة إلى أخرى شيء يحصل بقصد المتكلِّم، وليس هو من واضع اللغة.

فمثلاً في قولهم: (ضَرَب زيد عمرًا)، أي: الضارب هو زيد، هذا حكم أطلقه المتكلِّم الذي قصد إثبات الضرب لزيد، وليس في وضع اللغة كذلك"[3].

---

(١) الفضل بن قدامة بن عبيد الله العجلي، المعروف بأبي النجم، من أكابر الرجّاز في العصر الأموي، وكان ينزل الكوفة، وهو من رجّاز الإسلام الفحول المقدمين، ، توفي سنة (١٣٠ هـ)، وهذا البيت من أول أرجوزته، وأم الخيار المذكورة زوجته. انظر: طبقات فحول الشعراء لمحمد بن سلام الجمحي، تحقيق محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة. (٧٣٧/٢)، والأغاني لأبي الفرج الأصبهاني، تحقيق: سمير جابر، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان. الطبعة الثانية. (٧٣/٩).

(٢) انظر: الإيضاح (ص ٢٧، ٢٨).

(٣) الإيضاح (ص ٢٨).

المطلب الثَّاني
المجاز اللُّغوي

أولاً: المجاز المرسل.

أحد قسمي المجاز اللغوي، وتعريفه:

"ما كانت العلاقة بين ما استُعمِل فيه، وما وضع له مُلابسة غير التشبيه"[(١)]، أي: هو الكلمة المستعملة في غير ما وُضِعت له في اللغة، لعلاقة غير المشابهة بين المعنيين، وقولهم: (غير المشابهة) أرادوا بها أن العلاقة غير المشابهة، كما في قولهم: (اليد للنعمة)، فلفظ يد موضوع لعضو من أعضاء الإنسان معلوم، ولكن لما كانت اليد هي سبب في إعطاء النعمة، وبها تصدر، فأصبحت اليد بمنزلة العلَّة الفاعلة لها"[(٢)].

وسمي مرسلاً "لأنه أرسل عن دعوى الاتحاد المعتبرة في الاستعارة؛ إذ ليست العلاقة بين المعنيين المشابهة حتى يُدَّعى اتحادها... أو لأنه أرسل أي: أُطْلِق عن التقيد بعلاقة واحدة"[(٣)].

"ولما كان الفارق بين الاستعارة والمجاز المرسل هو جهة العلاقة، فإن للمجاز المرسل علاقات غير المشابهة، وأهمها:

١- الجزئية: تسمية الشيء باسم جزئه المناسب للمعنى المراد، كالعين تطلق على الرقيب والجاسوس. ومثل قوله تعالى: ﴿وَيَخِرُّون لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾[(٤)].

---

(١) الإيضاح (ص ٢٤٧).

(٢) انظر: المطول (ص ٥٧٥).

(٣) علم البيان دراسة تحليلية لمسائل البيان، تأليف: الدكتور بسيوني عبد الفتاح، مؤسسة المختار، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م. (ص ١٤٥).

(٤) الإسراء (١٠٩).

ففي قوله تعالى: ﴿لِلْأَذْقَانِ﴾: مجاز مرسل؛ لأن الأصل: يخرون على وجوههم، ولكنه عبَّر بالأذقان، وأراد الوجوه، من باب إطلاق الجزء وإرادة الكل على سبيل المجاز المرسل؛ علاقته الجزئية للمبالغة"[1].

وقد تناول الألوسي ذلك في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ وَسَبِّحْهُ لَيْلاً طَوِيلاً﴾[2]حيث قال :" من الليل أي بعضه. فاسجد أي فصلِّ له ﷻ، على أن السجود مجاز عن الصلاة بذكر الجزء وإرادة الكل"[3].

كما تطرَّق الألوسي لهذا الضرب من المجاز عند تفسيره لقوله تعالى :﴿تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا﴾[4]حيث قال: "والمراد تراهم مصلِّين، والتعبير بالركوع والسجود عن الصلاة مجاز مرسل علاقته الجزئية "[5].

٢- الكليَّة: تسمية الجزء باسم الكل، كما في قوله تعالى: ﴿يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم﴾[6]، والمراد أناملهم؛ لأنه لا توضع الإصبع كاملة في الأذن.

٣- السببيَّة: تسمية الشيء باسم سببه، كما في قولهم: (رعينا الغيث)[7]، أي النبات، فسُمِّي النبات غيثًا لأنه سبب النبات. يقول الألوسي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ ﴾ [8] "والمراد بمس سقر ألمها على أنه مجاز مرسل عنه بعلاقة السببية؛ فإن مسَّها سبب للتألم بها"[9].

---

(١) انظر: مقدمة تفسير ابن النقيب (ص ٤٧)، والبرهان في علوم القرآن (٢/٢٦٦).

(٢) الإنسان (٢٦).

(٣) روح المعاني (٢٩/١٦٦).

(٤) الفتح (٢٩).

(٥) روح المعاني (٢٦/١٢٤).

(٦) البقرة (١٩).

(٧) انظر الإيضاح (ص ٢٤٩).

(٨) القمر (٤٨).

(٩) روح المعاني (٢٧/٩٣).

وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ عِبَـٰدَنَآ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَـٰقَ وَيَعۡقُوبَ أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي وَٱلۡأَبۡصَـٰرِ﴾[1] يقول الألوسي :" أولي الأيدي والأبصار أي أولي القوة في الطاعة، والبصيرة في الدِّين، فالأيدي مجاز مرسل عن القوة، والعلاقة السببية"[2].

٤- المسببية: تسمية السبب باسم المسبَّب، نحو: أمطرت السماء نباتًا، فذكر النبات، وأريد الغيث؛ لأن الغيث سبب النبات[3]. وقد تناول الألوسي ذلك عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنۡهَا مِن ثَمَرَةٖ رِّزۡقٗا قَالُواْ هَـٰذَا ٱلَّذِي رُزِقۡنَا مِن قَبۡلُ﴾[4] حيث قال :" فالذي رزقنا مجاز مرسل عن جزائه بإطلاق اسم المسبَّب على السبب"[5].

وعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿أَفَمَنۡ حَقَّ عَلَيۡهِ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي ٱلنَّارِ﴾[6] يقول الألوسي :" والنار مجاز عن الضلال، من باب إطلاق اسم المسبَّب على السبب"[7].

كما وردت علاقة المسببيَّة عند تفسير الألوسي لقوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَجُلٞ مُّؤۡمِنٞ مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَكۡتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ أَتَقۡتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ﴾[8] حيث علَّق الألوسي بقوله:" أتقتلون رجلاً، أي أتقصدون قتله، فهو مجاز ذكر فيه المسبَّب وأريد السبب"[9].

---

(١) ص (٤٥).
(٢) روح المعاني (٢٣/٢١٠).
(٣) انظر الإيضاح (ص ٢٥٠).
(٤) البقرة (٢٥).
(٥) روح المعاني (١/٢٠٤).
(٦) الزمر (١٩).
(٧) روح المعاني (٢٣/٢٥٤).
(٨) غافر (٢٨).
(٩) روح المعاني (٢٤/٦٤).

٥- اعتبار ما كان: تسمية الشيء باسم ما كان عليه، كما في قوله تعالى: ﴿وَءَاتُوا ٱلْيَتَـٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ﴾[١]، أي: الذين كانوا يتامى[٢].

٦- اعتبار ما يكون: وهو تسمية الشيء باسم ما يؤول إليه، كتسمية العنب خمرًا، كما في قوله تعالى: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعْصِرُ خَمْرًا﴾[٣][٤].

٧- المحليَّة: تسمية الشيء باسم محلِّه، كقوله تعالى: ﴿ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴾[٥]. أي أهل ناديه[٦].

وقد وردت هذه العلاقة في قوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِىَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَـٰهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴾[٧] يقول الألوسي: "وكأيِّن من قرية، أي أهل قرية، حيث أطلق المحل وأريد الحال مجازًا"[٨].

الحاليَّة: إطلاق اسم الحال على المحل كقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴾[٩][١٠].

---

(١) النساء (٢).

(٢) الإيضاح (ص ٢٥١).

(٣) الإيضاح (ص ٢٥١).

(٤) يوسف (٣٦).

(٥) العلق (١٧).

(٦) الإيضاح (ص ٢٥١).

(٧) محمد (١٣).

(٨) روح المعاني (٤٦/٢٦).

(٩) آل عمران (١٠٧).

(١٠) الإيضاح (ص ٢٥١).

الآلية: وهي تسمية الشيء باسم آلته، كقوله تعالى: ﴿وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ﴾[1]، أي ذكرًا حسنًا، فأطلق اسم الآلة، وهو اللسان على الذكر[2].

وترتقي أنواع العلاقة إلى خمسة وعشرين[3].

"ويحقِّق المجاز المرسل بلاغة عظيمة في الكلام، فهو يوسِّع اللغة، ويساعد على الافتنان في التعبير، كما أن المجاز أخفُّ من الحقيقة على اللسان، ويفيد المبالغة في المعنى، ويحقق الإيجاز في العبارة"[4].

---

(١) الشعراء (٨٤).

(٢) الإيضاح (ص ٢٥١).

(٣) انظر: المطول (ص ٥٧٥-٥٧٨)، وانظر: القرآن والصورة البيانية (ص ١٥٥-١٧٠).

(٤) انظر: البيان في ضوء أساليب القرآن، تأليف: الدكتور عبد الفتاح لاشين، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٨٤م. (ص ١٥٧).

ثانيًا: الاستعارة:

الاستعارة لغة:

يقال :"أعار الشيء إعارةً، وعاره: أعطاه إياه عارية"(١).

الاستعارة اصطلاحًا:

"أن يكون للفظ أصل في الوضع اللُّغوي معروف، تدل الشواهد على أنه اختُصَّ به حين وضِع، ثم يستعمله الشاعر أو غير الشاعر في غير ذلك الأصل، وينقله إليه نقلاً غير لازمٍ، فيكون كالعارية" (٢)، "وهذا المعنى الذي توصَّل إليه عبد القاهر قد فتق قرائح العلماء المحدثين على استنباط المعنى الاصطلاحي بدقَّة متناهية، قولهم: إنها استعمال اللفظ في غير ما وضِع له؛ لعلاقة المشابهة بين المعنى الأصلي والمعنى المجازي(٣)، مع وجود قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي"(٤).

كما بيَّن ابن الأثير بيان العلاقة بين الاستعارة الحقيقيَّة والمجازيَّة، حيث قال: "إن الأصل في الاستعارة المجازيَّة مأخوذ من العارية الحقيقيَّة التي هي ضرب من المعاملة، وهي أن يستعير بعض الناس من بعضٍ شيئًا من الأشياء، ولا يقع ذلك إلا من شخصين بينهما سبب معرفة ما يقتضي استعارة أحدهما من الآخر شيئًا، وإذا لم يكن بينهما سبب معرفة بوجه من الوجوه، فلا يستعير أحدهما من الآخر شيئًا؛ إذ لا يعرفه حتى يستعير منه "(٥).

---

(١) انظر: المعجم الوسيط (١٨١/٢).

(٢) أسرار البلاغة (ص ٣٠). وقوله (لفظ) الأصل أنه أراد به المشبَّه به. ولقد سبق عبد القاهر إلى تعريفها بمثل ذلك أبو هلال العسكري في كتاب الصناعتين. انظر (ص ٢٦٨).

(٣) أي الأصل اللغوي المأخوذ منه لفظ (استعارة).

(٤) انظر: علم البيان (ص ١٦٩) للدكتور بسيوني عبد الفتاح.

(٥) المثل السائر (١/ ٣٤٧)، وانظر: كتاب الطراز (١٠٤/١)، وهو – أي ابن الأثير – الذي أوحى إلى المحدثين بتعريف الاستعارة أنها: "مأخوذة من العارية، وهي نقل الشيء من حيازة شخصٍ إلى شخصٍ آخر، حتى تصبح تلك العارية من خصائص المعار إليه، والإلصاق به، وبهذا المعنى كانت ذات صلة بالمعنى الاصطلاحي الذي عرفت به لدى علماء البلاغة، لما في نقل اللفظ من معنى عرف به في أصل اللغة إلى معنى آخر لم يعرف به هذا اللفظ؛ حتى يصبح هذا اللفظ من الدلائل عليه، وذلك المعنى من لوازم هذا اللفظ".

والاستعارة: "أن تذكر أحد طرفي التشبيه، وتريد به الطرف الآخر، مدَّعيًا دخول المشبَّه في جنس المشبَّه به، دالاً على ذلك بإثباتك للمشبَّه ما يخص المشبَّه به"(١).

يقول الحموي :"ولا بد أن تكون الاستعارة أبلغ من الحقيقة لأجل التشبيه العارض فيها، لأن الحقيقة لو قامت مقامها لكانت أولى بها، ولا يخفى على أهل الذَّوق أن قوله تعالى (واشتعل الرأس شيبًا) أبلغ من (كثر شيبُ الرأس)، وهو حقيقة. ولا بدَّ للاستعارة من مستعار منه، ومستعار، ومستعار له، فالنار مستعار منها، والاشتعال مستعار، والشيب مستعار له.

ولا تحسن الاستعارة إلا إذا كان التشبيه مقرَّرًا، وكلما زاد التشبيه خفاءً زادت الاستعارة حسنًا، وما أحسن قول ذي الرمة هنا:

أقامت بها حتى ذوَى العودُ في الثَّرَى ... وساق الثُّريَّا في مُلاءَتِه الفجرُ [٢]

فاستعار للفجر ملاءة، وأخرج لفظه مخرج التشبيه"(٣).

وما أروع قول المتنبي:

فلا تَنَلْكَ الليالي إن أيديها ... إذا ضربْنَ كسرْنَ النبعَ بالغربِ(٤)

حيث جعل للَّيالي أياديَ على سبيل الاستعارة المكنية.

وما أجمل قول المتنبي أيضًا:

في الخد أن عزم الخليطُ رحيلا ... مطرٌ تزيد به الخدودُ محولا (٥)

حيث حذف المشبه (الدموع)، واستعار لها لفظ المشبه به (المطر)، فالاستعارة تصريحية.

---

(١) مفتاح العلوم (ص ٤٧٧).
[٢]) ديوان ذي الرمة، صححه: كارليل هنري، طبع كلية كمبريج. ١٩١٩م. (ص ٢٠٧).
(٣) خزانة الأدب (١/ ١١٠).
(٤) ديوان المتنبي (١/ ٢٢٣).
(٥) ديوان المتنبي (٣/ ٣٤٩).

" .. فكل استعارة حسنة فهي تُوجب بيان لا تنوب منابه الحقيقة، وذلك أنه لو كان تقوم مقامه الحقيقة لكانت أولى به، ولم تجز الاستعارة. وكل استعارة فلابد لها من حقيقة، وهي أصل الدلالة على المعنى في اللغة، كقول امرئ القيس في صفة الفرس: (قيد الأوابد)، والحقيقة فيه: مانع الأوابد، وقيد الأوابد أبلغ وأحسن. وكقولك: ميزان القياس، حقيقته تعديل القياس، والاستعارة فيه أبلغ وأحسن، فكل استعارة لابد لها من حقيقة، ولابد من بيان لا يفهم بالحقيقة.."(١).

وأما الغرض من الاستعارة: فمنه "شرح المعنى، وفضل الإبانة عنه، وتأكيده والمبالغة فيه، والإشارة إليه بالقليل من اللفظ، وتحسين المعرض الذي يبرز فيه"(٢). وبهذه الأوصاف تبلغ فائدة الحقيقة، وتزيد عليها بزيادة فائدة، وهي إثارة النفس، وإلهاب الذهن والفكر لطلب المعنى، وهو مما يجعل المعنى بالنفس ألصق وألزم، ولطلبه أدوم.

ولقد أضاف عبد القاهر – إلى ما سبق – ما يفصح عن أسرار جمال الاستعارة، وأثرها في نظم الكلام، حيث يقول: "هي أمدّ ميدانًا، وأشدّ افتنانًا، وأكثر جريانًا، وأعجب حسنًا وإحسانًا، وأوسع سعةً، وأبعد غورًا، وأذهب نجدًا في الصناعة وغورًا، من أن تجمع شُعَبَها وشُعُوبها، وتحصر فنونها وضروبها..."(٣)، أراد بذلك أن الغرض من الاستعارة: هو المبالغة في بيان الصورة، واستجلاء معانيها بمظهر جميلٍ خلاّبٍ، له أثره في توضيح المعنى، وإثارة الخيال، مما يسهم في تعلُّق المعنى بالنفس. ومن خصائصها المميزة لها – أي للاستعارة – أنها تعطي الكثير من المعاني باليسير من اللفظ، حتى تُخرج من المعنى الواحد كثيرًا من المعاني، مما يجعلها تغاير ألوان علم البيان الأخرى، وإن كانت لا تفوقها، ولكن يظل للاستعارة مكانتها المتألقة.

---

(١) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن (النكت) (ص ٨٦).

(٢) كتاب الصناعتين (ص ٢٦٨).

(٣) أسرار البلاغة (ص ٤٢).

"هـذا وإن كانـت الاسـتعارات القرآنيـة الكريمـة قـد وقعـت في الألفـاظ المفـردة والمركبـة؛ فإنها كذلك قد وقعت في الحروف، ويقوم ذلك على أن الكلمة منفردة لا تؤدي معنى، ولا تفي بغرض إلاَّ إذا ضمت إلى أخواتها"(١)، وهذه النظرية المعروفة، والتي كان رائدها الشيخ عبد القاهر؛ كان لها جذور لدى الزجاجي(٢) حيث يقول: "... فإنك سألتني أن أضع لك كتابًا أشرح لك فيه جميع معاني الحروف، وعلى كَمْ وجه يتصرَّف الحرف فأجبتك إليه"(٣)، فالزجاجي: "يذكر استعمالات الحرف المختلفة في تراكيب مختلفة، ثم يذكر دلالته في كل تركيب"(٤)، وهذا يدل على أن معاني الحروف متعدِّدة كذلك، بحسب السياق الذي تأتي فيه، وهو ما يطلق عليه الاستعارة المكنيّة.

"ومما يكسب الاستعارة مكانةً في علم البيان، ويعطيها قيمةً ومزيد فضلٍ تعدُّدُ أنواعها، ودقَّةُ الفروق فيما بينها. فمن أنواعها المكنيَّة، والتصريحيَّة، والتهكميَّة، والعناديَّة"(٥)، ومن شواهد الاستعارة قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾(٦).

ففي قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ هُدٗى﴾ وردت عدَّة أقوال في الاستعارة في الآية الكريمة، ولكل من هذه الأقوال حظّه من الوجاهة، فمن ذلك قيل ما يلي..

١- "هناك استعارة تمثيلية تصريحية: حيث التعبير بكلمة ﴿عَلَىٰ﴾، وهي إحدى لوازم الركوب، تبين الهيئة المشبَّه بها على وجه الإيجاز، والتقدير: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى﴾. والملاحظ أن هذا

---

(١) دلائل الإعجاز (ص ٣٨٦).

(٢) عبد الرحمن بن إسحاق أبو القاسم الزجاجي، تلميذ الزجاج، وإليه نسب، وأخذ عن أبي جعفر الطبري، درس في جامع بني أمية في دمشق. له من التصانيف: الجمل في النحو، وشرح أسماء الله الحسنى، توفي بطبرية سنة ٣٤٠ هـ. انظر: الفهرست، لمحمد بن إسحق النديم، دار المعرفة، بيروت ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م. (ص ١١٨).

(٣) كتاب حروف المعاني، لأبي القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي، تحقيق: د. علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة. الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ (ص ١).

(٤) كتاب حروف المعاني (ص ٢٥).

(٥) ولمعرفة تفاصيل هذه الأنواع انظر: علم البيان (ص ١٦٩) وما بعدها للدكتور بسيوني عبد الفتاح .

(٦) البقرة (٥).

الأسلوب قد صُرِّح فيه ببعض المركَّب الدال لا جميعه"[1]. "بل شبّه تمسك المتقين بالهدى باستعلاء الراكب على مركوبه، بقرينة التمكُّن في كلٍّ، والاستعارة واقعة في الحرف أولاً، ثم في متعلّق معناه، ثم سرت إلى الحرف نفسه بتبعيته، وبما أن الاستعارة في الحرف فهي تبعيَّة، ولإطلاق اسم المشبه به على المشبه فهي استعارة أصلية"[2].

٢- أن تكون الاستعارة تبعيَّة مقيَّدة: "بأن شبَّه التمسُّك بالهدى عند المتَّقين بالتمكُّن من الدابة للراكب، واكتسب الحرف (على) معنى التشبيه"[3].

٣- أن تكون استعارة تبعيَّة مفردة : "وهي كذلك؛ لأنه شبَّه تمسُّك المتقين بالهدى باستعلاء الراكب على مركوبه في التمكُّن والاستقرار، فاستعير الحرف الموضوع للاستعلاء (على) لما يماثله دلالة على التمكُّن، ومثاله: هو على الحق، وعلى الباطل"[4]. "ولذلك جعلها الطاهر بن عاشور أقل بلاغة من التمثيلية؛ لأنها لا تفيد إلا تشبيه التمكُّن بالاستعلاء على المقدَّر، ثم تستفاد المعاني الأخرى من التقييد"[5].

٤- أنها استعارة تمثيلية: لأن منزع تشبيه التمثيل فيها واضح؛ "فقد شبَّه مجموع هيئة المتقين في اتصافهم بالهدى بهيئة الراكب، فشبهت حالة بحالةٍ أخرى، وحذف لفظ المشبه به، وهو المرْكب الدال على الركوب، وتقديره: راكبين مطيَّة الهدى، ودلَّ بشيءٍ من لوازمه، وهو (على) الذي يدل على الركوب والتمكُّن والاستعلاء آخذين بناصيته، فأصبح لهم طريقًا عليه يسيرون" [6]. والله أعلم.

---

(١) انظر: مفاتيح الغيب، للإمام فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين البكري الرازي الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م. (٣٢/٢/١)، وروح المعاني (١٢٤/١)، والتحرير والتنوير (٢٤٢/١/١، ٢٤٣).

(٢) انظر: حاشية زاده على تفسير البيضاوي، لمحيي الدين شيخ زاده، دار صادر، بيروت. (١٠٢/١).

(٣) انظر: مقدمة تفسير ابن النقيب (ص ٨١).

(٤) انظر: إرشاد العقل السليم (٤٨/١)، وروح المعاني (١٢٤/١).

(٥) انظر: التحرير والتنوير (٢٤٤/١/١).

(٦) انظر: التحرير والتنوير (٢٤٥/١/١).

٥- استعارة مكنية مفردة: "فقد شبَّه الهدى بمركوب، وحرف الاستعلاء قرينة دالة على ذلك، حيث شبَّه الجهل والهوى بالمطيّة، وأثبت لهما ما يلزم المشبَّه به، وهو الامتطاء والغارب على سبيل التخييل، ورشح بذكر الاقتعاد الملائم للمشبه به، أي كونهم على الهدى بمعنى تمكنهم منه، واستقرارهم عليه، إنما يحصل باستفراغ الفكر، وإدامة النظر فيما نصب من الحجج؛ ليحصل كمال القوة النظريَّة، وبالمواظبة على محاسبة النفس في العمل ليحصل كمال القوَّة العمليَّة في كونهم على الهدى: تمكنهم بموجب الدليل؛ لأن الواجب على المتمسِّك بالدليل أن يدوم على ذلك، ويتحرس من المطاعن والشبه، فكأنه - سبحانه وتعالى - لما مدحهم بالإيمان بما أنزل إليهم أولاً، مدحهم بالإقامة على ذلك، والمواظبة على الحراسة من الشبه ثانيًا، وذلك واجب على الخلق؛ لأنه إذا كان مشددًا في الدين خائفًا وجلاً، فلا بد أن يحاسب نفسه في علمه وعمله، ويتأمل حاله، فإذا حرس نفسه بما فيها من الإخلال به، كان ممدوحًا بأنه على هدىً وبصيرة" (١).

وأرجِّح رأي من قال بأنها استعارة مكنية، بناءً على ما ورد من تعريفها في اصطلاح البلاغيين، مما أكسب المعنى قوةً ووضوحًا لأداء المعنى؛ فحذف المشبه به وهو المطيَّة، وإبقاء أخص لوازمه، وهو قوله سبحانه: (على) يدل على تمكُّن الراكب من الامتطاء، وقدرته على التحكُّم به، والبقاء على مركوبه، وهو ما ذكره محيي الدين زاده آنفًا، وكذلك فإن في حذف المشبَّه به على أي تقدير كان بلاغة في تقدير المعنى، لأنه قد تمتطى المركوبات، ولكن الراكب لا يستطيع الركوب والتحكُّم في المركوب، والإبقاء على ذلك.

وقرينة هذه الاستعارة تخييلية؛ مما يجعل صور المعاني تتداعى في الذهن وتتزاحم؛ حيث يتصور أن الهدى أصبح مما يمكن امتطاؤه، ومع هذا فقد حذف المشبه به وهو ما يمتطى، ثم جعل المشبه وهو الدين الإسلامي (الهدى) من قبيل الكائنات الحيَّة التي تمتطى، مما جعل للخيال دورًا في إثباته

---

(١) حاشية زاده (١٠٣/١)، وانظر: إرشاد العقل السليم (٤٨/١)، والتحرير والتنوير (٢٤٣/١/١).

وتصوُّر هيئته، وأن هؤلاء المتَّقين متمكنون منه، ثم ازداد الطريق وضوحًا بأن قال: هم المفلحون، فدلَّ على منتهى بلوغهم الغاية في مركوبهم.

"و سر التعبير بـ(على) دون غيرها: فيه دلالة الاستعلاء بالحق والهدى، وأيضًا الثبات على ذلك الحق وهديه واستقامته، ولكن التعبير بغيره من الأحرف مثل (في) فدلالته على الانغماس الذي يظهر في قوله –تعالى– عن الكافرين: ﴿فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾[1]، وقوله تعالى:﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلْكِتَـٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ﴾[2]. فدلَّت على الانغماس والانقماع في مهاوي الهلاك؛ لأنها في جانب الكفار وأهل الضلال، فالحرف (على) أفاد علو شأن أهل الحق، والحرف (في) دلَّ على تسفُّل أهل الكفر أسفل سافلين"[3].

أما بلاغة الاستعارة، "فإنها تأخذ بناصية المعنى، وتجعله مرتبطًا بما هو أقوى في ظهور الحجَّة، وأبين في بيان المراد؛ بحيث لا مجال للاختلاف عليه، والمحاجَّة دونه، لهذا كان للاستعارة هنا فضل على الحقيقة، وهذا هو أحد أغراضها"[4].

جهود الألوسي في الاستعارة:

لقد تناول الألوسي الاستعارة بشيء من التفصيل، وبمزيد من الإيضاح؛ وذلك لما تمثِّله الاستعارة في إبراز الصورة الفنية الرائعة التي تزخر بها الآيات القرآنية..

ففي تفسيره لقوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾[5]

(١) التوبة (٤٥).
(٢) الشورى (١٤).
(٣) انظر: حاشية زاده (٢٤٣/١/١).
(٤) انظر: كتاب الصناعتين (ص ٢٦٨).
(٥) مريم (٤).

يقول الألوسي :"شبَّه الشيب في البياض والإنارة بشواظ النار، وانتشاره في الشَّعر، ونشوّه فيه، وأخذه منه كل مأخذ باشتعالها، ثم أخرجه مخرج الاستعارة، ففي الكلام استعارتان: تصريحية تبعية في اشتعل، ومكنية في الشيب"[1].

".. وأصل الاشتعال للنار، وهو في هذا الموضع أبلغ، وحقيقته كثرة شيب الرأس، إلا أن الكثرة لما كانت تتزايد تزايدًا سريعًا صارت في الانتشار والإسراع كاشتعال النار.. وله موقع في البلاغة عجيب، وذلك أنَّه انتشر في الرأس انتشارًا لا يتلافى، كاشتعال النار.."[2].

يقول عبد القاهر معلِّقًا على هذه الآية، مبيِّنًا أنها تشمل كثيرًا من الصور البلاغية غير صورة الاستعارة :"إنَّك ترى الناس إذا ذكروا قوله تعالى (واشتعل الرأس شيبًا) لم يزيدوا فيه على ذكر الاستعارة، ولم ينسبوا الشرف إلاّ إليها، ولم يَرَوا للمزيَّة مُوجبًا سِواها، هكذا ترى الأَمر في ظاهر كلامهم، وليس الأمر على ذلك، ولا هذا الشَّرف العظيم، ولا هذه المزيَّة الجليلة، وهذه الرَّوعة التي تدخُلُ على النُّفوس عند هذا الكلام لمجرَّد الاستعارة، ولكن لأنه سُلِك بالكلام طريقُ ما يسندُ الفعلُ فيه إلى الشيء، وهو لِما هو من سبَبِه، فيُرفعُ به ما يسندُ إليه، ويؤتى بالذي الفعلُ له في المعنى منصوبًا بعده مبينًا أنَّ ذلك الإسناد وتلك النسبة إلى ذلك الأول إنما كان من أجل هذا الثاني، ولما بينه وبينه من الاتصال والملابسة، كقولهم: طاب زيدٌ نفسًا، وقرَّ عَمْرٌو عَيْنًا، وتَصبَّب عرقًا، وكَرُم أصلاً، وحسُن وجهًا، وأشباه ذلك مما تجد الفعل فيه منقولاً عن الشيء إلى ما ذلك الشيء من سببه، وذلك أنّا نعلم أنَّ اشتعل للشَّيب في المعنى وإنْ كان هو للرأس في اللفظ، كما أنَّ طاب للنفس، وقَرَّ للعين، وتصبَّب للعرق، وإنْ أُسند إلى ما أُسند إليه يُبيَّنُ أنَّ الشَّرف كان لأنْ سُلِكَ فيه هذا المسلك، وتُوُخِّيَ به هذا المذهب أنْ تَدَعَ هذا الطريق فيه، وتأخذ اللفظ

(١) روح المعاني (١٦/٦٠).

(٢) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن (النكت) (ص ٨٨).

فتُسنده إلى الشَّيب صريحًا، فتقول: اشتعل شيبُ الرأسِ، والشيبُ في الرأس، ثم تنظر هل تجد ذلك الحسن وتلك الفخامة، وهل ترى الرَّوعةَ التي كنت تراها؟!.. فإن قلتَ: فما السَّبب في أَنْ كان اشتعل إذا استعير للشَّيْب على هذا الوجه كان له الفضل، ولِمَ بانَ بالمزيَّة من الوجه الآخر هذه البينونة؟ فإنَّ السبب أنه يفيد مع لمعان الشيب في الرأس -الذي هو أصل المعنى- الشُّمولَ، وأنه قد شاع فيه وأخذه من نواحيه، وأنه قد استغرقه وعمَّ جملته حتى لم يبقَ من السَّواد شيءٌ، أو لم يبقَ منه إلاَّ ما لا يُعتدُّ به، وهذا ما لا يكون إذا قيل: اشتعل شيبُ الرأس، أو الشيبُ في الرأس؛ بل لا يُوجبُ اللفظ حينئذٍ أكثرَ من ظهوره فيه على الجملة.."[1].

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءً فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنًا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴾[2].

يقول الألوسي :"وفي الكلام استعارة تمثيلية، بأن شُبِّهت الحالة الحاصلة للمؤمنين من استظهارهم بأحد ما ذكر، ووثوقهم بحمايته، بالحالة الحاصلة من تمسُّك المتدلي من مكان رفيع بحبل وثيق، مأمون الانقطاع، من غير اعتبار مجاز في المفردات، واستعير ما يُستعمل في المشبَّه به من الألفاظ للمشبَّه.. وقد يكون في الكلام استعارتان مترادفتان؛ بأن يُستعار الحبل للعهد مثلا استعارة مصرَّحة أصليَّة، والقرينة الإضافة، ويُستعار الاعتصام للوثوق بالعهد والتمسك به على طريق الاستعارة المصرَّحة التبعية"[3]

---

(١) دلائل الإعجاز (ص ١٠٠).

(٢) آل عمران (١٠٣).

(٣) روح المعاني (١٩/٤).

وفي تفسيره لقوله تعالى : ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[1]

يقول الألوسي :"في العروة استعارة تصريحية، واستمسك ترشيح لها"[2].

"وهنا نجدنا أمام صورة حسيَّة لحقيقة شعوريَّة، ولحقيقة معنويَّة.. إنَّ الإيمان بالله عروة وثيقة لا تنفصم أبدًا، إنها متينة لا تنقطع، ولا يضلّ الممسكُ بها طريقَ النجاة، إنّها موصولة بمالك الهلاك والنجاة.. والإيمان في حقيقته اهتداء إلى الحقيقة الأولى التي تقوم بها سائر الحقائق في هذا الوجود، حقيقة الله، واهتداء إلى حقيقة الناموس الذي سنَّه الله لهذا الوجود، وقام به هذا الوجود. والذي يمسك بعروته يمضي على هدى إلى ربِّه؛ فلا يرتطم، ولا يتخلَّف، ولا تتفرَّق به السبل، ولا يذهب به الشرود والضلال[3].

وفي قوله تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾[4] يقول الألوسي :" وفي شهد مسندًا إلى الله تعالى استعارة تصريحية تبعية؛ لأن المراد أنه سبحانه دلَّ على وحدانيته، بل وسائر كمالاته بأفعاله الخاصة التي لا يقدر عليها غيره، وما نصبه من الدلائل التكوينية في الآفاق والأنفس، وبما أوحى من آياته الناطقة بذلك كسورة الإخلاص وآية الكرسي وغيرهما، فشبَّه سبحانه تلك الدلالة الواضحة بشهادة الشاهد في البيان والكشف، ثم استعير لفظ المشبَّه به للمشبَّه، ثم سَرَت الاستعارة من المصدر إلى الفعل"[5].

---

(١) البقرة (٢٥٦).

(٢) روح المعاني (١٤/٣).

(٣) في ظلال القرآن (٢٩٢/١).

(٤) آل عمران (١٨).

(٥) روح المعاني (١٠٤/٣).

وفي قولــه تعـــالى: ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝١٦ ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ﴾[1] يقـول الألوسـي :"أي لآتينهم من الجهات الأربع التي يعتاد هجوم العدو منها، والمراد لأسوِّلنَّ لهم، ولأضلنهم بقدر الإمكان، إلا أنه شبَّه حال تسويله ووسوسته لهم كذلك بحال إتيان العدو لمن يعاديه من أي جهة أمكنته، فالكلام من باب الاستعارة التمثيلية"[2].

وفي قولــه تعـــالى: ﴿ وَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكۡرٗا ۝٩٩ مَّنۡ أَعۡرَضَ عَنۡهُ فَإِنَّهُۥ يَحۡمِلُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وِزۡرًا ۝١٠٠ خَٰلِدِينَ فِيهِۖ وَسَآءَ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ حِمۡلٗا ﴾[3]. يقـول الألوسـي مبيِّنًـا الاسـتعارة ومُجريًـا لهـا :"أي يحمل عقوبة ثقيلة على إعراضه وسائر ذنوبه، والوزر في الأصل يطلق على معنيين: الحمل الثقيل، والإثم، وإطلاقه على العقوبة نظرًا إلى المعنى الأول على سبيل الاستعارة المصرَّحة، حيث شُبِّهت العقوبة بالحمل الثقيل، ثم استعير لها بقرينة ذكر يوم القيامة، (وساء لهم يوم القيامة حملا) ترشيح له"[4].

وفي قولـه تعـالى:﴿ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴾[5]. يقول الألوسي :"والنقض فسخ التركيب، وأصله يكون في الحبل، ونقيضه الإبرام، وفي الحائط ونحوه، ونقيضه البناء، وشاع استعمال النقض في إبطال العهد –كما قال الزمخشري- من حيث تسميتهم العهد بالحبل على سبيل الاستعارة؛ لما فيه من ثبات الوصلة بين المتعاهدين، وهذا من أسرار البلاغة ولطائفها أن يسكتوا عن ذكر الشيء المستعار، ثم يرمز بذكر شيء من روادفه، فينبهوا بتلك الرمزة على مكانه، نحو قولك: عالِم يغترف منه الناس، وشجاع يفترس أقرانه.

---

(١) الأعراف (١٦-١٧).

(٢) روح المعاني (٩٥/٨).

(٣) طه (٩٩-١٠١).

(٤) روح المعاني (٢٥٩/١٦).

(٥) البقرة (٢٧).

والحاصل أن في الآية استعارة بالكناية، والنقض استعارة تحقيقية تصريحية، حيث شبَّه إبطال العهد بإبطال تأليف الجسم، وأطلق اسم المشبَّه به على المشبَّه، لكنها إنما جازت وحسنت بعد اعتبار تشبيه العهد بالحبل، فبهذا الاعتبار صارت قرينة على استعارة الحبل للعهد"[١].

ويقول الألوسي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُواْ كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ﴾[٢].

"على سفر: أي مسافرين، ففيه استعارة تبعيَّة؛ حيث شبَّه تمكنهم في السفر بتمكُّن الراكب من مركوبه"[٣].

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[٤] يقول الألوسي :"وأصل الإحساس الإدراك بإحدى الحواس الخمس الظاهرة، وقد استعير هنا استعارة تبعيَّة للعلم بلا شبهة"[٥].

ويقول الألوسي في تفسيره لقوله تعالى : ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلاً عَظِيمًا﴾[٦] "يعني الفسقة؛ لأنهم يدورون مع شهوات أنفسهم من غير تحاشٍ عنها، فكأنهم بانهماكهم فيها أمرتهم الشهوات باتباعها؛ فامتثلوا أمرها واتبعوها، فهنا استعارة تمثيلية"[٧].

---

(١) روح المعاني (٢١٠/١).

(٢) البقرة (٢٨٣).

(٣) روح المعاني (٦٢/٣).

(٤) آل عمران (٥٢).

(٥) روح المعاني (١٧٤/٣).

(٦) النساء (٢٧).

(٧) روح المعاني (١٤/٥).

ويقول الألوسي عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾[١] "في قوله تعالى (أقرضتم) استعارة؛ لأنه – سبحانه– لما وعد بجزائه والثواب عليه شبّه بالقرض الذي يقضى بمثله، وفي كلام العرب قديمًا: (الصالحات قروض)، فالاستعارة تصريحية تبعية"[٢].

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَاۚ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾[٣]يقول الألوسي: (أفرغ علينا صبرًا) أي أفض علينا صبرًا يغمرنا كما يفرغ الماء، أو صب علينا ما يطهرنا من الآثام، وهو الصبر على وعيد فرعون، فأفرغ على الأول استعارة تبعيَّة تصريحية، و صبرًا قرينتها، والمراد هب لنا صبرًا تامًا كثيرًا، وعلى الثاني يكون صبرًا استعارة أصليَّة مكنية، وأفرغ تخييلية"[٤] .

وقد تناول الألوسي الاستعارة المكنية بشيء من التفصيل، وذلك عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالاً وَلَأَوْضَعُواْ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾[٥].

حيث قال :"الإيضاع سير الإبل، يقال أوضعت الناقة تضع إذا أسرعتْ، وأوضعتُها أنا إذا حملتها على الإسراع، والخلال جمع خلل وهو الفرجة[٦] استعمل ظرفًا بمعنى بين، ومفعول الإيضاع مقدَّر أي النمائم بقرينة السياق، وفي الكلام استعارة مكنية؛ حيث شُبِّهت النمائم بالركائب في

---

(١) المائدة (١٢).

(٢) روح المعاني (٨٨/٦).

(٣) الأعراف (١٢٦).

(٤) روح المعاني (٢٨/٩).

(٥) التوبة (٤٧).

(٦) انظر لسان العرب (٣٢٧/١٥) مادة وضع، و(١٩٩/٤) مادة خلل.

جريانها وانتقالها، وأثبت لها الإيضاع على سبيل التخييل، والمعنى ولسعوا بينكم بالنميمة، وإفساد ذات البين"[(١)].

كما تناول الألوسي الاستعارة في تفسيره لقول الحق ﷻ: ﴿فَٱتَّبَعُوٓاْ أَمۡرَ فِرۡعَوۡنَۖ وَمَآ أَمۡرُ فِرۡعَوۡنَ بِرَشِيدٖ ۝٩٧ يَقۡدُمُ قَوۡمَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَأَوۡرَدَهُمُ ٱلنَّارَۖ وَبِئۡسَ ٱلۡوِرۡدُ ٱلۡمَوۡرُودُ﴾[(٢)].

فقال :" وهي استعارة مكنية تهكميَّة للضد وهو الماء، وفي قرينتها احتمالات كما شاع في ينقضون عهد الله، وعلى احتمال المجاز يكون الإيراد مستعارًا استعارة تبعيَّة لسوقهم إلى النار، ويجوز أن يقال: إنه شبَّه فرعون بالفارط، وهو الذي يتقدَّم القوم للماء[(٣)] ففيه استعارة مكنية، وجعل أتباعه واردة، وإثبات الورود لهم تخييل"[(٤)] .

ويقول الألوسي في تفسيره لقوله تعالى :﴿ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنكُم بِرَبِّهِمۡ يُشۡرِكُونَ ۝٥٤ لِيَكۡفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡۚ فَتَمَتَّعُواْۖ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ﴾[(٥)].

" فالكفر بمعنى كفران النعمة، واللام لام العاقبة والصيرورة، وهي استعارة تبعيَّة؛ فإنه لما لم ينتج كفرهم وإشراكهم غير كفران ما أنعم الله تعالى به عليهم جعل كأنه علَّة غائبة له، مقصودة منه"[(٦)].

وفي تفسيره لقوله تعالى:﴿فَمَا زَالَت تِّلۡكَ دَعۡوَىٰهُمۡ حَتَّىٰ جَعَلۡنَٰهُمۡ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ﴾[(٧)].
قال الألوسي :"أي إلى أن جعلناهم بمنزلة النبات المحصود، والنار الخامدة في الهلاك، وفي ذلك

(١) روح المعاني (١١٢/١٠).
(٢) هود (٩٧-٩٨).
(٣) لسان العرب (٢٣٤/١٠) مادة فرط.
(٤) روح المعاني (١٣٤/١٢).
(٥) النحل (٥٤-٥٥).
(٦) روح المعاني (١٦٦/١٤).
(٧) الأنبياء (١٥).

استعارتان بلفظ واحد، وهو ضمير جعلناهم؛ حيث شبه بالنبات وبالنار، وأفرد بالذكر، وأريد به المشبَّه بهما، أعني النبات والنار ادعاء بقرينة أنه نسب إليه الحصاد الذي هو من خواص النبات، والخمود الذي هو من خواص النار، ولا يجعل من باب التشبيه مثل هم (صم بكم عمي)؛ لأن جمع خامدين جمع العقلاء ينافي التشبيه، إذ ليس لنا قوم خامدون يعتبر تشبيه أهل القرية بهم، إذ الخمود من خواص النار، بخلاف الصمم مثلا، فإنه يجعل بمنزلة هم كقولهم صم، وكذا يعتبر حصيدًا بمعنى محصودين على استواء الجمع والواحد في فعيل بمعنى مفعول، ولكن يجوز تشبيه هلاك القوم بقطع النبات وخمود النار، فيكون استعارة تصريحية تبعيَّة في الوصفين"[1].

كما تناول الألوسي الاستعارة في تفسيره لقوله ﷻ: ﴿هَـٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتۡ لَهُمۡ ثِيَابٞ مِّن نَّارٖ يُصَبُّ مِن فَوۡقِ رُءُوسِهِمُ ٱلۡحَمِيمُ﴾[2]. حيث قال :"أي أهدي لهم ذلك، وكأنه شبَّه إعداد النار المحيطة بهم بتقطيع ثياب وتفصيلها لهم على قدر جثثهم، ففي الكلام استعارة تمثيلية تهكميَّة، وليس هناك تقطيع ولا ثياب حقيقة، وكأن جمع الثياب للإيذان بتراكم النار المحيطة بهم، وكون بعضها فوق بعض"[3].

ويقول الألوسي في تفسير قوله تعالى: ﴿بَلۡ كَذَّبُواْ بِٱلسَّاعَةِۖ وَأَعۡتَدۡنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ۝١١ إِذَا رَأَتۡهُم مِّن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ سَمِعُواْ لَهَا تَغَيُّظٗا وَزَفِيرٗا﴾[4] "وهذا على تشبيه صوت غليانها بصوت المغتاظ وزفيره، وفيه استعارة تصريحية أو مكنية، فتصريحية في تشبيه صوت السعير بصوت المغتاظ وزفيره، واستعير اللفظ الدال على المشبَّه به إلى المشبَّه على سبيل الاستعارة التصريحية. أما

---

(١) روح المعاني (١٧/١٧).

(٢) الحج (١٩).

(٣) روح المعاني (١٣٤/١٧).

(٤) الفرقان (١١-١٢).

المكنية فشُبِّهت السعير بشخص مغتاظ، وحُذِف المشبَّه به، ورُمِز إليه بشيء من لوازمه، وهو التغيُّظ"[(١)].

ومن جهود الألوسي في الاستعارة تناوله لها في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ﴾[(٢)].

حيث يقول :"وأصل السلخ كشط الجلد على نحو الشاة، فاستعير لكشف الضوء عن مكان الليل وملقى ظلمته وظله استعارة تبعية مصرَّحة، والجامع ما يعقل من ترتب أمر على آخر، فإنه يترتَّب ظهور اللحم على كشط الجلد، وظهور الظلمة على كشف الضوء عن مكان الليل"[(٣)].

كما تناول الألوسي الاستعارة التصريحية في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[(٤)]. فقال: "وفيه استعارة مصرَّحة بتشبيه العقل بالحياة، وفيه أيضًا استعارة مصرَّحة؛ لتشبيه الإيمان بالحياة"[(٥)].

وعند تفسيره لقوله تعالى:﴿وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[(٦)]. يقول الألوسي: "شبَّه ما استحقوه بأعمالهم الحسنة من الجنَّة ونعيمها الباقي لهم بما يخلفه المرء لوارثه من الأملاك والأرزاق، ويلزمه تشبيه العمل نفسه بالمورِّث (اسم فاعل)، فاستعير الميراث لما استحقُّوه، ثم اشتق أورثتموها، فيكون هناك استعارة تبعيَّة"[(٧)].

---

(١) انظر روح المعاني (١٨/٢٤٣).

(٢) يس (٣٧).

(٣) روح المعاني (٢٣/١٠).

(٤) يس (٧٠).

(٥) روح المعاني (٢٣/٤٩).

(٦) الزخرف (٧٢).

(٧) روح المعاني (٢٥/١٠١).

ويقول الألوسي عند تفسير قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمۡ فَشُدُّواْ ٱلۡوَثَاقَ فَإِمَّا مَنَّۢا بَعۡدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلۡحَرۡبُ أَوۡزَارَهَا﴾(١). "(أوزارها) أي آلاتها وأثقالها من السلاح وغيره. قال الأعشى:

وأعددت للحرب أوزارها ... رماحًا طوالاً وخيلاً ذكورا

ومن نسج داود موضونة ... تساق مع الحيّ عيرًا فعيرا [2]

وهي في الأصل الأحمال، فاستعيرت لما ذُكِر استعارة تصريحية، ويجوز أن يكون في الحرب استعارة مكنية، بأن تُشبَّه بإنسان يحمل حملاً على رأسه، أو ظهره، ويثبت لها ما أُثبِت تخييلاً"(٣).

وفي تفسيره لقوله تعالى:﴿إِذَآ أُلۡقُواْ فِيهَا سَمِعُواْ لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلۡغَيۡظِ﴾(٤) يقول الألوسي :"أي في جهنم: أي سمعوا كائنًا لها شهيقًا، أي صوتًا كصوت الحمير، وهو حسيسها المنكر الفظيع، ففي ذلك استعارة تصريحية"(٥).

يقول الرماني :"وفي قوله تعالى (سمعوا لها شهيقًا).. شهيقًا حقيقته صوتًا فظيعًا كشهيق الباكي، والاستعارة أبلغ منه، وأوجز، والمعنى الجامع بينهما قبح الصوت.. وقوله:"تميز من الغيظ" حقيقته: من شدَّة الغليان بالاتِّقاد، والاستعارة أبلغ منه، لأنَّ مقدار شدَّة الغيظ على النفس محسوس، مُدرك مدى ما يدعو إليه من شدَّة الانتقام، فقد اجتمع شدَّة في النفس تدعو إلى شدَّة انتقام في الفعل، وفي ذاك أعظم الزجر، وأكبر الوعظ، وأدلّ دليل على سَعة القدرة وموقع الحكمة.."(٦).

---

(١) محمد (٤).

[2]) ديوان الأعشى، شرح: إبراهيم جزيني. (ص ٩٠).

(٣) روح المعاني (٤١/٢٦).

(٤) الملك (٧).

(٥) روح المعاني (١٠/٢٩).

(٦) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن (النكت) (ص ٨٧).

ويقول الألوسي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَٱلۡتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرۡعَوۡنَ لِيَكُونَ لَهُمۡ عَدُوّٗا وَحَزَنًاۗ إِنَّ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُواْ خَٰطِـِٔينَ﴾[1].

"(ليكون لهم عدوًّا وحزَنًا) فيه استعارة تهكمية ضرورة أنه لم يدعهم للالتقاط أن يكون لهم عدوًّا وحزنًا، وإنما دعاهم شيءٌ آخر كالتبني، ونفعه إياهم إذا كبر، وفي تحقيق ذلك أقوال، الأول: أن يشبَّه كونه عدوًّا وحزنًا بالعلة الغائبة كالتبني والنفع تشبيهًا مضمرًا في النفس، ولم يصرَّح بغير المشبَّه، ويدل على ذلك بذكر ما يخص المشبَّه به، وهو لام التعليل، فيكون هناك استعارة مكنيَّة أصليَّة في المجرور، واللام على حقيقتها.

الثاني: أن يشبَّه أولاً ترتُّب غير العلة الغائية بترتُّب العلة الغائية؛ أي يعتبر التشبيه بين الترتبين الكليين ليسري في جزئياتهما، فيتحقق تبعًا تشبيه ترتب كونه عدوًّا وحزنًا، أعني الترتب المخصوص على الالتقاط، بترتب التبني ونحوه مما هو علَّة غائبة، أعني الترتب المخصوص أيضًا عليه، ثم يستعمل في المشبَّه اللام الموضوعة للدلالة على ترتب العلة الغائية الذي هو المشبَّه به، فتكون الاستعارة أولاً في العلية والغرضية، وتبعًا في اللام، فصار حكم اللام حكم الأسد، حيث استعيرت لما يشبه العلة، كما استعير الأسد لما يشبه الأسد، بيد أن الاستعارة هاهنا مكنية تبعية.

الثالث: ما أفاده كلام الخطيب في التلخيص والإيضاح، وهو أن يقدَّر التشبيه أولاً لكونه عدوًّا وحزنًا بالعلة الغائية، ثم يسري ذلك التشبيه إلى تشبيه ترتبه بترتُّب العلة الغائية، فتستعار اللام الموضوعة لترتُّب العلة الغائية لترتُّب كونه عدوًّا وحزنًا من غير استعارة في المجرور، وهذا التشبيه كتشبيه الربيع بالقادر المختار، ثم إسناد الإنبات إليه.."[2].

(١) القصص (٨)

(٢) روح المعاني (٢٠/٤٧).

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُواْ يَـٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾[(١)].

يقول الألوسي:"أي يحملون ذنوبهم وخطاياهم، وذكر الظهور؛ لأن المعتاد الأغلب الحمل عليها، كما في كسبت أيديكم، فإن الكسب في الأكثر بالأيدي، وفي ذلك أيضًا إشارة إلى مزيد ثقل المحمول.. وجعل الذنوب والآثام محمولة على الظهر من باب الاستعارة التمثيلية، والمراد بيان سوء حالهم، وشدَّة ما يجدونه من المشقَّة والآلام والعقوبات العظيمة بسبب الذنوب.."[(٢)].

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَـٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ﴾[(٣)].

يقول الألوسي :"(وعنده مفاتح الغيب) أي مفاتيحه كما قرئ به، فهو جمع مِفتح بكسر الميم[(٤)]، وهو كمفتاح آلة الفتح، وقيل إنه جمع مفتاح كما قيل في جمع محراب محارب، والكلام على الاستعارة، حيث شبَّه الغيب بالأشياء المستوثَق منها بالأقفال، وأثبت له المفاتيح تخييلاً، وهي باقية على معناها الحقيقي، ويجوز أن تكون هناك استعارة مصرحة تحقيقية، بأن يستعار العلم للمفاتح، وتجعل القرينة الإضافة إلى الغيب"[(٥)].

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ ۖ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴾[(٦)].

---

(١) الأنعام (٣١).

(٢) روح المعاني (١٣٢/٧).

(٣) الأنعام (٥٩).

(٤) لسان العرب (١٧٠/١٠)، (مادة فتح).

(٥) روح المعاني (١٧٠/٧).

(٦) الكهف (٧٧).

يقول الألوسي :"والمراد من إرادة السقوط قربه على سبيل الاستعارة، بأن يشبَّه قرب السقوط بالإرادة؛ لما فيهما من الميل، ويجوز أن يعتبر في الكلام استعارة مكنيَّة، وتخييلية، وقد كثر في كلامهم إسناد ما يكون من أفعال العقلاء إلى غيرهم، ومن ذلك قوله:

يريد الرمح صدر أبي براء ويعدل عن دماء بني عقيل[1]

وفي تفسيره لقوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلاً بَشِّرِ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾[2].

يقول أبو الثناء الألوسي :"ووضع فيه بشِّر موضع أنذر تهكُّمًا بهم، ففي الكلام استعارة تهكُّمية.." [3].

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾[4].

يقول الألوسي :" (فقد حرم الله عليه الجنة)، والمراد يُمنع من دخولها كما يُمنع المحرَّم عليه من المحرَّم، فالتحريم استعارة تبعية للمنع، إذ لا تكليف ثمة، وإظهار الاسم الجليل في موقع الإضمار لتهويل الآمر وتربية المهابة"[5].

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[1].

---

(١) روح المعاني (٦/١٦) "لم أقف له على قائل".

(٢) النساء (١٣٧-١٣٨).

(٣) روح المعاني (١٧١/٥)

(٤) المائدة (٧٢).

(٥) روح المعاني (٢٠٧/٦).

يقول الألوسي :"(يتوفاكم بالليل) أي ينيمكم فيه، ففيه استعارة تبعية، حيث استعير التوفي من الموت للنوم؛ لما بينهما من المشاركة في زوال إحساس الحواس الظاهرة والتمييز –قيل والباطنة أيضًا– وأصله قبض الشيء بتمامه، ويقال توفيت الشيء واستوفيته"(٢).

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿ٱشْتَرَوْا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾(٣).

يقول الألوسي :"والمراد بالاشتراء الاستبدال، وفي الكلام استعارة تبعية تصريحية، ويتبعها مكنية، حيث شبِّهت الآيات بالشيء المبتاع"(٤).

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾(٥).

يقول الألوسي: "إطفاء النار على ما في القاموس(٦) إذهاب لهبها الموجب لإذهاب نورها، لا إذهاب نورها على ما قيل، لكن لما كان الغرض من إطفاء نار –لا يراد بها إلا النور كالمصباح– إذهاب نورها، جعل إطفاؤها عبارة عنه، ثم شاع ذلك حتى كان عبارة عن مطلق إذهاب النور، وإن كان لغير النار، والمراد بنور الله حجَّته تعالى النيرة المشرقة الدالة على وحدانيته وتنزهه سبحانه عن الشركاء والأولاد، أو القرآن العظيم الصادع الصادح بذلك، وقيل نبوَّته عليه الصلاة والسلام التي ظهرت بعد أن استطال دجا الكفر صبحًا منيرًا.. وأيًّا ما كان فالنور استعارة أصلية تصريحية لما ذُكِر، وإضافته إلى الله تعالى قرينة، والمراد من الإطفاء الرد..

---

(١) الأنعام (٦٠).
(٢) روح المعاني (١٧٣/٧).
(٣) التوبة (٩)
(٤) روح المعاني (٥٦/١٠).
(٥) التوبة (٣٢).
(٦) انظر القاموس المحيط (٥٧/١).

ويجوز أن يكون في الكلام استعارة تمثيلية؛ بأن يشبَّه حالهم في محاولة إبطال نبوته صلى الله تعالى عليه وسلم بالتكذيب، بحال من يريد أن ينفخ في نور عظيم منبث في الآفاق، ويكون قوله تعالى (ويأبى الله إلا أن يتمّ نوره) ترشيحًا للاستعارة؛ لأن إتمام النور زيادة في استنارته وفشو ضوئه، فهو تفريع على المشبَّه به.." [(١)].

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَـٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴾[(٢)].

يقول الألوسي :"وأصلُ الدمغِ كسرُ الشيءِ الرخو الأجوف، وقد استعير للمحق..

وجوز أن يكون هناك تمثيل -لغلبة الحق على الباطل حتى يذهبه- برمي جرم صلب على رأس دماغه رخو ليشقه، وفيه إيماء إلى علو الحق وتسفّل الباطل، وأن جانب الأول باقٍ، والثاني فانٍ، وجوز أيضًا أن يكون استعارة مكنية بتشبيه الحق بشيء صلب يجيء من مكان عالٍ، والباطل بجرم رخو أجوف سافل، ولعل القول بالتمثيل أمثل.." [(٣)].

قال الرماني :".. القذف والدمغ هنا مستعار وهو أبلغ، وحقيقته: بل نورد الحق على الباطل فيُذهبه، وإنما كانت الاستعارة أبلغ؛ لأن في القذف دليلاً على القهر، لأنك إذا قلت: قذف به إليه، فإنما معناه ألقاه إليه على جهة الإكراه والقهر، فالحق يُلقى على الباطل فيزيله على جهة القهر والاضطرار، لا على جهة الشك والارتياب، ويدمغه أبلغ من يذهبه؛ لما في يدمغه من التأثير فيه، فهو أظهر في النكاية، وأعلى في تأثير القوّة..".[(٤)]

---

(١) روح المعاني (١٠/٨٥).

(٢) الأنبياء (١٨).

(٣) روح المعاني (١٧/٢٠).

(٤) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن (النكت) (ص ٨٩).

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾[1].

يقول الألوسي :"(يا ويلتنا) نداء لهلكتهم التي هلكوها من بين الهلكات، فإن الويلة – كالويل– الهلاك، ونداؤها على تشبيهها بشخص يطلب إقباله، كأنه قيل: يا هلاك أقبل فهذا أوانك، ففيه استعارة مكنية تخييلية، وفيه تقريع لهم وإشارة إلى أنه لا صاحب لهم غير الهلاك"[2].

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴾[3].

يقول الألوسي :"وعبَّر عن الخرور بالإلقاء لأنه ذُكِر مع الإلقاءات، فسلك به طريق المشاكلة، وفيه أيضًا مع مراعاة المشاكلة أنهم حين رأوا ما رأوا لم يتمالكوا أن رموا بأنفسهم إلى الأرض ساجدين كأنهم أُخِذوا فطُرِحوا طرحًا، فهنالك استعارة تبعية زادت حسنها المشاكلة"[4].

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾[5].

---

(١) الكهف (٤٩).

(٢) روح المعاني (١٥/٢٩١).

(٣) الشعراء (٤٥-٤٦).

(٤) روح المعاني (١٩/٧٨).

(٥) الزمر (٣٩-٤٠).

يقول الألوسي: "(قل يا قوم اعملوا على مكانتكم) أي على حالتكم التي أنتم عليها من العداوة التي تمكنتم فيها، فإن المكانة نُقِلت من المكان المحسوس إلى الحالة التي عليها الشخص، واستعيرت لها استعارة محسوس لمعقول"(١).

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَـٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾(٢).

يقول الألوسي :"في الكلام استعارة تمثيلية، حيث شُبِّه حال جدوبة الأرض وخلوها عن النبات، ثم إحياء الله تعالى إياها بالمطر، وانقلابها من الجدوبة إلى الخصب، وإنبات كل زوج بهيج، بحال شخص كئيب، كاسف البال، رثّ الهيئة، لا يؤبه به إذا أصابه شيء من متاع الدنيا وزينتها، تكلّف بأنواع الزينة والزخارف، فيختال في مشيه زهوًا، فيهتز بالأعطاف خيلاءً وكبرًا، فحذف المشبَّه، واستعمل الخشوع والاهتزاز دلالة على مكانه، ورجَّح اعتبار التمثيل"(٣).

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ ۖ وَأَوْرَثْنَـٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ﴾(٤).

يقول الألوسي: "(فما بكت عليهم السماء والأرض) مجاز عن عدم الاكتراث بهلاكهم، والاعتداد بوجودهم، وهو استعارة تمثيلية تخييلية، شبّه حال موتهم -لشدَّته وعظمته- بحال من تبكي عليه السماء والأجرام العظام، وأثبت له ذلك، والنفي للإثبات في التجوُّز.. وقد تكون هناك استعارة مكنية تخييلية، بأن شبَّه السماء والأرض بالإنسان، وأسند إليهما البكاء.. وقد كثر في التعظيم لمهلك الشخص بكت عليه السماء والأرض، وبكته الريح ونحو ذلك.. قال النابغة:

---

(١) روح المعاني (٦/٢٤).

(٢) فصلت (٣٩).

(٣) روح المعاني (١٢٦/٢٤).

(٤) الدخان (٢٨-٢٩).

بكى حارث الجولان من فقد ربِّه وحورانُ منه مُوحِشٌ متضائلٌ[1]

أراد بهما مكانين معروفين.

وقال جرير:

لما أتى خبرُ الزبير تواضعتْ سُورُ المدينة والجبالُ الخشَّعُ". [2][3]

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴾[4]

يقول الألوسي :"(الريح العقيم) الشديد التي لا تلقح شيئًا، وفي لفظ: هي ريح لا بركة فيها ولا منفعة، ولا ينزل منها غيث، ولا يلقح بها شجر..كأنه شبَّه عدم تضمن المنفعة بعقم المرأة (فعيل بمعنى فاعل من اللازم)، وقال بعضهم: سُميت عقيمًا؛ لأنها أهلكتهم وقطعت دابرهم، على أن هناك استعارة تبعية، شبَّه إهلاكهم وقطع دابرهم بعقم النساء وعدم حملهن؛ لما فيه من إذهاب النسل، ثم أطلق المشبَّه به على المشبَّه، واشتقَّ منه العقيم.." [5].

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ﴾[6].

يقول الألوسي :"(منهمر) أي منصَب، وقيل كثير، قال الشاعر:

أعيناي جودا بالدموع الهوامر على خير بادٍ من معدٍّ وحاضر

---

(١) ديوان النابغة الذبياني (ص ١٥٦).
(٢) ديوان جرير (ص ٢٥٩).
(٣) روح المعاني (١٢٤/٢٥). .
(٤) الذاريات (٤١).
(٥) روح المعاني (١٦/١٥/٢٧).
(٦) القمر (١١).

وفي الكلام استعارة تمثيلية بتشبيه تدفُّق المطر من السحاب بانصباب أنهار انفتحت بها أبواب السماء، وانشقَّ أديم الخضراء، وهو الذي ذهب إليه الجمهور، وذهب قوم إلى أنَّه على حقيقته.. "[(١)].

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ وَأَطۡهَرُۚ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾[(٢)].

يقول الألوسي: "أي إذا أردتم المناجاة معه عليه الصلاة والسلام لأمر ما من الأمور فقدموا بين يدي نجواكم صدقة، أي فتصدَّقوا قبلها، وفي الكلام استعارة تمثيلية، وأصل التركيب يستعمل في مَنْ له يدان.. أو مكنية بتشبيه النجوى بالإنسان، وإثبات اليدين تخييل، وفي بين ترشيح، ومعناه قبل.."[(٣)].

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا﴾[(٤)].

يقول الألوسي :"أي أنشأكم منها، فاستعير الإنبات للإنشاء؛ لكونه أدلّ على الحدوث والتكون من الأرض، لكونه محسوسًا، ففي الكلام استعارة مصرّحة تبعية.."[(٥)].

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[(٦)]

---

(١) روح المعاني (٨١/٢٧). "لم أقف على قائل للبيت".

(٢) المجادلة (١٢).

(٣) روح المعاني (٣٠/٢٨).

(٤) نوح (١٧).

(٥) روح المعاني (٧٥/٢٩).

(٦) هود (٤٤).

يقول الألوسي :"قيل يا أرض ابلعي، ويا سماء أقلعي، دون أن يقال ابلعي يا أرض، واقلعي يا سماء؛ جريًا على مقتضى اللازم في مَنْ كان مأمورًا حقيقة من تقديم التنبيه ليتمكن الأمر الوارد عقيبه في نفس المنادى، قصدًا بذلك لمعنى الترشيح للاستعارة المكنية في الأرض والسماء.." [(١)].

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ ۖ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴾[(٢)] .

يقول الألوسي :"وأصل السكوت قطع الكلام، وفي الكلام استعارة مكنية، حيث شبّه الغضب بشخص ناه آمر، وأثبت له السكوت على طريق التخييل، وقال السكاكي: إن فيه استعارة تبعية، حيث شبّه سكون الغضب، وذهاب حدَّته بسكون الآمر الناهي، والغضب قرينتها، وقيل الغضب استعارة بالكناية عن الشخص الناطق، والسكوت استعارة تصريحية لسكون هيجانه وغليانه، فيكون في الكلام استعارة مكنية قرينتها تصريحية لا تخييلية.. وإيًّا ما كان ففي الكلام مبالغة وبلاغة لا يخفى علو شأنهما"[(٣)].

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَـٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾[(٤)].

قال الألوسي :"(وأنزلنا إليكم نورًا مبينًا) قيل المراد به الحق، فقد جاء استعارة النور له كاستعارة الظلمة للباطل في قوله سبحانه: "الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى

---

(١) روح المعاني (١٢/٦٦).

(٢) الأعراف (١٥٤).

(٣) روح المعاني (٩/٧١).

(٤) النساء (١٧٤).

النور"، أي من أنوار الباطل إلى الحق، ووجه الشبه الظهور، ومن أمثالهم: الحق أبلج.. ويكفي ذلك في جواز الاستعارة"[1]..

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ﴾[2].

يقول الألوسي :"والمقصد تصوير خسارتهم -بفوت الفوائد المترتبة على الهدى التي هي كالربح، وإضاعة الهدى الذي هو كرأس المال- بصورة خسارة التاجر الفائت للربح، المضيع لرأس المال، حتى كأنه هو، على سبيل الاستعارة التمثيلية، مبالغة في تخسيرهم ووقوعهم في أشنع الخسار الذي يتحاشى عنه أولو الأبصار، وإسناد الربح إلى التجارة وهو لأربابها مجاز للملابسة.." [3].

وفي تفسيره لقوله تعالى : ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾[4].

يقول الألوسي :"وفي الكلام استعارة تمثيلية، حيث مُثِّلت حال هؤلاء الكفرة وحال أعمالهم التي عملوها في كفرهم، بحال قوم خالفوا سلطانهم، واستعصوا عليه، فقدم إلى أشيائهم، وقصد إلى ما تحت أيديهم فأفسدها، وجعلها شذر مذر، ولم يترك لها من عين ولا أثر.. واللفظ المستعار وقع فيه استعمال قَدِم بمعنى عَمِد وقَصَد؛ لاشتهاره فيه"[5].

يقول الرماني :"حقيقة قدمنا هنا عمدْنَا، وقدمنا أبلغ منه؛ لأنه يدل على أنه عاملهم معاملة القادم من سفر، لأنه (عاملهم) من أجل إمهاله لهم كمعاملة الغائب عنهم، ثم قَدِم فرآهم على خلاف ما أمرهم. وفي هذا تحذير من الاغترار بالإمهال، والمعنى الذي يجمعهما العدل، لأن العمد

---

(١) روح المعاني (١٦٥/١٨)

(٢) البقرة (١٦).

(٣) روح المعاني (١٦٢/١).

(٤) الفرقان (٢٣).

(٥) روح المعاني (٧/١٩).

إلى إبطال الفاسد عدل، والقدوم أبلغ لما بيَّنا. وأما هباءً منثورًا فبيان قد أخرج ما لا تقع عليه الحاسَّة إلى ما تقع عليه الحاسَّة.." [1].

"وهكذا في لحظة والخيال يتبع حركة القدوم المجسّمة المتخيّلة على طريقة القرآن في التجسيم والتخييل، وعملية الإثارة للأعمال، والتذرية في الهواء، فإذا كلّ ما عملوا في الدنيا من عملٍ صالحٍ هباء.." [2] .

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾[3].

قال أبو الثناء الألوسي :"في الكلام استعارة مكنية وتخييلية، بأن يُشبه الذل بطائر منحطٍّ من علو تشبيهًا مضمرًا، ويُثبت له الجناح تخييلاً، والخفض ترشيحًا، فإن الطائر إذا أراد الطيران والعلو نشر جناحيه ورفعهما ليرتفع، فإذا ترك ذلك خفضهما، وأيضًا هو إذا رأى جارحًا يخافه لصق بالأرض، وألصق جناحيه، وهي غاية خوفه وتذلله.." [4].

وبهذا يتبيَّن لنا الدور الذي تلعبه الاستعارة في بيان الصورة البلاغية، وهذا ما أكَّد عليه عبد القاهر بقوله :" اعلم أنَّ الاستعارة أمدّ ميدانًا، وأشدَّ افتنانًا، وأكثر جريانًا، وأعجب حسنًا وإحسانًا، وأوسع سَعة، وأبعد غورًا، وأذهب نجدًا في الصناعة وغورًا من أن تجمع شعبها وشعوبها، وتحصر فنونها وضروبها، نعم وأسحر سحرًا وأملأ بكل ما يملأ صدرًا، ويمتع عقلاً، ويؤنس نفسًا، ويوفر إنسًا، وأهدى إلى أن تهدي إليك عذارى قد تخيّر لها الجمال، وعنى بها الكمال، وأن تخرج لك من بحرها جواهرَ إن باهتها الجواهر مدَّت في الشرف والفصيلة باعًا لا يقصر، وأبدت من

---

(١) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن (النكت) (ص ٨٦).

(٢) في ظلال القرآن (٢٥٥٨/٥).

(٣) الإسراء (٢٤).

(٤) روح المعاني (٦٥/١٥).

الأوصاف الجليلة محاسن لا تنكر، وردَّت تلك بصفرة الخجل، ووكلتها إلى نسبتها من الحجر، وأن تثير من معدتها تبرًا لم ترَ مثله، ثم تصوغ فيها صياغات تعطل الحلي وتريك الحلي الحقيقي، وأن تأتيك على الجملة بعقائل يأنس إليها الدين والدنيا، وشرائف لها من الشرف الرتبة العليا، وهي أجلّ من أن تأتي الصفة على حقيقة حالها، وتستوفي جملة جمالها، ومن الفضيلة الجامعة فيها أنها تبرز هذا البيان أبدًا في صورة مستجدة، تزيد قدره نبلاً، وتوجب له بعد الفضل فضلاً، وإنك لتجد اللفظة الواحدة قد اكتسبت فيها فوائد حتى تراها مكرّرة في مواضع، ولها في كل واحد من تلك المواضع شأن مفرد، وشرف منفرد، وفضيلة مرموقة، وخلابة مرموقة.. ومن خصائصها التي تذكر بها –وهي عنوان مناقبها– أنها تعطيك الكثير من المعاني باليسير من اللفظ، حتى تخرج من الصدفة الواحدة عدّة من الدرر، وتجني من الغصن الواحد أنواعًا من الثمر..

وإذا تأملت أقسام الصنعة التي بها يكون الكلام في حد البلاغة، ومعها يستحق وصف البراعة، وجدتها تفتقر إلى أن تعيرها حلاها، وتقصر عن أن تنازعها مداها، وصادفتها نجومًا هي بدرها، وروضًا هي زهرها، وعرائس ما لم تعرها حليها فهي عواطل، وكواعب ما لم تحسنها فليس لها في الحسن حظ كامل، فإنك لترى بها الجماد حيًّا ناطقًا، والأعجم فصيحًا، والأجسام الخرس مبينة، والمعاني الخفيَّة بادية جليَّة، وإذا نظرت في أمر المقاييس وجدتها ولا ناصر لها أعز منها، ولا رونق لها ما لم تزنها، وتجد التشبيهات على الجملة غير معجبة ما لم تكنها.. إن شئت أرتك المعاني اللطيفة التي هي من خبايا العقل كأنها قد جسّمت حتى رأتها العيون، وإن شئت لطفت الأوصاف الجسمانية حتى تعود روحانية لا تنالها إلا الظنون.."[1].

---

(١) أسرار البلاغة ص (٤٢).

المبحث الثالث

الكـناية

المبحث الثالث

الكـناية

الكناية في اللغة:

"مصدر قولك: كنيت بكذا عن كذا، والكُنية على ثلاثة أوجه: أحدها أن يكنى عن الشيء الذي يستفحش ذكره، الثاني: أن يكنى الرجل باسمٍ توقيرًا وتعظيمًا، والثالث: أن تقوم الكُنية مقام الاسم فيعرف بها صاحبها"(١).

والكناية في اصطلاح البلاغيين:

"أن يريد المتكلِّم إثبات معنى من المعاني، فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود، فيومئ به إليه، ويجعله دليلاً عليه، مثال ذلك قولهم: طويل النجاد، يريدون (طويل القامة)"(٢). وهو ما عبَّر عنه الخطيب القزويني(٣) بقوله: "لفظ أريد به لازم معناه، مع جواز إرادة معناه حينئذٍ"(٤)، "فلا يمتنع في قولك: طويل النجاد أن يُرَاد طول نجاده، مع إرادة طول قامته، فنلحظ من هذا أن الكناية لا يتنافى معها إرادة الحقيقة؛ لأن الكناية كثيرًا ما تخلو من إرادة المعنى الحقيقي، بمعنى أن الممدوح قد لا يكون له نجاد قط"(٥).

---

(١) انظر: لسان العرب (١٢/١٧٤) (مادة كني).

(٢) دلائل الإعجاز (ص ٦٦).

(٣) الخطيب القزويني: محمد بن عبد الرحمن بن عمر جلال الدين القزويني، ولد بالموصل، وقدم دمشق ومصر، عيِّن قاضياً بالشام، من تصانيفه: الإيضاح على صاحب المفتاح، تلخيص المفتاح للسكاكي، والمشذر المرجاني من شعر الأرجاني، توفي سنة ٧٣٩هـ. انظر: هدية العارفين (٢/ ١٢٠).

(٤) الإيضاح (ص ٢٨٦).

(٥) مفتاح العلوم (ص ٥١٣)، وانظر: الإيضاح (ص ٢٨٦).

بين الحقيقة والكناية:

"لا بد في الكناية من أن تكون ذات علاقة بين المعنى الظاهري للكلام (المعنى الأصلي الذي كنى به)، وبين المعنى الكنائي، وهذه الصلة هي ما تسمى بالعلاقة التي تربط بين المعنيين، وإلاَّ التبس المعنى، وأصبح ألغازًا وتعمية، ولم يكن بلاغةً وبيانًا، كما في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَـٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلاً ﴾(1)؛ فقد عبَّر عن شعوره بالحسرة والندم على ما فرَّط بعضِّ يديه" (2).

ولقد أورد عبد القاهر الجرجاني، هذا المعنى بدقَّة أكثر، حيث قال: "ليس المعنى إذا قلنا: إن الكناية أبلغ من التصريح، أنَّك لما كنيت عن المعنى زدته في ذاته؛ بل المعنى أنك زدت في إثباته؛ فجعلته أبلغ وآكد وأشدَّ، فليست المزية في قولهم: (جمُّ الرماد) أنه دل على قِرىً أكثر، بل إنك أثبتَّ له القِرى الكثير من وجه هو أبلغ، وأوجبته إيجابًا هو أشد، وادَّعيته دعوى أنت بها أنطق، وبصحتها أوثق"(3).

والكناية عند البلاغيين ثلاثة أنواع:

١- كناية عن موصوف، كقولهم : (المضياف) كناية عن عمرو.

٢- كناية عن صفة، كقولهم: كثير رماد القِدْر، كناية عن صفة الكرم.

٣- كناية عن نسبة مثل: المجد بين ثوبيه(4).

---

(١) الفرقان (٢٧).

(٢) انظر: من بدائع النظم القرآني، للدكتور السيد عبد الفتاح حجاب، مطبعة الجندي، بنها الجديدة، مصر. (ص ٦٨)، وعلم البيان (ص ٢٤٤)، للدكتور بسيوني عبد الفتاح.

(٣) دلائل الإعجاز (ص ٧١).

(٤) انظر: الإيضاح (ص ٢٨٦، ٢٨٧).

وبلاغة الكناية ومزيتها -في القرآن الكريم خاصة- أنها تؤكِّد المعنى، وتوجب إثباته، وذلك عن طريق إثبات الصفة: "بإثبات دليلها، وإيجابها بما هو شاهد في وجودها، آكد وأبلغ في الدَّعْوى من أن تجيء إليها فتثبتها هكذا ساذجًا غفلاً"[(١)].

واختصت الكناية في القرآن الكريم بالآتي:

١- بالإيجاز اللطيف العجيب، الذي لا يستطيع محاكاته أحد.

٢- وبجمال التعبير، لما فيها من ألفاظ مهذَّبة، بعيدة عما يستهجن، لذلك تربَّعت على عرش الجمال، وفازت بقصب السبق.

٣- فيها قوَّة تأثير لما فيها من حسن التصوير.

٤- تميزت بنظمها البديع، فمعناها لا يؤدَّى بغير لفظها، ولفظها لا يصلح إلا لمعناها، حتى لا يمكن التفرقة بينهما"[(٢)].

"ومن نخوة العرب وغيرتهم كانت كنايتهم عن حرائر النساء بالبيض، وقد جاء القرآن العزيز بذلك، فقال سبحانه:(كأنهن بيض مكنون)، وقال امرؤ القيس في معلقته:

و بَيضةِ خدر لا يُرامُ خباؤها تَمَتّعتُ من لَهْوٍ بها غيرَ مُعجَل [(٣)]

بيضة خدر يعني امرأة كالبيضة في صيانتها، لا يرام خباؤها لعزتها"[(٤)].

---

(١) دلائل الإعجاز (ص ٧٢).

(٢) انظر: الأسلوب الكنائي، للدكتور محمد السيد شيخون، الناشر مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨. (ص ١٠١-١٠٦).

(٣) ديوان امرئ القيس (ص ١٢).

(٤) خزانة الأدب (٢/٢٦٤).

بين الكناية والمجاز:

"إن الكناية تشتمل على قرينة لا تمنع من إرادة المعنى الأصلي، كما اتضح في قولهم: (طويل النجاد)، أما أسلوب المجاز فإنه يشتمل على قرينة تمنع من إرادة المعنى الأصلي للفظ"(١)، ومثاله قولهم: "عجبت للجيفة كيف يطغى"، فهذا مجاز مرسل، علاقته اعتبار ما سيؤول إليه الإنسان بعد موته، حيث أطلق لفظ الجيفة، وأريد بها الإنسان الحي، وهذه القرينة (يطغى) تمنع من إرادة المعنى الأصلي للجيفة"(٢).

وهناك فرق آخر بين الكناية والمجاز، ذلك أن : "مبنى الكناية على الانتقال من اللازم إلى الملزوم، ومبنى المجاز على الانتقال من الملزوم إلى اللازم"(٣).

بين الكناية والتعريض

التعريض لغة:

"العين والراء والضاد بناء تكْثُر فروعُه، وهي مع كثرتها ترجع إلى أصل واحد، وهو العَرْض الذي يخالف الطُّول، ومن ذلك: عَرْضُ الجُنْد: أن تُمِرَّهم عليك، وذلك كأنك نظرت إلى العارض من حالهم" (٤).

ومنه: "التعريض: خلاف التصريح، والمعاريض: التورية بالشيء عن الشيء، ومن ذلك التعريض في خِطبة المرأة في عدَّتها، وهو: أن يتكلَّم بكلام يشبه خِطبتها، ولا يصرَّح به"(٥).

---

(١) انظر: الإيضاح (ص ٢٨٦، ٢٨٧).

(٢) انظر: علم البيان (ص ٢٤٥) للدكتور بسيوني عبد الفتاح.

(٣) الإيضاح (ص ٢٨٦). ولقد فرق السكاكي بين المجاز والكناية بنص تلك العبارة، والمراد عندما نقول: فلان كثير الرماد، فكثرة الرماد لازم ينتقل منه إلى الملزوم وهو الكرم. أما المجاز؛ فمثاله: أقبل الأسد في يده بندقية؛ فإن الأسد ملزوم، والشجاعة لازم له، وينتقل من الملزوم إلى اللازم. أي من الأسد إلى الشجاعة. انظر مفتاح العلوم (ص ٥١٣).

(٤) معجم مقاييس اللغة (٤/ ٢٦٩، ٢٧٠)، (باب العين والراء، وما يثلثهما).

(٥) انظر: لسان العرب (٩/ ١٤٩)، (مادة عرض).

التعريض اصطلاحًا:

"أن تذكر شيئًا تدل به على شيء لم تذكره، كما يقول المحتاج للمحتاج إليه: جئت لأسلِّم عليك، وكأنَّ إمالة الكلام إلى عُرْضٍ يدل على الغرض"[1]. وكما جاء في حدِّه بأنه: "اللفظ الدال على الشيء من طريق المفهوم بالوضع الحقيقي والمجازي؛ فإنك إذا قلت لمن تتوقع صلته ومعروفه بغير طلب: والله إني محتاج وليس في يدي شيء؛ فإنَّ هذا وأشباهه تعريض بالطلب، ولم يوضع هذا اللفظ في مقابلة الطلب لا حقيقةً ولا مجازًا، وإنما دلَّ عليه من طريق المفهوم" [2].

يقول عبد القاهر :"وكما أنَّ الصفة إذا لم تأتك مُصرَّحًا بذكرها، مكشوفًا عن وجهها، ولكنْ مدلولاً بغيرها كان ذلك أفخمَ لشأنها وألطفَ لمكانِها . كذلك إثباتُك الصفة للشيء تثبِتُها له إذا لم تُلقِه إلى السامع صريحًا، وجئتَ إليه من جانب التعريض والكناية والرمز والإشارة كان له من الفضل والمزيَّة، ومن الحُسْن والرونق ما لا يقلُّ قليله لا يُجْهلُ موضعُ الفضيلة فيه"[3].

والتعريض أسلوب يناسب ذكاء العربي، ونقاء تفكيره، فيأتي بالفائدة من المدح والثناء في أن يعرّض فيه بالآخرين.

ومن شواهده في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾[4].

إذ فُسِّر: "(الغيب) بـ(الغيبة)، بمعنى يؤمنون مع الغيبة عن حضرة النبي ﷺ، أو عن جماعة المسلمين، على معنى هدىً للذين يؤمنون عن إخلاص، لا عن الذين يؤمنون عن نفاق"[1]، وهذه الآية من التعريض بالكفار والمنافقين الذين لا يؤمنون ولا يهتدون.

---

(١) الكشاف (٣١١/١).

(٢) المثل السائر (١٨٦/٢).

(٣) دلائل الإعجاز (ص ٣٠٦).

(٤) البقرة (٢-٣).

وقد وردت الكناية في قوله تعالى: ﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلۡحَافٗا﴾[2] "وهي كناية عن صفة التعفُّف؛ لعدم إظهار آثار الفقر، فلا يظهر عليهم من رثاثة الحال ما يدل على حاجتهم"[3].

"وفي الآية تعريض بالملحفين بالسؤال؛ ففي ذلك زيادة فائدة في أهمية عدم السؤال، والإلحاف: الإلحاح في المسألة، وأصله من اللُحاف، وهو ما يتغطى به[4]، وسمي الإلحاح بذلك؛ لأنه يغطي القلب كما يغطي اللحاف مَنْ تحته"[5].

"ولأهمية عدم السؤال، -ناهيك عن الإلحاف فيه، لأنه مما يؤثر في شخصية المسلم، ويقدح في كرامته ودينه- فإن التشدُّد في رفض هذه الصفة جاء بصيغة المبالغة المنفيَّة، وبطريقة التعريض بالآخرين الملحفين، ونظيره في قوله تعالى: ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ حَمِيمٖ وَلَا شَفِيعٖ يُطَاعُ﴾[6]، أي لا شفيع أصلاً، وحيث لا شفيع فلا إطاعة، فخلص من ذلك أنه لا شفيع يطاع. وكما في قول امرئ القيس:

على لا حبٍ لا يُهْتَدى بمنارِهِ ... إذا سافَهُ العودُ النُّباطيُّ جَرْجَرا[7]

فالشاعر أراد نفي المنار على إطلاقه، وكذلك نفي الاهتداء به، وفي الآية الكريمة نفي للإلحاف، ونفي للسؤال على إطلاقه بقرينة قوله تعالى: ﴿يَحۡسَبُهُمُ ٱلۡجَاهِلُ أَغۡنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ﴾[8][9].

---

(١) مفتاح العلوم (ص ٥٢١).

(٢) البقرة (٢٧٢).

(٣) انظر: تفسير البحر المحيط (٣٤٣/٢).

(٤) انظر: المفردات في غريب القرآن، لأبي القاسم الحسين بن محمد، المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد سيد الكيلاني، دار المعرفة، بيروت- لبنان. (ص ٤٤٨).

(٥) انظر: روح المعاني (٤٧/٣/٢).

(٦) غافر (١٨).

(٧) ديوان امرئ القيس (ص ٤٨).

(٨) البقرة (٢٧٣).

(٩) انظر: مفاتيح الغيب (٧١/٧/٤)، والتحرير والتنوير (٧٦/٣/٢).

"وتحسن هذه الطريقة إذا كان التعبير الواقع بعد النفي بمنزلة اللازم للنفي؛ فيكون نفي اللازم نفيًا للملزوم بطريق برهاني، كما يقول التفتازاني"[١].

ويمكن أن يكون المراد من قوله تعالى: ﴿إِلۡحَافٗا﴾ هنا: "أنهم يلحفون على أنفسهم في ترك السؤال، ومنعهم ذلك يكون بالمصابرة الشديدة"[٢]، بل وأجدها من أوجه التفسيرات المناسبة لوصف حال هؤلاء الفقراء المؤمنين.

ولقد أورد الزمخشري احتمالين لمعنى الجملة، ولم يرجّح أحدهما على الآخر، حيث قال: "ومعناه أنهم إن سألوا، سألوا بتلطُّف، ولم يلحُّوا، أو: هو نفي للسؤال والإلحاف جميعًا"[٣].

ومن الشواهد على التعريض ما ورد في قوله تعالى: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا﴾[٤].

فالكلام في هذه الآية الكريمة: "خبر ولكن اقترانه بحرفي التوكيد في (لقد) يومئ إلى تعريض بالتوبيخ للذين لم ينتفعوا بالأسوة الحسنة من المنافقين، والذين في قلوبهم مرض"[٥].

فهذا تعريض بالفريق الذين أخَّرهم الكفر عن اللحاق بركب المؤمنين المجاهدين، فصدَّهم ما في قلوبهم من المرض والشك في الدين عن فضيلة الاقتداء بالرسول ﷺ.

وهو ما أظهر معه فضل المؤمنين الذين اقتدوا بالرسول ﷺ في أقواله وأفعاله.

---

(١) انظر: المطول (ص ٦٣٠).

(٢) انظر: مفاتيح الغيب (٧٢/٧/٤).

(٣) الكشاف (٣٤٦/١).

(٤) الأحزاب (٢١).

(٥) التحرير والتنوير (٣٠٢/٢١/٨).

جهود الألوسي في الكناية:

لقد تناول الألوسي الكناية في مواضع كثيرة من تفسيره (روح المعاني)، وقد فصَّل في ذكر أنواعها، لأن الكناية تمثِّل ركنًا مهمًّا يعتمد عليه الأسلوب البياني..

ففي تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾[١].

يقول الألوسي: "ظلَّ وجهُه مُسْوَدًّا، أي صار مسودًّا من الكآبة والحياء من الناس، وأصل معنى ظلَّ أقام نهارًا على الصفة التي تُسند إلى الاسم، ولما كان التبشير قد يكون في الليل، وقد يكون في النهار، فُسِر بما ذُكِر، وقد تلحظ الحالة الغالبة بناءً على أن أكثر الولادات يكون بالليل، ويتأخّر إخبار المولود له إلى النهار، خصوصًا بالأنثى، فيكون ظلوله على ذلك الوصف طول النهار.. واسوداد الوجه كناية عن العبوس والغم والفكرة والنفرة التي لحقته بولادة الأنثى.."[٢].

يقول القرطبي: "ظلَّ وجهه مسودًّا أي متغيرًا، وليس يريد السواد الذي هو ضد البياض، وإنما هو كناية عن غمِّه بالبنت، والعرب تقول لكلِّ من لقي مكروهًا: قد اسودَّ وجهُه غمًّا وحزنًا"[٣].

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِى سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُواْ ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾[٤].

---

(١) النحل (٥٨).

(٢) روح المعاني (١٤/١٦٨).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (١٠/١١٦).

(٤) النساء (٤٣).

يقـول الألوسـي مفصِّـلاً المعـاني البلاغيـة الـتي احتوت عليها الآية الكريمة :"والمجيء من الغائط[1] كناية عن الحدث؛ لأنَّ العادة أن من يريده يذهب إليه ليواري شخصه عن أعين الناس، وفي ذِكر (أحد) فيه دون غيره إيماءٌ إلى أنَّ الإنسان ينفرد عند قضاء الحاجة كما هو دأبه وأدبه، وذُكِر (أحد) وأُسنِد المجيء إليه دون المخاطبين؛ تفاديًا عن التصريح بنسبتهم إلى ما يُستحى منه، أو يُستهجن التصريح به، وفي قوله: أو لامستم النساء يريد سبحانه: أو جامعتم النساء، إلا أنَّه كنَّى بالملامسة عن الجماع؛ لأنه مما يُستهجن التصريح به، أو يُستحى منه"[2].

وفي قولـــه تعـــالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾[3].

يقول الألوسي: "والنهي عن القرب من تلك الحدود (التي هي الأحكام) كناية عن النهي عن قرب الباطل؛ لكون الأول لازمًا للثاني، وهو أبلغ من (لا تعتدوها)؛ لأنه نهي عن قرب الباطل بطريق الكناية التي هي أبلغ من الصريح"[4].

وفي قولـــه تعـــالى: ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ﴾[5] يقول الألوسي: " أصل الجَنْب الجارحة، ثم يستعار للناحية والجهة التي تليها، كعادتهم في استعارة سائر الجوارح لذلك، نحو اليمين والشمال، والمراد هنا الجهة مجازًا، والكلام على حذف مضاف أي في جنب طاعة الله، والتفريط في جهة الطاعة كناية عن التفريط في الطاعة نفسها؛ لأن من ضيَّع جهةً ضيَّع ما فيها بطريق الأَولى"[6].

---

(١) (قال ابن منظور في لسان العرب :"قيل للمطمئن من الأرض غائط، ولموضع قضاء الحاجة غائط؛ لأنَّ العادة أَن يَقْضِيَ في المنخفِض من الأرض؛ حيث هو أَستر له، ثم اتّسع فيه حتى صار يُطلق على النَّجْوِ نفسِه". لسان العرب (١٠/١٤٥)، (مادة غوط).

(٢) روح المعاني (٥/٤١).

(٣) البقرة (١٨٧).

(٤) روح المعاني (٢/٦٩).

(٥) الزمر (٥٦).

(٦) روح المعاني (٢٤/١٧).

وفي قوله تعالى: ﴿وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ﴾[1] يقول الألوسي موضحًا أن بالآية كناية عن موصوف: " ذات ألواح ودُسُر من الصفات التي تقوم مقام الموصوفات على سبيل الكناية، كقولهم: (حيٌّ مستوي القامة، عريض الأظفار) في الكناية عن الإنسان، وهو فصيح الكلام وبديعه"[2].

ويقول الألوسي عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[3] .

"وجعل –هنا– نفي الخوف كناية عن نفي العقاب، ونفي الحزن كناية عن نفي الثواب، وهي أبلغ من الصريح وآكد؛ لأنها كدعوى الشيء ببينة، والمعنى لا خوف عليهم فضلاً عن أن يحلَّ بهم مكروه، ولا هم يفوت عنهم محبوب فيحزنوا عليه، فالمنفي عن الأولياء خوف حلول المكروه والحزن في الآخرة"[4].

وفي قوله تعالى: ﴿ وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[5] يقول الألوسي مبيِّنًا الأسرار التي احتوت عليها الكناية في الآية الكريمة :"وإقامة الوجه للدِّين كناية عن توجيه النفس بالكليَّة إلى عبادته تعالى، والإعراض عمَّن سواه، فإنَّ من أراد أن ينظر إلى شيء نظر استقصاء يقيم وجهه في مقابلته، بحيث لا يلتفت يمينًا ولا شمالاً، إذ لو التفت بطلت المقابلة"[6].

ويقول الألوسي في تفسير قوله تعالى:﴿مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ﴾[7] "لا يرتد إليهم طرفهم بمعنى لا يرجع إليهم تحريك أجفانهم حسبما كان

---

(١) القمر (١٣).

(٢) روح المعاني (٨٣/٢٧).

(٣) البقرة (٣٧).

(٤) روح المعاني (٢٣٩/١).

(٥) يونس (١٠٥).

(٦) روح المعاني (١٩٨/١١).

(٧) إبراهيم (٤٣).

يرجع إليهم كلّ لحظة، فالطرف باقٍ على أصل معناه، وهو تحريك الجفن، والكلام كناية عن بقاء العين مفتوحة على حالها"(١).

وفي قوله تعالى :﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾(٢) يقول الألوسي: " واخفض جناحك للمؤمنين كناية عن التواضع لهم، والرِّفق بهم، وأصل ذلك أن الطائر إذا أراد أن يضمَّ فرخه إليه بسط جناحيه له، والجناحان من ابن آدم جانباه"(٣).

ويقول الألوسي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾(٤).

"وقُرَّة العين كناية عن السرور والفرح، وهو مأخوذ من القُر، وهو البرد؛ لأن دمعة السرور باردة، ولذا يقال في ضدِّه: أسخن الله تعالى عينه، وعليه قول أبي تمام:

فأما عيونُ العاشقينَ فأسخنتْ   وأَمّا عيُونُ الشامِتينَ فَقَرَّتِ(٥)

وفي تفسيره لقوله تعالى:﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾(٦).

يقول الألوسي :"أي تنتحي وترتفع جنوبهم عن مواضع النوم، وهذا كناية عن تركهم النوم، ومثله قول عبد الله بن رواحة يصف النبي صلى الله تعالى عليه وسلم:

يَبيت يُجافي جَنْبَه عن فِراشه   إذا اسْتَثْقَلَتْ بالمشركين المضاجِعُ"(١)

---

(١) روح المعاني (١٣/٢٤٦).

(٢) الحجر (٨٨).

(٣) روح المعاني (١٤/٨٠).

(٤) الفرقان (٧٤).

(٥) روح المعاني (١٩/٥٢). البيت في ديوان أبي تمام،شرح الخطيب التبريزي، تحقيق: محمدعبده عزام. دار المعارف، مصر. (ص ٣٠٠).

(٦) السجدة (١٦).

وفي تفسيره لقوله تعالى : ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَـٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَـٰرَتُهُمۡ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ﴾[٢].

يقول الألوسي :"وكنَّى في مقامِ الذمِ ينفي الربح عن الخسران؛ لأن فوت الربح يستلزمه في الجملة، وفائدة الكناية التصريح بانتفاء مقصد التجارة مع حصول ضدِّه، بخلاف ما لو قِيل: خسرت تجارتُهم، فلا يتوهَّم أن نفي أحد الضدين إنما يوجب إثبات الآخر إذا لم يكن بينهما واسطة، وهي موجودة هنا، فإن التاجر قد لا يربح ولا يخسر.. وقد تكون هناك كناية عن إضاعة رأس المال، فإنَّ مَنْ لم يهتدِ بطرق التجارة تكثر الآفات على أمواله.. واختير طريق الكناية نكايةً لهم بتجهيلهم وتسفيههم"[٣].

وفي تفسيره لقوله تعالى : ﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَـٰمِ أَزۡوَٰجٗاۖ يَذۡرَؤُكُمۡ فِيهِۚ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾[٤].

يقول أبو الثناء :"والمراد مِنْ مثلِه ذاته تعالى، فلا فرق بين ليس كذاته شيء، وليس كمثله شيء في المعنى، إلا أنَّ الثاني كناية مشتملة على مبالغة، وهي أنَّ المماثلة منفيَّة عمَّن يكون مثله وعلى صفته، فكيف عن نفسه!! وهذا لا يستلزم وجود المثل؛ إذ الفرض كافٍ في المبالغة، ومثل هذا شائع في كلام العرب، نحو قول أوس بن حجر:

ليس كمثل الفتى زهير خلق يوازيه في الفضائل

وقول الآخر:

وقتلَى كمثل جذوع النخيل تغشاهم مسبل منهمر

وقول الآخر:

---

(١) روح المعاني (١٣١/٢١). "لم أقف على شاعر للبيت".

(٢) البقرة (١٦).

(٣) روح المعاني (١٦٢/١).

(٤) الشورى (١١).

سعد بن زيد إذا أبصرت فضلهم ما أن كمثلهم في الناس من أحد

والعرب تقيم المثْل مقامَ النفس، فتقول: مِثْلُك لا يبخل، وهي تريد: أنت لا تبخل، أي على سبيل الكناية"(١).

ويقول الألوسي في تفسيره لقوله تعالى :﴿وَلَمَّا جَآءَهُمۡ كِتَٰبٌ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمۡ وَكَانُواْ مِن قَبۡلُ يَسۡتَفۡتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾(٢).

"فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به: كنَّى عن الكتاب المتقدِّم بما عرفوا؛ لأن معرفة من أُنزل عليه معرفةٌ له، والاستفتاحُ به استفتاحٌ به"(٣).

وفي تفسيره لقوله تعالى:﴿وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقٌّ مَّعۡلُومٞ ٢٤ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ﴾(٤).

يقول الألوسي: "في الآية كناية عن موصوف (أي للسائل الذي يسأل، والمحروم الذي لا يسأل)، فيُظن أنَّه غني فيحرم، واستعمال المحروم في ذلك على سبيل الكناية، ولا يصح أن يُراد به من يحرمونه بأنفسهم؛ للزوم التناقض كما لا يخفى"(٥).

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ بَعۡضُهُم مِّنۢ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمُنكَرِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَقۡبِضُونَ أَيۡدِيَهُمۡۚ نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمۡۚ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾(٦).

يقول الألوسي:"أي يقبضون أيديهم عن الإنفاق في طاعة الله ومرضاته، وقبضُ اليدِ كناية عن الشح والبخل، كما أن بسطها كناية عن الجود؛ لأن من يعطي يمدَّ يده، بخلاف من يمنع"(١).

(١) روح المعاني (١٨/٢٥) "البيت الأول لم أقف على ديوان الشاعر، والبيتان الثاني والثالث لم أقف على شاعر لهما".

(٢) البقرة (٨٩).

(٣) روح المعاني (١/٣٢٠).

(٤) المعارج (٢٤-٢٥).

(٥) روح المعاني (٢٩/٦٣).

(٦) التوبة (٦٧).

وفي تفسيره لقوله تعالى : ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى ۖ وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴾[2].

يقول الألوسي :"وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار: أي ينهزموا من غير أن يظفروا منكم بشيء، وتولية الأدبار كناية عن الفرار والانهزام؛ فإن الفارَّ يولي دبرَه مَنْ فرَّ منه"[3].

وفي تفسيره لقوله تعالى :﴿ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[4].

يقول الألوسي :"والمراد من توجيه الوجه للذي فطر.. إلخ، قَصْده سبحانه بالعبادة؛ فإنَّ من كان مطيعًا لغيره، منقادًا لأمره فإنه يتوجَّه بوجهه إليه، فجعل توجُّه الوجه إليه كناية عن الطاعة"[5].

وفي تفسيره لقوله تعالى:﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا ۚ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ﴾[6].

قال الألوسي :"سنشد عضُدَك؛ أي سنقويك به ونعينك، على أن شدّ عضده كناية تلويحية عن تقويته؛ لأن اليد تشتد بشدَّة العضد، وهو ما بين المرفق إلى الكتف، والجملة تشتد بشدَّة اليد"[1]..

---

(١) روح المعاني (١٣٣/١٠).

(٢) آل عمران (١١٠-١١١).

(٣) روح المعاني (٢٩/٤).

(٤) الأنعام (٧٨-٧٩).

(٥) روح المعاني (٢٠٣/٧).

(٦) القصص (٣٥).

وفي تفسيره لقوله تعالى:﴿وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾[2].

يقول الألوسي :"واخفض لهما جناح الذلِّ، أي تواضع لهما وتذلَّل، ففيه كناية عن صفة، وهي صفة التواضع. فإن الطائر إذا أراد الطيران والعلو نشر جناحيه ورفعهما ليرتفع، فإذا ترك ذلك خفضهما، وأيضًا هو إذا رأى جارحًا يخافه لصق بالأرض، وألصق جناحيه، وهي غاية خوفه وتذلُّله"[3].

وفي تفسيره لقوله تعالى :﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِيٓ أَيۡدِيهِمۡ وَرَأَوۡاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ ضَلُّواْ قَالُواْ لَئِن لَّمۡ يَرۡحَمۡنَا رَبُّنَا وَيَغۡفِرۡ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾[4].

يقول الألوسي: "ولما سُقِطَ في أيديهم، أي ندموا، بل هو كناية عن شدَّة الندم وغايتِه؛ لأن النادمَ إذا اشتدَّ ندمُه عضَّ يده غمًّا، فتصير يده مسقوطًا فيها، وأصله سقط فوه، أو عضه في يده؛ أي وقع، ثم حُذِف الفاعل، وبُني الفعل للمفعول به، فصار سُقِط في يده، كقولك مُرَّ بزيد"[5].

وهذا ما ذهب إليه الخطيب القذويني عندما جعل الكناية عن صفة تنقسم إلى قريبة وبعيدة، وذكر أنَّ القريبة ما يُنتقل منها إلى المطلوب بها لا بواسطة، والبعيدة ما يُنتقل منها إلى المطلوب بها بواسطة، كقولهم كثير الرماد كناية عن المضياف؛ فإنه ينتقل من كثرة الرماد، إلى كثرة إحراق الحطب تحت القدور، ومنها إلى كثرة الطبائخ، ومنها إلى كثرة الآكلة، ومنها إلى كثرة الضيفان، ومنها إلى المقصود.

وكقوله:

---

(١) روح المعاني (٧٨/٢٠).

(٢) الإسراء (٢٤).

(٣) روح المعاني (٦٥/١٥)

(٤) الأعراف (١٤٩)

(٥) روح المعاني (٦٤/٩)

وما يكُ في مِنْ عيب فإنِّي جبانُ الكلبِ مهزولُ الفصيلِ

فإنه يُنتقل من جبن الكلب عن الهرير -في وجه من يدنو من دار من هو بمرصد لأن يعس[1] دونها، مع كون الهرير في وجه من لا يعرفه طبيعيًّا له- إلى استمرار تأديبه؛ لأنَّ الأمور الطبيعية لا تتغير بموجب لا يقوى، ومن ذلك إلى استمرار موجب نباحه، وهو اتصال مشاهدته وجوهًا إثر وجوه، ومن ذلك إلى كونه مقصد أدانٍ وأقاصٍ، ومن ذلك إلى أنه مشهور بحسن قرى الأضياف.. وكذلك ينتقل من هزل الفصيل، إلى فقد الأم، ومنه إلى قوّة الداعي إلى نحرها لكمال عناية العرب بالنوق لا سيما المتليات[2]، ومنها إلى صرفها إلى الطبائخ، ومنها إلى أنه مضياف، ومن هذا النوع قول نصيب:

لعبد العزيز على قومه وغيرهم مننٌ ظاهرة
فبابك أسهل أبوابهم ودارك مأهولة عامرة
وكلبك آنس بالزائرين من الأمِّ بالابنةِ الزائرة

فإنه ينتقل من وصف كلبه بما يذكر أن الزائرين معارف عنده، ومن ذلك إلى اتصال مشاهدته إياهم ليلاً ونهارًا، ومنه إلى لزومهم سدّته، ومنه إلى تسني مباغيهم لديه من غير انقطاع، ومنه إلى وفور إحسانه إلى الخاص والعام، وهو المقصود.. ونظيره مع زيادة لطف قول الآخر:

يكاد إذا ما أبْصَرَ الضيفَ مقبلاً يكلِّمه من حبِّه وهو أعجمُ

ومنه قوله:

لا أمتع العوذ بالفصال ولا أبتاعَ إلا قريبة الأجلِ

فإنه يُنتقل من عدم إمتاعها إلى أنه لا يُبقي لها فصالَها لتأنس بها، ويحصل لها الفرح الطبيعي بالنظر إليها، ومن ذلك إلى نحرها، أو لا يبقي العوذ إبقاءً على فصالها، وكذا قرب

(١) عَسَّ يَعُسُّ إذا طلب، واعْتَسَّ الشيءَ طلَبه ليلاً أو قصده. انظر لسان العرب، مادة (عسس).
(٢) "ناقةٌ مُتْلٍ ومُتْلِية يَتْلوها وَلدُها، أي يتبعها، الجمع متليات ومتالٍ". انظر لسان العرب مادة (تلا).

الأجـل يُنتقـل منـه إلى نحرهـا، ومـن نحرهـا إلى أنـه مضياف.. ومن لطيف هذا القسـم قوله تعالى:" ولما سقط في أيديهم... "[1].

(١) الإيضاح في علوم البلاغة (ص ٢٨٩). "لم أقف على مصدر لتوثيق أبيات الشعر".

الفصل الرابع

صور البديع في روح المعاني

وفيه مبحثان:

المبحـــث الأول: المحسِّنات المعنويَّة، وفيه سبعة مطالب.

المبحـث الثـاني: المحسِّنات اللفظية، وفيه ثلاثة مطالب.

المبحث الأول

المحسِّنات المعنويَّة

وفيه سبعة مطالب.

المطلـــــب الأول: الطباق.

المطلــب الثــاني: اللف والنشر.

المطلــب الثالــث: تأكيد المدح بما يشبه الذم.

المطلــب الرابــع: الاحتباك

المطلب الخامس: التورية.

المطلب السادس: المقابلة.

المطلــب الســابع: المشاكلة.

البديع في اللغة:

من (بَدَع)، "الباء والدال والعين أصلان: أحدهما ابتداء الشيء وصُنْعِهِ لا عن مثالٍ، والآخر الانقطاع والكلال.

فالأول كقولهم: أبدعْتُ الشيء قولاً أو فعلاً، إذا ابتدأته لا عن سابق مثال: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[1]، والعرب تقول: ابتدع فلان الرَّكِيَّ: إذا استنبطه، وفلان بِدْعٌ في هذا الأمر، قال الله تعالى:﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾[2]، أي ما كنت أول من أُرْسِل، فقبلي رسل كثير" [3]، "والبديع والبِدْع: الشيء الذي يكون أولاً"[4]، ويخلص من هذا أن البديع بمعنى الابتداع والابتكار.

البديع اصطلاحًا:

هو: "علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال، ووضوح الدلالة"[5].

وعلماء البديع قسموه قسمين بالنظر إلى طبيعته في الأداء: محسِّنات معنويَّة، ومحسِّنات لفظيَّة.

وقد يبدو لنا أثر البديع من خلال الشواهد التي سأقف عليها، فالمحسِّنات المعنويَّة هي:"التي يكون الكلام فيها راجعًا إلى تحسين المعنى، بحسب العراقة والأصالة"[6].

أما المحسنات اللفظيَّة فهي: "التي يكون الكلام فيها راجعًا إلى تحسين اللفظ" [7].

---

(١) البقرة (١١٧).

(٢) الأحقاف (٩).

(٣) انظر: معجم مقاييس اللغة (٢٠٩/١)، (باب الباء والدال وما بعدها في الثلاثي).

(٤) لسان العرب (٣٤٢/١)، (مادة بدع).

(٥) الإيضاح (ص ٣٠٠).

(٦) انظر: المطول (ص ٦٤٠).

(٧) انظر: المطول (ص ٦٤١).

المطلب الأول

الطباق

مفهومه:

أولاً في اللغة: من (طبق) "الطاء والباء والقاف أصل صحيح واحد، وهو يدل على وضع شيء مبسوط على مثله حتى يغطيه، من ذلك الطَّبَق، تقول: أطبقت الشيء على الشيء، فالأول طَبَقٌ للثاني؛ وقد تطابقا"[(١)].

ولقد ورد في معنى طبق – وجمعها طَبَقات – "أنها الجماعة من الناس، وهم الأصناف المختلفة. ويقال: طابق البعير، أي : وضع رجله في موضع يده"[(٢)].

ثانيًا في الاصطلاح: "المطابقة في الكلام هي الجمع بين الشيء وضدِّه في جزء من أجزاء الرسالة أو الخُطبة، أو بيت من بيوت القصيدة؛ مثل الجمع بين السواد والبياض، والليل والنهار، والحر والبرد"[(٣)]، وعرَّفها الخطيب القزويني: بقوله: "هي الجمع بين المتضادين، أي المتقابلين في الجملة" [(٤)].

كقول المتنبي:

كأنَّ سهادَ الليل يعشق مغلتي فبينهما في كلِّ هجرٍ لنا وَصْلُ[(٥)]

فقد طابق بين هجر ووصل طباق إيجاب[(٦)]

---

(١) معجم مقاييس اللغة (٣/٤٣٩)، (باب الطاء والباء، وما يثلثهما).

(٢) انظر: لسان العرب (٨/١٢٣)، (مادة طبق).

(٣) كتاب الصناعتين (ص ٣٠٧).

(٤) الإيضاح (ص ٣٠٠).

(٥) ديوان المتنبي (٣/٣٠٠).

(٦) طباق الإيجاب هو الجمع بين المتضادين في الجملة، أما طباق السلب فهو أن يجمع بين فعلي مصدر واحد أحدهما مثبت، والآخر منفي، أو أحدهما أمر والآخر نهي. انظر المطول (ص ٦٤١).

وتسمى أيضًا الطباق، والتطبيق، والتضاد.

بين المعنى اللغوي والاصطلاحي للطباق:

يرى بعض البلاغيين، أنه لا مناسبة بين المعنيين، ويرى آخرون أن هناك مناسبة تجمع بينهما لسببين:

الأول: "أن الجمع بين الضدين يعتبر توفيقًا بينهما كما يقتضي المعنى.

الثاني: أنَّ (الطَّبَق) بالتحريك في اللغة: المشقَّة، لقوله تعالى:﴿لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٖ﴾[(١)]، أي: مشقَّة بعد مشقَّة، ولمشقَّة الجمع بين الضدين في الحقيقة، سمُّوا كل كلام جُمع فيه بين الضدين طباقًا"[(٢)].

وللطباق شواهد كثيرة في القرآن الكريم، أورد منها على سبيل المثال ما يلي:

طباق السلب بين فعلين في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾[(٣)]"فهذان اللفظان أثريا معنى الجملة المباركة، إذ تبين فيها مواجهة بين فريقين: أهل العلم، وأهل الجهل، فكأنَّ هذين الوصفين جعلا المؤمن يحكِّم عقله في هذه المسألة، فجاءت النتيجة:

أولاً: أن نفي العلم عن الكفار سلبهم أهم مدلولات الإنسانية وهو اللب، ورفع مكانة أهل العلم.

ثانيًا: إنما وصف الله – تعالى – الكفار بأنهم لا يعلمون؛ لأنهم وإن آتاهم الله آلة العلم إلاَّ أنهم أعرضوا عن تحصيل العلم، فلهذا السبب جعلهم كأنهم ليسوا من أولي الألباب من حيث إنهم لم ينتفعوا بعقولهم وقلوبهم"[(٤)].

---

(١) الانشقاق (١٩).

(٢) انظر: علم البديع (دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة)، تأليف الدكتور: بسيوني عبد الفتاح، مؤسسة المختار، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م. (ص ١٣٦).

(٣) الزمر (٩).

(٤) مفاتيح الغيب (٢١٩/٢٦/١٣).

ثالثًا: "أن من العلماء من فسَّر (الذين يعلمون) بأنهم أهل عبادة الليل؛ الذين أشار إليهم في مستهل الآية الكريمة بقوله: "أَمْ مَنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآَخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ"، وفسّر ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ بأنهم الذين لا يأتون بهذا العمل، وفي هذا التفسير ازدراء بأهل العلم الذين فتنوا بالدنيا فلم يقنتوا، فهم لذلك عند الله – تعالى – جهلة"[١].

فلهذا جاء التعبير بنفي العلم، وهو أنسب من وصفهم بالجهل.

ومثل ذلك قول امرئ القيس:

جَزِعتُ ولم أجزَعْ من البَين مَجْزَعا وعزَّيْتُ قلبًا بالكواعب مولعا[٢]

جهود الألوسي في الطباق:

لقد تناول الألوسي هذا المحسِّن البديعي (الطباق) في تفسيره لقوله تعالى :﴿ إِن تُبۡدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَۖ وَإِن تُخۡفُوهَا وَتُؤۡتُوهَا ٱلۡفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمۡۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾[٣] حيث قال:

"وفي جمع الإبداء والإخفاء من أنواع البديع: الطباق اللفظي، وهو طباق إيجاب؛ لأن الضدِّين لم يختلفا إيجابًا وسلبًا"[٤].

كما تناول الألوسي الطباق في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحٗا وَإِبۡرَٰهِيمَ وَجَعَلۡنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلۡكِتَٰبَۖ فَمِنۡهُم مُّهۡتَدٖۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ﴾[٥] حيث قال :"ولم يقل:

(١) انظر: الكشاف (١١٨/٤)، ومفاتيح الغيب (٢١٩/٢٦/١٣)، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل (٣٢١/٢).

(٢) ديوان امرئ القيس (ص ٧٧).

(٣) البقرة (٢٧١).

(٤) انظر روح المعاني (٤٤/٣).

(٥) الحديد (٢٦).

ومنهم ضال، مع أنه أظهر في المقابلة؛ لأن ما عليه النظم الكريم أبلغ في الذم؛ لأن الخروج عن الطريق المستقيم بعد الوصول بالتمكّن منه ومعرفته، أبلغ من الضلال عنه"[1].

ويقول الألوسي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾[2].

"ومقابلة من كفر بمن عمل صالحًا، لا بمن آمن؛ للتنويه بشأن الإيمان، بناءً على أنه المراد بالعمل الصالح، و لمزيد الاعتناء بشأن المؤمن العامل بناءً على أن المراد بالعمل الصالح ما يشمل العمل القلبي والقالبي، فقد طابق بين قوله كفر، وقوله عمل صالحا طباق إيجاب"[3].

---

(١) روح المعاني (١٨٩/٢٧).

(٢) الروم (٤٤).

(٣) روح المعاني (٥٠/٢١).

المطلب الثاني
اللف والنشر

اللفُّ لغةً:

يقول ابن فارس :"اللام والفاء أصل صحيح يدل على تلوِّي شيء على شيء، يقال: لففتُ الشيءَ بالشيءِ لفًّا، ولففتُ عمامتي على رأسي"(١).

النشر لغةً:

" النون والشين والراء أصل صحيح يدل على فتح شيء وتشعُّبه"(٢).

اللف والنشر في اصطلاح البلاغيين:

هو: "ذِكْر متعدِّدٍ على جهة التفصيل أو الإجمال، ثم ذِكْر ما لكل واحد من غير تعيين، ثقةً بأن السامع يردّه إليه" (٣).

أي يَرُد ما لكل من أطراف هذا المتعدِّد إلى ما هو له مناسب، فالأول يكون فيه ذكر المتعدِّد، وهو على نوعين: الأول منهما مفصَّل، وهو ضربان: الأول منهما أن يجيء النشر مرتبًا على ترتيب اللف، بأن يكون الأول من النشر للأول من اللف، والثاني للثاني، على الترتيب، ويسمى مرتبًا، ومثاله قوله تعالى: ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾(٤)، "فقد ذكر الليل والنهار على التفصيل، ثم ذكر ما للَّيل، وهو السكون فيه، ثم ذكر ما يختص به النهار من قضاء الحوائج، وتدبير أمور الناس، وجاء ذلك على الترتيب، والثاني منهما أن يكون النشر على غير ترتيب اللف؛ لأنه إما أن يكون الأول من النشر للآخر من اللف، والثاني لما قبله وهكذا، ويسمى معكوس الترتيب"(٥).

---

(١) معجم مقاييس اللغة (٥/٢٠٧) (باب اللام والفاء، وما يثلثهما).

(٢)معجم مقاييس اللغة (٥/٤٣٠).

(٣) الإيضاح (ص ٣١٣).

(٤) القصص (٧٣).

(٥) انظر التحرير والتنوير (٨/٢٠/١٧١).

جهود الألوسي في اللف والنشر:

لقد تناول الألوسي هذا الضرب من البديع في تفسيره لقوله تعالى :﴿قُلۡ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ١٥ مَّن يُصۡرَفۡ عَنۡهُ يَوۡمَئِذٖ فَقَدۡ رَحِمَهُۥۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡمُبِينُ ١٦ وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يَمۡسَسۡكَ بِخَيۡرٖ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾[١].

حيث قال :"والآية من قبيل اللف والنشر؛ فإنَّ مسَّ الضر ناظر إلى قوله تعالى: إني أخاف.. الخ، ومسّ الخير ناظر إلى قوله سبحانه: من يصرف عنه.. الخ"[٢].

كما تناول الألوسي أسلوب اللف والنشر في تفسيره لقوله تعالى:﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾[٣] حيث قال :"ففي الآية اللف والنشر، وأصل الكلام: أحكم آياته الحكيم، وفصَّلها الخبير، ثم عدل عنه إلى أحكمت حكيم، وفصلت خبير، ثم إلى ما في النظم الجليل لما في الكناية من الحُسْن مع إفادة التعظيم البالغ الذي لا يصل إلى كنهه وصف الواصف، لا سيما وقد جيء بالاسمين الجليلين منكرين بالتنكير التفخيمي"[٤].

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا ٢٣ لِّيَجۡزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدۡقِهِمۡ وَيُعَذِّبَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوۡ يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾[٥].

بيَّن الألوسي موضع اللف والنشر في الآية، حيث قال: "فقوله: ليجزي ويعذب متعلَّق بالمنفي والمثبت على اللف والنشر التقديري"[٦].

---

(١) الأنعام (١٥-١٧).

(٢) روح المعاني (١١٣/٧).

(٣) هود (١).

(٤) روح المعاني (٢٠٥/١١).

(٥) الأحزاب (٢٣-٢٤).

(٦) روح المعاني (١٧٣/٢١).

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾[1].

يقول الألوسي :"والملوم راجع إلى قوله تعالى (ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك)، والمحسور راجع إلى قوله سبحانه (ولا تبسطها)، ففي الآية لفٌّ ونشر"[2].

---

(١) الإسراء (٢٩).

(٢) روح المعاني (١٥/٦٥).

المطلب الثالث

تأكيد المدح بما يشبه الذم.

وهو: "أن تبالغ في المدح إلى أن تأتي بعبارة يتوهَّم السامع في بادئ الرأي أنه ذم، وذلك بأن تثبت للممدوح وصفًا يُمْدَح به، أو تنفي عنه صفة ذم، ثم تستثني من ذلك صفة مدح"[1].

وهو ضربان:

أحدهما: "أن يستثنى من صفة ذمٍ منفية عن الشيء صفة مدح بتقدير دخولها فيها، كقول النابغة الذبياني:

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم　　　بهن فلول من قراع الكتائب[2]

أي: إن كان فلول السيف من قراع الكتائب من قبيل العيب، فأثبت شيئًا من العيب، على تقدير أن فلول السيف منه، وذلك محال، فهو في المعنى تعليق بالمحال" [3].

فالتأكيد فيه من وجهين:

أحدهما: أنه كدعوى الشيء ببَيِّنةٍ.

والثاني: أن الأصل في الاستثناء أن يكون متَّصلاً، فإذا نطق المتكلِّم بـ(إلا) أو نحوها، توهَّم السامع قبل أن ينطق بما بعدها أن ما يأتي بعدها مُخْرَج مما قبلها، فيكون شيء من صفة الذم ثابتًا، وهذا ذم، فإذا أتت بعدها صفة مدحٍ تأكد المدح؛ لكونه مدحًا على مدح، وإن كان فيه نوع من الخلابة.

---

(١) انظر خزانة الأدب (٢/٣٩٩).

(٢) ديوان النابغة الذبياني (ص ٣٢).

(٣) انظر: الإيضاح (ص ٣٢٥).

الضرب الثاني: "أن يثبت لشيء صفة مدح، ويعقب بأداة استثناء تليها صفة مدحٍ أخرى له، كقول النبي ﷺ: (أنا أفصح العرب، بيد أني من قريش)، ومن تأكيد المدح بما يشبه الذم ضرب ثالث، وهو أن يأتي الاستثناء فيه (مفرغًا)"(١)(٢).

ومن شواهده في القرآن الكريم قوله تعالى:﴿وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَـٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا ۚ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾(٣).

"ففي هذه الآية الكريمة بيان لشدَّة حنق فرعون على السحرة الذين آمنوا برب موسى وهارون، بدليل ما جاء في الآية الكريمة على لسانهم في قوله تعالى: ﴿وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ﴾ أصله من النقمة، يقال: نقَمْتَ الشيء إذا نكرْتهُ، إما باللسان، وإما بالعقوبة"(٤)، "والمراد أنك يا فرعون لا تكره منا فعلاً، ولا تطعن علينا قولاً تعذبنا لأجله إلا إيماننا بالله تعالى"(٥). وفي هذه الصياغة يظهر لنا أحد ألوان البديع: وهو تأكيد المدح بما يشبه الذم في قوله تعالى:﴿وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَـٰتِ رَبِّنَا﴾.

وفي قوله تعالى:﴿إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا﴾ يجوز ما يلي من الإعراب: "أن يكون في محل نصب مفعولاً به، أي: ما تعيب علينا إلا إيماننا. ويجوز أن يكون مفعولاً من أجله، أي: ما تنال وتعذِّبنا لشيءٍ من الأشياء إلا لإيماننا، وعلى كلا القولين فهو استثناء مفرغ"(٦).

---

(١) "ويسمى الاستثناء مفرغًا؛ لأن ما قبل إلا قد تفرَّغ لطلب ما بعدها، ولم يشتغل عنه بالعمل فيما يقتضيه".
انظر: شرح قطر الندى وبل الصدى، تأليف : أبو محمد عبد الله جمال الدين بن هشام الأنصاري، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد. الطبعة الحادية عشرة ، ١٣٨٣هـ (ص ٢٤٧).

(٢) الإيضاح (ص ٣٢٥، ٣٢٦).

(٣) الأعراف (١٢٦).

(٤) انظر: المفردات (ص ٥٠٤).

(٥) انظر الجامع لأحكام القرآن (٧/٢٦١).

(٦) روح المعاني (٩/٢٨)، والدر المصون، لأحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي، تحقيق: د. أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ -١٩٨٧م. (٥/٤٢٢)، وانظر: تفسير البحر المحيط (٤/٣٦٦). وأما ابن عاشور فإنه يرى أنه من الاستثناء المتَّصل، وليس من المنفصل؛ لأن الإيمان ينقمه فرعون عليهم، فليس في الكلام تأكيد الشيء بما يشبه ضده. انظر: التحرير والتنوير (٤/٩/٥٦).

"ففي إثبات الغضب المنفي إشارة إلى أنه سيذكر شيئًا يستحقّه؛ فاستخدمت (إلا) أداة الاستثناء، مما يهيئ للسامع أنه ستأتي بعد هذه الصفة التي من أجلها استحقوا الغضب والذنب اللذين تتبعهما العقوبة انتقامًا، ولكن السامع فوجئ بفخر المؤمنين بذنبهم، ألا وهو الإيمان، واصفين به أنفسهم؛ الذي هو أصل المفاخر، وخير الأعمال، وهو ليس ذنبًا يعابون عليه كما يدَّعي فرعون، وبذلك أثبتوا لأنفسهم البراءة التامة من العيوب والنواقص"(١).

"وسِرُّ جمال هذا اللون البديعي: في اعتماده على المفاجأة، مما يحصل معه ويتحقَّق توكيد الصفة بغير ما كان يتوقَّع السامع؛ لأن الاستثناء يمهد لمعنى مخالف لما سبق، ومجيء التوكيد للمعنى السابق يحدث إيقاظًا وتنبيهًا، وفيه طرافة في التعبير"(٢).

جهود الألوسي في تأكيد المدح بما يشبه الذم:

لقد تناول الألوسي أسلوب (تأكيد المدح بما يشبه الذم) في تفسيره لقوله تعالى : ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي ضَلَٰلَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾(٣) حيث قال: "فالكلام هنا استدراك على ما قبله، رافع لما يتوهَّم منه، وذلك لأن القوم لما أثبتوا له الضلال أرادوا به ترك دِيْن الآباء، ودعوى الرسالة، فحين نفى الضلالة توهّم منه أنه على دين آبائه، وترك دعوى الرسالة، فوقع الإخبار بأنه رسول، وثابت على الصراط المستقيم استدراكًا لذلك، ويصح أن يكون استدراكاً مما قبله باعتبار ما يستلزمه من كونه في أقصى مراتب الهداية، فإن رسالته من رب العالمين مستلزمة له لا محالة، كأنه قيل: ليس بي شيء من الضلالة، لكني في الغاية القاصية من الهداية، وحاصل ذلك أن لكن حقّها أن تتوسَّط بين كلامين متغايرين نفيًا وإثباتًا، والتغاير هنا حاصل من حيث المعنى، كما في قولك: جاءني زيد لكن عمرًا غاب، وفائدة العدول عن الظاهر إرادة المبالغة في إثبات الهداية على أقصى ما يمكن، كما نفي الضلالة كذلك، فهذا من تأكيد المدح بما يشبه الذم"(٤).

---

(١) انظر تفسير البحر المحيط (٣٦٦/٤).

(٢) انظر المطول (ص ٦٧٤).

(٣) الأعراف (٦١).

(٤) روح المعاني (١٥١/٨) .

كما قال الألوسي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا ۝ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًا ۖ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾[1].

"وهو من تأكيد المدح بما يشبه الذم، وهو يفيد نفي سماع اللغو بالطريق البرهاني الأقوى، والاتصال على هذا على طريق الفرض والتقدير، ولولا ذلك لم يقع موقعه من الحسن والمبالغة"[2].

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمَا نَقَمُواْ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾[3] يقول الألوسي: "في الآية استثناء مفصح عن براءتهم عمَّا يعاب وينكر بالكليَّة، فهو من تأكيد المدح بما يشبه الذم"[4].

---

(١) مريم (٦١-٦٢).

(٢) روح المعاني (١١٢/١٦).

(٣) البروج (٨).

(٤) روح المعاني (٩٠/٣٠).

المطلب الرابع
الاحتباك

الاحتباك في اللغة:

يقول ابن فارس :"الحاء والباء والكاف، أصل منقاس مطَّرد، وهو إحكام الشيء في امتداد واطّراد، يقال: بعير مَحْبوك القَرَى، أي قويُّه"(١)، ويقال: "حبَكَ الشيء حبكًا: أحكمه، ومنه يقال : حَبَك الثَّوْبَ: أجاد نسجه"(٢).

والاحتباك في اصطلاح البلاغيين:

هو :"أن يجتمع في الكلام متقابلان، فيحذف من واحد منهما مقابله؛ لدلالة الآخر عليه، كقوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَىَّ إِجْرَامِى وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ﴾(٣)، الأصل: فإن افتريته فعليَّ إجرامي، وأنتم برآء منه، وعليكم إجرامكم، وأنا بريء مما تجرمون، فنسبة قوله تعالى : ﴿إِجْرَامِى﴾ ، وهو الأول إلى قوله: (وعليكم إجرامكم)، وهو الثالث كنسبة قوله: (وأنتم برآء منه)، وهو الثاني إلى قوله تعالى:﴿وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ﴾ ، وهو الرابع، واكتفى من كل متناسبين بأحدهما"(٤).

ويلاحظ أن المعنى اللغوي مرتبط مع المعنى الاصطلاحي ارتباطًا وثيقًا، ومعبرًا عنه بوضوح، حتى إن: "مأخذ هذه التسمية من الحبك الذي معناه الشدّ والإحكام، وتحسين أثر الصنعة في الثوب، فحَبَك الثوبَ: شدَّ ما بين خيوطه من الفُرج، وشدُّه وإحكامه بحيث يمنع عنه الخلل مع الحسن والرونق، وبيان أخذه منه أن مواضع الحذف من الكلام شُبِّهت بالفُرَج بين الخيوط، فلما أدركها الناقد البصير بصوغه الماهر في نظمه وحوكه، فوضع المحذوف مواضعه

---

(١) معجم مقاييس اللغة (١٣٠/٢)، (باب الحاء والباء، وما يثلثهما).

(٢) المعجم الوسيط (٣١٩/١).

(٣) هود (٣٥).

(٤) البرهان في علوم القرآن (١٢٩/٣)، وانظر: الإتقان في علوم القرآن (١٦٤/٢).

كان حائكًا له مانعًا من خلل يطرقه، فسد بتقديره ما يحصل به الخلل، مع ما أكسبه من الحسن والرونق"[1].

وقيمته البلاغية: يعبر عنها السيوطي بقوله: "وهو من ألطف الأنواع، وأبدعها، وقلَّ من تنبَّه له، أو نبَّه عليه من أهل فن البلاغة، وذكره الزركشي في البرهان، ولم يسمِّه هذا الاسم، بل سمَّاه الحذف المقابلي"[2].

ومن أعظم دلائل قيمته البلاغية كثرة وروده في القرآن الكريم، وله مزيَّة أخرى، ذلك أنه يجعل العقل يذهب فيه لتدبُّر معانيه، مما يجعل المؤمن القارئ نشطًا في ترقُّب نظم الألفاظ، وتتبُّع جمل الكلام بمهارة وحذق.

ومن الاحتباك ما جاء في قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۚ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾[3] فهذا الأداء الراقي للأسلوب البياني القرآني أخرج المعنى بألفاظ وجيزة مع الإيضاح، فالأصل أن يقال: (لا يفتنكم الشيطان فيخرجكم من الجنة، كما فتن أبويكم فأخرجهما من الجنة)، فحذف (فيخرجكم من الجنة) من الجملة الأولى، ودلَّت عليها الجملة الثانية (كما أخرج أبويكم)، وحذف من الجملة الثانية (كما فتن أبويكم)، وقد أخذ القول المحذوف من قوله عز وجل (لا يفتنكم الشيطان). وهكذا قد حذف من الأول ما يدل عليه الثاني، وحذف من الثاني ما يدل عليه الأول.."[4].

جهود الألوسي في الاحتباك:

---

(١) الإتقان في علوم القرآن (٢/١٦٥).

(٢) المصدر نفسه (٢/٧٩).

(٣) الأعراف (٢٧).

(٤) البحر المحيط (٤/٢٨٤).

لقد تناول الألوسي الاحتباك في تفسيره لقوله ﷻ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾(١).

حيث قال :"إن كنتم مؤمنين، تكرير للاعتراض لتأكيد الإلزام، وتشديد التهويل، أي إن كنتم مؤمنين فلِمَ تقتلونهم، وقد حُذِف من كل واحدة من الشرطيتين ما حُذِف؛ ثقة بما أُثْبِت في الأخرى على طريق الاحتباك"(٢).

ويقول الألوسي في تفسيره لقوله سبحانه :﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓاْ إِصْلَٰحًا ۚ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٣)

"(ولهنَّ مثل الذي عليهنَّ بالمعروف) فيه صنعة الاحتباك، ولا يخفى لطفه فيما بين الزوج والزوجة، حيث حذف في الأول بقرينة الثاني، وفي الثاني بقرينة الأول، كأنه قيل: ولهنَّ عليهم مثل الذي لهم عليهنَّ"(٤).

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ۚ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾(٥).

يقول الألوسي :"وفي الآية صنعة الاحتباك؛ لأنه حُذِف من الثاني ما ذُكِر في الأول، وذُكِر فيه ما حُذِف من الأول، والتقدير سلامٌ منَّا عليك، وبركات أو وبركة منا عليك"(٦).

---

(١) البقرة (٩١).

(٢) روح المعاني (٣٢٥/١).

(٣) البقرة (٢٢٨).

(٤) روح المعاني (١٣٤/٢).

(٥) هود (٤٨).

(٦) روح المعاني (٧٣/١٢).

كما جاء الاحتباك في تفسير الألوسي لقوله تعالى: ﴿لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّـٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ۚ وَأَعَدَّ لِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾[1].

حيث قال :"وفي الكلام احتباك، والتقدير ليسأل الصادقين عن صدقهم، وأعدَّ لهم ثوابًا عظيمًا، ويسأل الكاذبين عن كذبهم، وأعدَّ لهم عذابًا أليمًا، فحذف من كل منهما ما ثبت في الآخر"[2].

---

(١) الأحزاب (٨).

(٢) روح المعاني (٢١/١٥٥).

المطلب الخامس
التورية

تعريفها:

أولاً في الغة: "ورَّيتُ الشيءَ وواريتُه: أخفيتُه، وتوارى هو استتر، وورَّيتُ الخبر أُوَرِّيه تورية إذا سترتُه، وأظهرتُ غيرَه"(١).

ثانيًا في الاصطلاح: "لفظ له معنيان، قريب وبعيد، وإرادة البعيد باعتماده على قرينة خفيَّة"(٢).

جهود الألوسي في التورية:

ومن شواهد التورية في القرآن الكريم قوله تعالى:﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾(٣).

يقول الألوسي معلِّقًا على الآية الكريمة، موضِّحًا المحسِّن البديعي فيها :"ويعلم ما جرحتم بالنهار أي ما كسبتم وعملتم فيه من الإثم، وهو الذي يقتضيه سياق الآية؛ فإنه للتهديد والتوبيخ، ولهذا أوثر يتوفاكم على يميتكم ونحوه، و جرحتم على كسبتم؛ إدخالاً للمخاطبين الكفرة في جنس جوارح الطير والسباع.. ففي قوله (جرحتم) تورية"(٤).

وقد تناول الألوسي التورية في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾(٥).

---

(١) لسان العرب (٣٨٦/١٥) مادة وري.

(٢) خلاصة المعاني (ص ٤١٩).

(٣) الأنعام (٦٠).

(٤) روح المعاني (١٧٣/٧).

(٥) النحل (١٥).

حيث قال: "أي تهتدون لها، فالتعليل بالنظر إلى قوله تعالى: (وسبلاً) كما هو الظاهر، ويجوز أن يكون تعليلاً بالنظر إلى جميع ما تقدَّم؛ لأن تلك الآثار العظام تدل على وجود فاعل حكيم، ففي قوله تعالى: تهتدون تورية حينئذ"[1].

كما تناول الألوسي التورية في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَأَن لَّا تَعْلُواْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّيٓ ءَاتِيكُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾[2].

حيث قال :"ولا يخفى حسن ذكر السلطان مع العلاء، وفيه تورية عن معنى الملك، مرشَّحة بقوله (ولا تعلوا)"[3].

وفي تفسيره لقوله تعالى:﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[4].

يقول الألوسي: "(يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم): تمثيل في اجتهادهم في إبطال الحق بحالة من ينفخ الشمس بفيه ليطفئها؛ تهكُّمًا وسخرية بهم، كما تقول الناس: هو يطفئ عين الشمس.. وفي قوله تعالى " بأفواههم" تورية"[5].

وفي تفسيره لقوله تعالى:﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ۝ وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴾[6].

يقول الألوسي :"والمراد بالنجم النبات الذي ينجم، أي يظهر ويطلع من الأرض، ولا ساق له، وبالشجر النبات الذي له ساق، والمراد بسجودهما انقيادهما له تعالى فيما يريد بهما، فشبّه جريهما على مقتضى طبيعتهما بانقياد الساجد لخالقه. والجمهور على تفسير النجم بما

---

(١) روح المعاني (١٤/١١٦).

(٢) الدخان (١٩).

(٣) روح المعاني (٢٥/١٢١).

(٤) الصف (٨).

(٥) روح المعاني (٢٨/٨٨).

(٦) الرحمن (٦).

ذُكِر؛ لأن اقترانه بالشجر يدل عليه، وإن كان تقدُّم الشمس والقمر يتوهَّم منه أنه بمعناه المعروف، ففيه تورية ظاهرة"[1].

(١) روح المعاني (٢٧/١٠٠).

المطلب السادس
المقابلة

تعريفها: أولاً في اللغة.

يقول ابن فارس :"القاف والباء واللام أصلٌ واحدٌ صحيحٌ، تدلُّ كَلِمُهُ كلُّها على مواجهةِ الشَّيء للشَّيء، ويتفرَّع بعد ذلك"[(١)].

ثانيًا في الاصطلاح:

"أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو معانٍ متوافقة، ثم بما يقابلها على الترتيب"[(٢)].

مثال مقابلة اثنين باثنين قوله تعالى: ﴿فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلاً وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا جَزَآءً بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾[(٣)]. فقابل بين يضحكوا وقليلاً، ويبكوا وكثيرًا. وقول النبي ﷺ: (إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه)[(٤)] فقابل بين يكون وشانه، وينزع وشانه.

ومته قوله ﷺ:(إنَّ من الناس مفاتيحَ للخير مَغَالِيقَ للشَّر)[(٥)].

فقابل بين مفاتيح والخير، ومغاليق والشر.

وقول النابغة:

فـتى تم فيــه مــا يســرُّ صــديقَهُ　　　　على أنَّ فيـه مـا يسـوءُ الأعاديـا[(٦)]

فقد قابل بين يسر وصديقه، ويسوء والأعاديا.

---

(١) معجم مقاييس اللغة (٥/٥٢).

(٢) الإيضاح (ص ٣٠٤).

(٣) التوبة (٨٢).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الرفق (٤/٢٠٠٤)، رقم (٢٥٩٤)، من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٥) سنن ابن ماجة (١/٨٦)، حديث رقم (٢٣٧).

(٦) الإيضاح (ص ٣٠٤).

وقول المتنبي:

ومـــن العـــداوة ماينالُـــكَ نفعُـــهُ   ومـــن الصَّـــداقة مـــا يضـــرُّ ويـــؤلمُ[1]

فقد قابل بين العداوة ونفعه، والصداقة ويؤلم.

جهود الألوسي في المقابلة:

لقد تحدَّث الألوسي عن المقابلة في تفسيره لقوله تعالى :﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ۝٥٩ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا﴾[2].

فقال :"المراد من الإيمان الصلاة كما في قوله تعالى (وما كان الله ليضيع إيمانكم)[3]، ويكون ذكره في مقابلة إضاعة الصلاة، وذكر العمل الصالح في مقابلة اتباع الشهوات، فأولئك المنعوتون بالتوبة والإيمان والعمل الصالح يدخلون الجنة بموجب الوعد المحتوم. ولا يخفى ما في ترك التسويف مع ذكر أولئك من اللطف"[4].

---

(١) ديوان المتنبي (٤/٢٥٩).

(٢) مريم (٥٩-٦٠).

(٣) يقول ابن كثير: وقوله: "إلا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلا صَالِحًا"، أي: إلا من رجع عن ترك الصلوات واتباع الشهوات، فإن الله يقبل توبته، ويحسن عاقبته، ويجعله من ورثة جنة النعيم" . انظر: مختصر تفسير ابن كثير: اختصار وتحقيق: محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم، بيروت، لبنان، الطبعة السابعة ١٤٠٢هـ - ١٩٨١م. (٢/٤٥٨).

(٤) روح المعاني (١٦/١١٠).

المطلب السابع
المشاكلة

تعريفها:

أولاً في اللغة :"الشين والكاف واللام مُعظمُ بابهِ المماثلة. تقول: هذا شَكل هذا، أي مِثله. ومن ذلك يقال أمرٌ مُشْكِل، كما يقال أمر مُشتبِه، أي هذا شابَه هذا، وهذا دخل في شِكل هذا"(١).

ثانيًا في الاصطلاح:

"هي ذكر الشيء بلفظ غيره؛ لوقوعه في صحبته تحقيقًا أو تقديرًا" أما الأول فكقوله:

قالوا: اقترح شيئًا نجد لك طبخه   قلت: اطبخوا لي جُبَّة وقميصا[٢]

ومنه قول عمرو بن كلثوم في معلقته:

ألا لا يجهلن أحد علينا   فنجهل فوق جهل الجاهلينا[٣]

أي فنجازيه على جهله، فجعل لفظة نجهل موضع فنجازيه؛ لأجل المشاكلة(٤).

وأما الثاني فكقوله تعالى: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَـٰبِدُونَ﴾(٥).

فصبغة مصدر مؤكد منتصب عن قوله (آمنا بالله) قبله، والمعنى تطهير الله؛ لأن الإيمان يطهر النفوس، والأصل فيه أن النصارى كانوا يغمسون أولادهم في ماء أصفر، يسمونه المعمودية، ويقولون: هو تطهير لهم، فأُمِر المسلمون أن يقولوا لهم: (قولوا آمنا بالله)، وصبغنا الله بالإيمان صبغة لا مثل صبغتنا، وطهرنا به تطهيرًا لا مثل تطهيرنا، أو يقول المسلمون:

---

(١) معجم مقاييس اللغة (٣/١٥٩).

٢) لم أقف على قائل للبيت.

٣) ديوان عمرو بن كلثوم. شرح: عبد القادر محمد مايو. دار القلم، حلب، سوريا، الطبعة الأولى. ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م. (ص ٧٩).

(٤) خزانة الأدب (٢/٢٥٢).

(٥) البقرة (١٣٨).

صبغنا الله بالإيمان صبغة، ولم يصبغ صبغتكم، وجيء بلفظ الصبغة للمشاكلة، وإن لم يكن تقدَّم لفظ الصبغ؛ لأن قرينة الحال التي هي سبب النزول -من غمس النصارى أولادهم في الماء الأصفر- دلّت على ذلك، كما تقول لمن يغرس الأشجار: اغرس كما يغرس فلان، تريد رجلاً يصطنع الكرم"[1].

جهود الألوسي في المشاكلة:

لقد تناول الألوسي المشاكلة في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾[2].

حيث قال :"والمراد تعلم معلومي الذي أخفيه في قلبي، فكيف بما أعلنه، ولا أعلم معلومك الذي تخفيه.. وسلك في ذلك مسلك المشاكلة"[3].

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾[4] يقول الألوسي: "نسوا الله: النسيان مجاز عن الترك، وهو كناية عن ترك الطاعة، فالمراد لم يطيعوه سبحانه فنسيهم، مع لطفه وفضله عنهم، والتعبير بالنسيان للمشاكلة"[5].

وقد تطرق الألوسي للحديث عن المشاكلة في تفسيره لقوله تعالى:﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ ۖ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ ۚ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[6].

---

(١) الإيضاح (ص ٣٠٩).

(٢) المائدة (١١٦).

(٣) روح المعاني (٦٧/٧).

(٤) التوبة (٦٧).

(٥) روح المعاني (١٣٣/١٠).

(٦) النور (٤٥).

وذلك بقوله :"من يمشي على بطنه كالحيَّات والسمك، وتسمية حركتها مشيًا –مع كونها زحفًا– مجاز؛ للمبالغة في إظهار القدرة، وأنها تزحف بلا آلة كشبه المشي وأقوى، ويزيد ذلك حسنًا ما فيه من المشاكلة، لذكر الزاحف من الماشين"(١).

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ۝ فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ﴾ (٢) قال الألوسي: "وعبَّر عن الخرور بالإلقاء؛ لأنه ذكر مع الإلقاءات، فسلك به طريق المشاكلة"(٣).

كما تناول الألوسي المشاكلة في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾(٤).

حيث قال: "(ننساكم): أي نترككم في العذاب، من باب إطلاق السبب على المسبَّب؛ لأن من نسي شيئًا تركه، أو نجعلكم بمنزلة الشيء المنسي غير المبالى به، ففي النسيان الأول مشاكلة"(٥).

---

(١) روح المعاني (١٨/١٩٣).

(٢) الشعراء (٤٥-٤٦).

(٣) روح المعاني (١٩/٧٨).

(٤) الجاثية (٣٤).

(٥) روح المعاني (٢٦/٢).

المبحث الثاني

المحسِّنات اللفظية

وفيه ثلاثة مطالب

المطلـــــب الأول: الجناس

المطلــب الثـــاني: الفاصلة القرآنية.

المطلــب الثالــث: رد العجز على الصدر.

المطلب الأول
الجناس

الجناس في اللغة:

"بكسر الجيم، وهو لغةً مصدر جانس، ويسمَّى التجنيس، والمجانسة، وهو مشتق من حروف الجنس؛ لأن كلاً من اللفظين المتجانسين من جنس"(١).

وفي اصطلاح البلاغيين:

"الجناس بين اللفظين هو تشابههما في اللفظ"(٢) مع الاختلاف في المعنى، ولا يشترط في الجناس تشابه جميع الحروف، وإنما يكتفى في التشابه ما تعرف به المجانسة، وهي: "أن تشبه اللفظةُ اللفظةَ في تأليف حروفها"(٣).

والجناس ضربان: "التام، وهو أن يتَّفق اللفظان في أنواع الحروف، وأعدادها، وهيئاتها، وترتيبها، وهو أنواع.

والضرب الثاني؛ غير التام: وهو ما اختلف فيه اللفظان في واحد أو أكثر من الأمور الأربعة المذكورة، وهي: نوع الأحرف، وعددها، وهيئاتها، وترتيبها، ويأتي هذا الجناس على أنواع كذلك"(٤).

والجناس من أكثر أنواع البديع تفريعًا، وأقسامه متشعِّبة.

---

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة (٤٨٦/١)، (باب الجيم والنون، وما يثلثهما).

(٢) الإيضاح (ص ٣٣٣).

(٣) انظر: البديع لأبي العباس عبد الله بن المعتز، تقديم وشرح: د. محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م. (ص ٢٥).

(٤) انظر: المطول (ص ٦٨٢).

المراد بقوله: أنواع الحروف، أن يتفقا (أي اللفظان) في أنواع الحروف، وكل من الألف والباء والتاء إلى الآخر نوع آخر من الحروف، ويخرج بذلك يفرح ويمرح، وفي أعدادها: يخرج نحو الساق والمساق، وفي هيآتها يخرج به نحو: البَرد والبُرد. انظر: المطول (ص ٦٨٢).

وللجناس مكانته في البلاغة، واشترطوا لذلك ألا يكون متكلَّفًا، بأن يأتي في السياق مؤديًا معنىً. ولقد قال فيه عبد القاهر الجرجاني: "أما التجنيس، فإنك لا تستحسن تجانس اللفظتين إلا إذا كان موقع معنييهما من العقل موقعًا حميدًا، ولم يكن مرمى الجامع بينهما مرمى بعيدًا، فقد تبين لك أن ما يُعطي التجنيس من الفضيلة أمر لم يتم إلا بنصرة المعنى، إذ لو كان باللفظ وحده، لما كان فيه مستحسن، ولما وُجد فيه معيب مستهجن، ولذلك ذُمَّ الاستكثار منه والوَلُوع به"[1].

أثر الجناس:

أ- "في الكلام: عظيم الموقع في البلاغة، جليل القدر في الفصاحة، ولولا ذلك لما أنزل الله كتابه المجيد وقد استعمل فيه هذا اللون البديعي.

ب- وفي النفوس: يحدث ميلاً وإصغاءً إليه؛ بتشويق السامع إلى معنى اللفظ الآخر "[2].

"فإن مناسبة الألفاظ تحدث ميلاً وإصغاءً إليها، ولأن اللفظ المشترك إذا حُمِل على معنى، ثم جاء والمراد به آخر، كان للنفس تشوُّق إليه"[3].

جهود الألوسي في الجناس:

لقد جاء الجناس في تفسير الألوسي لقوله تعالى: ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَـٰسِقِينَ﴾[4].

حيث قال الألوسي: "(وما وجدنا لأكثرهم) فإنها كما في قولك: ما وجدتُ لزيد مالاً، أي ما صادفت له مالاً ولا لقيته. (وإن وجدنا أكثرهم) أي علمناهم، كقولك: وجدتُ زيدًا فاضلاً، وبين وجد هذه، ووجد السابقة فيه الجناس التام المماثل"[1].

---

(١) أسرار البلاغة (ص ٧-٨).

(٢) انظر: كتاب الطراز (١٩٦/٣).

(٣) الإتقان في علوم القرآن (٢٤٤/٢).

(٤) الأعراف (١٠٢).

وفي تفسيره لقوله سبحانه: "﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٣﴾ يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ﴾ (٢).

يقول الألوسي: "فالأبصار الأخيرة هنا جمع بَصَر بمعنى البصيرة بخلافها فيما سبق، والتعبير بذلك دون البصائر للإيذان بوضوح الدلالة، وتفاديًا لذهاب حسن التجنيس. فبين الأبصار الأولى والثانية جناس تام"(٣).

---

(١) روح المعاني (١٧/٩).

(٢) النور (٤٣-٤٤).

(٣) روح المعاني (١٩٢/١٨).

المطلب الثاني
الفاصلة القرآنية

تعريف الفاصلة:

أولاً في اللغة:

جاء في معاجم اللغة :"والفاصلة الخرزة التي تفصل بين الخرزتين في النظام، وقد فصَّل النظمَ، وعِقْدٌ مفصَّل: أي جعل بين كل لؤلؤتين خرزة، وقوله ﷻ :"كتاب فصَّلناه" له معنيان، أَحدهما تَفْصِيل آياتِه بالفواصِل، والمعنى الثاني في فَصَّلناه بيَّنَّاه. وقوله ﷻ (آيات مفصَّلات) بين كل آيتين فَصْل، تمضي هذه وتأْتي هذه، بين كل آيتين مهلة، وقيل مفصَّلات مبيَّنات. وسمي المفَصَّل مَفصَّلاً لقِصَر أَعداد سُوَرِه من الآي"[1].

ثانيًا في اصطلاح البلاغيين:

"هي الألفاظ المتواطؤ عليها في أواخر الفقر"[2].

وفواصل الآي الكريم تتعلَّق بمضمون الآية، وتتناسب مع سياق نظمها، وهذا من إعجاز الذكر الحكيم. يقول الزركشي :"اعلم أن من المواضع التي يتأكد فيها إيقاع المناسبة مقاطع الكلام وأواخره، وإيقاع الشيء فيها بما يشاكله، فلا بد أن تكون مناسبة للمعنى المذكور أولاً، وإلا خرج بعض الكلام عن بعض . وفواصل القرآن العظيم لا تخرج عن ذلك، لكن منه ما يظهر، ومنه ما يستخرج بالتأمل للبيب"[3].

ويقول عن قيمة الفاصلة في تمكين معنى الآية: "وذلك بأن تمهد قبلها تمهيدًا تأتي به الفاصلة ممكَّنة في مكانها، مستقرَّة في قرارها، مطمئنة في موضعها، غير نافرة ولا قلقة، متعلقًا

---

(١) لسان العرب (٥٢١/١١)، (مادة فصل).

(٢) المطول (ص ٦٩٥).

(٣) البرهان في علوم القرآن (٧٨/١).

معناها بمعنى الكلام كله تعلقًا تامًا، بحيث لو طرحت اختلّ المعنى، واضطرب الفهم. وهذا الباب يطلعك على سر عظيم من أسرار القرآن"[1].

وبذلك يتبين في شأن الإعجاز البلاغي أنه: "ما من فاصلة قرآنية إلا وسياق الآية يقتضي لفظها ومعناها، بحيث لا يتسهّل في النظم الكريم أن يقع في مكانها سواها، وإنما الأجمل بنا أن نقرّ بقصور الإدراك فينا؛ فهو آدب وأتقى"[2].

وهذا ما ذهبت إليه بنت الشاطئ بقولها: "ومقتضى الإعجاز أنه ما من فاصلة قرآنية لا يقتضي لفظها في سياقه دلالة معنويَّة لا يؤديها لفظ سواه قد نتدبره فنهتدي إلى سرِّه البياني، وقد يغيب عنا فنُقرّ بالقصور عن إدراكه. فالبلاغة من حيث هي فن القول لا تفصل بين جوهر المعنى، وبين أسلوب أدائه، ولا تعتد بمعانٍ جليلة تقصر الألفاظ عن التعبير البليغ عنها، كما لا تعتد بألفاظ جميلة تضيع المعنى أو تجوز عليه ليسلم لها زخرف بديعي. وهذا هو الحد الفاصل بين فنيَّة البلاغة كما تجلوها الفواصل القرآنية بدلالتها المعنوية المرهفة، ونسقها الفريد في إيقاعها الباهر، وبين ما تقدمه الصنعة البديعية من زخرف لفظي يُكْرِه الكلمات على أن تجيء في غير مواضعها"[3].

الفاصلة ليست مجرد توافق ألفاظ:

"من الباحثين من ينظر إلى الفاصلة أو السجع في الكلام عامَّة على أنه مناسبة لفظيَّة مرغوبة ومطلوبة في اللغة العربية، فهي تريح القارئ من البهر، وترشده إلى تلوين الصورة، وإجادة الوقف، وتزيد من روعة التلاوة بما تخلع عليها من إيقاع محبَّب، وتمد القرَّاء بألوان من التنغُّم المؤثر، والتطريب الأخاذ .

---

(١) البرهان في علوم القرآن (١/ ٧٩).

(٢) انظر النظم القرآني في آيات الجهاد، تأليف: ناصر بن عبد الرحمن الخنين، مكتبة التوبة، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م. (ص ٤٢٦).

(٣) الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، دراسة قرآنية لغوية وبيانية. الدكتورة: عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ، دار المعارف- الطبعة الثانية، ١٩٨٠م. (ص ٢٧٨).

وهذا إن صدق في سجع الكتّاب فلا يصدق إطلاقًا على الفاصلة في القرآن الكريم، فعلينا ألا ننظر إلى بلاغة الفاصلة في القرآن هذه النظرة المحدودة التي لا تكاد تتجاوز الألفاظ والصيغ، فإن هذه الصورة اللفظيَّة الحسيَّة مع جمالها لا يصح أن تصرفنا ولا تحجب عن ذهننا ما استتر فيها من بدائع الأسرار ودقائق الأغراض.

والفاصلة في القرآن لها مزيّة هامة ترتبط بما قبلها من الكلام، بحيث تنحدر على الأسماع انحدارًا وكأن ما سبقها لم يكن إلا تمهيدًا لها، وبحيث إذا حُذِفت لاختل المعنى في الآية، ولو سكت عنها القارئ لاستطاع السامع أن يختمه بها انسياغًا مع الطبع والذوق السليم. فليست فواصل القرآن مجرد توافق ألفاظ وأوزان، بل لها علاقة وثيقة بما قبلها من نص في الآية.

ونحن نحس عندما نسمع القرآن الكريم أو نتلوه أن لهذه الفواصل نغمات نفسيَّة ومعنويَّة، وإيقاعًا يعطي الإنسان رَوْحًا، ويحس عندها بمتعة فنِّية مؤثرة تثبت في الفؤاد الطمأنينة والارتياح"[(١)].

جهود الألوسي في الفاصلة القرآنية:

والألوسي يفرق بين السجع والفواصل، فيرى أن الذي بالقرآن هو فواصل وليس بسجع، وذلك يظهر جليًّا في قوله :" فواصل القرآن لا يلاحظ فيها الحرف الأخير كالسجع، فالمراعاة حاصلة على كل حال"[(٢)].

فكأن الألوسي يرى أن السجع لا يهتم إلا بالنظر إلى نهاية الحرف الأخير من الكلمة. ويتَّضح ذلك أكثر في تفسير الألوسي لقوله تعالى: ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴾[(٣)].

---

(١) الفاصلة القرآنية، تأليف: عبد الفتاح لاشين، دار المريخ للنشر. الرياض، المملكة العربية السعودية. (ص٧).

(٢) روح المعاني (٧/٢).

(٣) فصلت (٤٢-٤٣).

حيث قال :"واختيار أليم على شديد –مع أنه أنسب بالفواصل– للإيماء إلى أن نظم القرآن ليس كالأسجاع والخُطَب، وإن حسنه ذاتي، والنظر فيه إلى المعاني دون الألفاظ، ويحسن وصف العقاب به هنا كون العقاب جزاء التكذيب المؤلم"(1).

ويتناول الألوسي ألفاظ الآي مبيِّنًا العلاقة الرابطة بينها، موضحًا الدور المهم الذي تلعبه الفواصل في هذا الجانب، ففي تفسيره لقوله تعالى: ﴿ أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا۟ بِهِۦ يُشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾(2) يقول الألوسي :"والتعبير بالمضارع في (إذا هم يقنطون)؛ لرعاية الفاصلة، والدلالة على الاستمرار في القنوط"(3).

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ﴾ (4).

يقول الألوسي :"أي أتريدون آلهة من دون الله تعالى إفكًا، أي للإفك، فقدّم المفعول به على الفعل لرعاية الفاصلة، و للعناية"(5).

كما يقول الألوسي في تفسير قوله تعالى: ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾(6).

"وأردف الأمر بهذا النهي؛ ليفيد عموم الأزمان، وحذف ياء المتكلّم تخفيفًا لتناسب الفواصل"(7).

---

(1) روح المعاني (١٢٩/٢٤).

(2) الروم (٣٥-٣٦).

(3) روح المعاني (٤٣/٢١).

(4) الصافات (٨٥-٨٦).

(5) روح المعاني (١٠٠/٢٣).

(6) البقرة (١٥١-١٥٢).

(7) روح المعاني (١٩/٢).

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيۡنَهُمۡ أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٤٤ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجٗا وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ كَٰفِرُونَ ﴾[1].

يقول الألوسي: "والجار –في بالآخرة– متعلّق بما بعده، والتقديم لرعاية الفواصل"[2].

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ أَتَىٰكُمۡ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوۡ نَهَارٗا مَّاذَا يَسۡتَعۡجِلُ مِنۡهُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ۝٥٠ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓۚ ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ كُنتُم بِهِۦ تَسۡتَعۡجِلُونَ﴾[3].

يقول الألوسي :"وتقديم الجار والمجرور على الفعل –في به تستعجلون– لمراعاة الفواصل"[4].

ويقول الألوسي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَئِنۡ أَذَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِنَّا رَحۡمَةٗ ثُمَّ نَزَعۡنَٰهَا مِنۡهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٞ كَفُورٞ ۝٩ وَلَئِنۡ أَذَقۡنَٰهُ نَعۡمَآءَ بَعۡدَ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّيٓۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٞ فَخُورٌ﴾[5].

"كفور: كثير الكفران لما سلف لله –تعالى– عليه من النعم، وتأخير هذا الوصف عن وصف يأسهم لرعاية الفواصل "[6].

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرٗا ۝٣٣ وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا ۝٣٤ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرٗا ﴾[7] .

يقول الألوسي: "والباء متعلّقة ببصيرًا، قُدِّمت عليه لمراعاة الفواصل"[8].

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿قَالَ بَلۡ أَلۡقُواْۖ فَإِذَا حِبَالُهُمۡ وَعِصِيُّهُمۡ يُخَيَّلُ إِلَيۡهِ مِن سِحۡرِهِمۡ أَنَّهَا تَسۡعَىٰ ۝٦٦ فَأَوۡجَسَ فِي نَفۡسِهِۦ خِيفَةٗ مُّوسَىٰ ﴾[9].

---

(١) الأعراف (٤٤-٤٥).

(٢) روح المعاني (١٢٣/٨).

(٣) يونس (٥٠-٥١).

(٤) روح المعاني (١٣٥/١١).

(٥) هود (٩-١٠).

(٦) روح المعاني (١٥/١٢).

(٧) طه (٣٣-٣٥).

(٨) روح المعاني (١٨٦/١٦).

(٩) طه (٦٦-٦٧).

يقول الألوسي: "وتأخير الفاعل (موسى عليه السلام) لمراعاة الفواصل"[1]

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَئِن جَآءَ نَصۡرٞ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمۡۚ أَوَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝١٠ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ﴾[2].

يقول الألوسي: "وكان تلوين الخطاب -في الذين آمنوا والمنافقين- لرعاية الفواصل"[3].

ويقول الألوسي في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيۡظِهِمۡ لَمۡ يَنَالُواْ خَيۡرٗاۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلۡقِتَالَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزٗا ۝٢٥ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمۡ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَ فَرِيقٗا تَقۡتُلُونَ وَتَأۡسِرُونَ فَرِيقٗا ﴾[4].

"قُدِّم المفعول في الجملة الأولى (فريقًا)؛ لأن مساق الكلام لتفصيله، وأُخِّر في الثانية لمراعاة الفواصل"[5].

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا خَلَقۡنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتۡ أَيۡدِينَآ أَنۡعَٰمٗا فَهُمۡ لَهَا مَٰلِكُونَ ۝٧١ وَذَلَّلۡنَٰهَا لَهُمۡ فَمِنۡهَا رَكُوبُهُمۡ وَمِنۡهَا يَأۡكُلُونَ ﴾[6].

يقول الألوسي: "فلها متعلِّق بـ(مالكون)، واللام مقويَّة للعمل، وقُدِّم لرعاية الفواصل مع الاهتمام"[7].

وأيضا يقول: "وتغيير النظم الجليل في الأكل لمراعاة الفواصل، كما أن تقديم الجار والمجرور لذلك"[8].

---

(١) روح المعاني (١٦/٢٢٨).

(٢) العنكبوت (١٠-١١).

(٣) روح المعاني (٢٠/١٤٠).

(٤) الأحزاب (٢٥-٢٦).

(٥) روح المعاني (٢١/١٧٦).

(٦) يس (٧١-٧٢).

(٧) روح المعاني (٢٣/٥١).

(٨) روح المعاني (٢٤/٩٠).

المطلب الثالث
رد العَجز على الصدر

تعريفه:

أولاً في اللغة: من (صَدَرَ) "الصاد، والدال، والرَّاء أصلان صحيحان، أحدهما يدل على خلاف الوِرْد، والآخر: صدر الإنسان وغيره، ومن التصدير، وهو حبل يُصَدَّر به البعير لئلا يُردَّ حمله إلى خَلْفه"[1].

ثانيًا في الاصطلاح: "هو أن يجعل أحد اللفظين المكرَّرين أو المتجانسين أو الملحقين بها في أول الفقرة، والآخر في آخرها، كقوله تعالى: ﴿وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ﴾[2]، وكقولهم: سائل اللئيم يرجع ودمعه سائل"[3].

ومنه قول امرئ القيس:

إذا المرءُ لم يخزُن عليه لسانَه ... فليس على شيء سواه بخزَّانِ[4]

وقد ورد هذا الأسلوب كثيرًا في آي الذكر الحكيم، وقد اعتنى به البلاغيون عناية فائقة، وأنزلوه منزلة عظيمة، واهتم بذكره المفسرون، حيث يتعرَّضون إليه بشيء من التوضيح والتفصيل؛ وذلك للدور البارز الذي يلعبه هذا المحسِّن البديعي في رسم الصورة الفنِّية التي تحتوي عليها الآيات.

---

(١) معجم مقاييس اللغة (٣/٣٣٧) (باب الصاد والدال، وما يثلثهما).

(٢) الأحزاب (٣٧).

(٣) الإيضاح (ص ٣٣٨).

(٤) ديوان امرئ القيس (ص ١١٤).

يقول صاحب البحر المحيط في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾(١).

"انظر إلى حسن اعتنائه بنبيِّه، وتشريفه بخطابه، حيث بدأ به في الجملتين معًا فقال : (ما عليك من حسابهم من شيء)، ثم قال : (وما من حسابك عليهم من شيء)"، فقدَّم خطابه في الجملتين، وكان مقتضى التركيب الأول لو لوحظ أن يكون التركيب الثاني (وما عليهم من حسابك من شيء)، لكنه قدَّم خطاب الرسول وأمره تشريفًا له عليهم، واعتناءً بمخاطبته، وفي هاتين الجملتين ردّ العجز على الصدر، ومنه قول الشاعر :

وليس الذي حللته بمحلل وليس الذي حرمته بمحرّم (٢)

جهود الألوسي في رد العجز على الصدر:

لقد تطرَّق إليه الألوسي في تفسيره لقوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾(٣).

حيث قال :"وإنما لم يقل –سبحانه– في النظم (تعبدون) لأجل اعبدوا، أو (اتقوا) لأجل تتقون؛ ليتجاوب طرفاه، مع اشتماله على صنعة بديعة من ردّ العجز على الصدر؛ لأن التقوى قصارى أمر العابد، فيكون الكلام أبعث على العبادة، وأشدَّ إلزامًا"(٤).

---

(١) الأنعام (٥٢).

(٢) تفسير البحر المحيط (٤/١٤١).

(٣) البقرة (٢١).

(٤) روح المعاني (١/١٨٧).

الخاتمة

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، على ما أنعم به عليّ من نِعَم عظيمة، ومن هذه النعم كتابة هذا البحث، فالفضل والمنَّة له أولا وآخرَ، و (لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ).

وفي خاتمة هذا البحث أسأل الله سبحانه أن يتقبَّله بقبول حسن، وأن يجعله خالصًا لوجهه الكريم، وأن ينتفع به جميع الطلاب والقرَّاء، وكل محبِّي الفنون اللغوية، والبلاغية على وجه الخصوص..

فقد تبيَّن للباحث بما لا يدع للشك مجالاً تلك الجهود القيِّمة التي قدّمها الألوسي في خدمة كتاب الله، وتحليل آياته، وإخراج الصور البلاغية الرائعة التي تشتمل عليها الآيات، فقد أسهم أبو الثناء الألوسي في إثراء الساحة البلاغية بنصيب وافر، وجهد مقدَّر يعين على تدبُّر وتأمُّل كتاب الله.

وهذا العمل الخالص الذي قام به الألوسي ليس غريبًا عليه، بل هو بالفعل أهل لأن يساهِم بمثل ذلك في خدمة كتاب الله، فقد اتَّضح لنا جليًّا –إضافة لما عرفناه عن سيرته في الفصل الأول– أنه كان يواصل الليل بالنهار في تأليف كثير من مؤلفاته، فرجل أعطى عمله كل هذا الاهتمام، وواجه كل هذه المشاق، حري أن يأتي عمله غاية في الدِّقَّة والروعة التي لمسناها من خلال هذا البحث.

وأيضًا تبين لنا من خلال هذا البحث ما يدل على مكانة الألوسي العلمية، فتلك المؤلفات التي خلفها لهي خير شاهد على سمو مكانته العلمية، حيث تمتاز مؤلفاته بالمادة النفيسة، والأسلوب السلس، وتناول أهم الدقائق في المسألة التي يتطرق لها..

وأهم مؤلفاته كتابه (روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني)، حيث إن اختياري له ليكون موضوعًا لأطروحتي هذه جاء بعد اطلاعي عليه، وتقليبي لصفحاته بتأنٍّ رأيت أنه الأنسب لأتناوله بالدراسة.

فقد شملت الدراسة الفنون البلاغية بضروبها المختلفة، وبأقسامها المتعدِّدة، حيث تبين لنا ما أضافه الألوسي من الصور البلاغية الرائعة، حيث رأينا ذلك من خلال الفصل الذي خصصته لمسائل علم المعاني، وما تضمنه من أساليب الخبر والإنشاء، والصور التي بين الألوسي أن فيها خروج الكلام عن مقتضى الظاهر، حيث حفلت كل هذه الصور بالعديد من الأدلة على ما ذهب إليه الألوسي.

كما لمسنا الدِّقَّة المتناهية التي تناول بها الألوسي أسلوب الفصل والوصل، فهو عندما يبين موضع هذا الأسلوب لا يترك الأمر معرًّى عما يعضض قوله، بل وجدناه يقف مبرهنًا بأسلوب مقنع سبب الفصل أو الوصل بين الجمل التي يتناولها.

أما الأساليب البيانية فلا يخفى جهد الألوسي فيها، حيث اتضح لنا دوره في كل مسائل البيان من تشبيه ومجاز وكناية، حيث لا نكون مبالغين إذا قلنا إن روح المعاني حلَّة بيانية زاهية صاغها الألوسي بمهارة وإبداع.

وفي الصور البديعية تبينت مكانة الألوسي في تأكيد أهمية هذا الفن في تبيين ما يحمله القرآن الكريم من صور بلاغية، حيث تبين لنا دور المحسنات المعنوية واللفظية في إيضاح الصورة الفنية التي تفيض بها آيات الذكر الحكيم، كما لمست أن الألوسي نأى بنفسه عن الخوض في قضية السجع في القرآن الكريم، فهو يرى أن الذي بالقرآن فواصل لا سجع، ومع هذا لم يستنكر على من ذهبوا إلى وجود السجع بالقرآن، كما أنه لم يناصر الفريق الذي ذهب إلى نفي السجع عن القرآن.

وإنني بعد أن أكملت كتابة هذا البحث لَأجد بعض التوصيات التي تجدر الإشارة إليها، والتنبيه إلى أهميتها، وأهم هذه التوصيات ما يلي :

أن البحث في موضوع البلاغة القرآنية يحتاج إلى مزيد من الدراسات التي ينبغي أن تُجْرَى فيه؛ وذلك لأن البلاغة القرآنية تعجُّ بالأسرار والدقائق النفيسة التي تحتاج إلى من يتأمَّلها، ويقف عندها، فأوصي جميع الباحثين في مجال الدراسات البلاغية أن يركِّزوا على البحث في مجال البلاغة القرآنية، وأن تغلب على طابع رسائلهم النواحي القرآنية.

الباحث.

Abstract

The researcher revealed that the valuable efforts provided by Al Allowsi in the analysis and illustration of Q'uran and thus provided good descriptions to the contents of Ayas. Al Allowsi contributed greatly to the eloquence discipline in his readings and deep thoughts on Q'uran.

The valuable works of Al Allowsi is not surprised for such scholar, in that he contributed to serve Q'uran. It is clear that from his life, in chapter one he was hardly devoted in reading, preparing and producing of many works, he put great interest and faced many difficulties so as to brought about such articles as we seen in this research.

Also, through this research we concluded that Al Allowsi approached higher scientific status, and all his works represent a clear indicator for this status. His works characterized by excellent content, fluent language, and dealt with the most important problems.

The prominent works of Al Allowsi was his book "The Sprit of Meanings in Illustration of Q'uran", which the researcher selected to be the topic of the research after careful readings.

As shown in chapter two, which dealt with meanings science, the study included the different eloquence forms, from which we concluded the additions of Al Allowsi, who added methods in composition and proposition, in which he explained the

underlying meanings of talk, giving many statements to prove his view.

Moreover, we approached his precise study of continuity and discontinuity between phrases he dealt with.

Concerning diction modes, it has been found that Al Allowsi has great role it all its aspects including imagery, similitude, and attribution, in the sole of meanings clearly evident in his works and formulations.

Al Allwosi emphasized on the importance of lulu in Q’ran and its eloquence images, and the role spiritual and verbal pictures in clarification of the artificial image of Quran. He seek in the rhyme in Quran, and he approached that there in no rhyme in Quran but separations.

The most important recommendation is to conduct more studies in the issue of Quran eloquence, in that it contains many secrets that need more study and thinking, thus the researcher must seek it and study it in full details.

فهرس الآيات

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ... ﴾	١٢٠	١٢١
﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَـٰبِدُونَ ﴾	١٣٨	٢٦٩
﴿ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ ...﴾	١٤٢	١٠٨
﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ ﴾	١٤٥-١٤٦	١٧٦
﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ ...﴾	١٥١-١٥٢	٢٧٩
﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّـٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ ﴾	٢٥٦	٢٠٨
﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ ...﴾	١٧١	١٦٨
﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَـٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾	١٨٧	٢٣٨
﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ...﴾	٢١٠	٨٥
﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ ...﴾	٢٢٢	٧١
﴿وَٱلْمُطَلَّقَـٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَـٰثَةَ قُرُوٓءٍ ۚ ... ﴾	٢٢٨	٢٦٣
﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ...﴾	٢٣٢	١١٠
﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَـٰتٍ ۚ ...﴾	٢٥٣	١٠١
﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ ...﴾	٢٦٠	٧٩
﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ ﴾	٢٦١	١٦٣
﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَـٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ ﴾	٢٦٤	١٧١
﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ﴾	٢٦٥	١٦١
﴿وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ ...﴾	٢٦٧	٧١
﴿ إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَـٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ ...﴾	٢٧١	٢٥١
﴿ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾	٢٧٢	٢٣٥
﴿يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ﴾	٢٧٣	٢٣٦
﴿وَٱسْتَشْهِدُوا۟ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ ۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ ...﴾	٢٨٢	١١٠
﴿وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا۟ كَاتِبًا فَرِهَـٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ﴾	٢٨٣	٢١٠
سورة آل عمران		
﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾	٩	١٠٢

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ...﴾	١٠-١١	١٠٣
﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴾	١٢	٩٥
﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ ...﴾	١٨	٢٠٨
﴿وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ ...﴾	٢٠	٨٤
﴿قُلْ إِن تُخْفُواْ مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ ...﴾	٢٩	١٤٥
﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ ..﴾	٣٦	٦٦
﴿ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ ...﴾	٥٢	٢١٠
﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾	١٠٣	٢٠٧
﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾	١٠٧	١٩٧
﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ...﴾	١١٠	١٢٩
﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ...﴾	١١٠	١٤٣
﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾	١١٠-١١١	٢٤٣
﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ﴾	١١٧	١٧١
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾	١٣٠	٧٤
﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ...﴾	١٣٥	١٤٥
﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾	١٤٣	٦٧
﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا ...﴾	١٧٣	٩٤
سورة النساء		
﴿وَءَاتُوا ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ﴾	٢	١٩٧
﴿وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً ۚ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا﴾	٤	٧٠
﴿وَٱلَّذَانِ يَأْتِيَٰنِهَا مِنكُمْ فَـَٔاذُوهُمَا ۖ فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمَآ ۗ ... ﴾	١٦	١١٠
﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلًا عَظِيمًا﴾	٢٧	٢١١
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ ...﴾	٢٩	٧٤
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ ﴾	٤٣	٢٣٧
﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ... ﴾	٦٥	٩٢

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنۡ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتۡنَاۚ ...﴾	١٢٦	٢٥٧
﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِيٓ أَيۡدِيهِمۡ وَرَأَوۡاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ ضَلُّواْ قَالُواْ لَئِن لَّمۡ يَرۡحَمۡنَا رَبُّنَا ﴾	١٤٩	٢٤٤
﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلۡغَضَبُ أَخَذَ ٱلۡأَلۡوَاحَۖ وَفِي نُسۡخَتِهَا هُدٗى وَرَحۡمَةٞ﴾	١٥٤	٢٢٦
﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ ﴾	١٧٥-١٧٦	١٨٠
﴿وَإِذَا لَمۡ تَأۡتِهِم بِـَٔايَةٖ قَالُواْ لَوۡلَا ٱجۡتَبَيۡتَهَاۚ قُلۡ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ مِن رَّبِّيۚ ﴾	٢٠٣	١٧٧
سورة الأنفال		
﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ ...﴾	٢-٤	١٩٠
﴿ لَّوۡلَا كِتَٰبٞ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمۡ فِيمَآ أَخَذۡتُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ...﴾	٦٨-٦٩	٧٠
سورة التوبة		
﴿بَرَآءَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ...﴾	١-٢	١٠٢
﴿ٱشۡتَرَوۡاْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلٗا فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِهِۦٓۚ إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾	٩	٢١٩
﴿يُرِيدُونَ أَن يُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَيَأۡبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ ﴾	٣٢	٢٢٠
﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذۡ أَخۡرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ...﴾	٤٠	٧٦
﴿فَهُمۡ فِي رَيۡبِهِمۡ يَتَرَدَّدُونَ﴾	٤٥	٢٠٥
﴿لَوۡ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمۡ إِلَّا خَبَالٗا...﴾	٤٧	٢١٢
﴿أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٖ مِّنۡ عِندِهِۦٓ أَوۡ بِأَيۡدِينَاۖ فَتَرَبَّصُوٓاْ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴾	٥٢	٧٢
﴿لَا تَعۡتَذِرُواْ قَدۡ كَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡۚ إِن نَّعۡفُ عَن طَآئِفَةٖ مِّنكُمۡ ...﴾	٦٦	٧٧
﴿ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ بَعۡضُهُم مِّنۢ بَعۡضٖۚ﴾	٦٧	٢٤٢
﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمۡۚ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴾	٦٧	٢٧٠
﴿ فَلۡيَضۡحَكُواْ قَلِيلٗا وَلۡيَبۡكُواْ كَثِيرٗا جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾	٨٢	٢٦٧
سورة يونس		
﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ أَتَىٰكُمۡ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوۡ نَهَارٗا مَّاذَا يَسۡتَعۡجِلُ مِنۡهُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ...﴾.	٥٠-٥١	٢٨٠
﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيۡتَ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةٗ وَأَمۡوَٰلٗا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ...﴾.	٨٨	١٤٥
﴿ وَأَنۡ أَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾	١٠٥	٢٣٩
سورة هود		
﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾	١	١٥٤

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَـٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ...﴾	٩-١٠	٢٨٠
﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَـٰبُ مُوسَىٰٓ ﴾.	١٧	٩
﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ كَـٰفِرُونَ ﴾	١٩-٢٤	١٧٢
﴿مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ ۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾	٢٤	١٦٧
﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَىَّ إِجْرَامِى وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ﴾	٣٥	٢٦٠
﴿وَقِيلَ يَـٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَـٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ﴾	٤٤	٢٢
﴿وَقِيلَ يَـٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَـٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ...﴾	٤٤	٢٢٥
﴿قِيلَ يَـٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَـٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَـٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ۚ ...﴾	٤٨	٢٦٣
﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَـٰلِحًا ۚ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ ...﴾	٦١	١٢٢
﴿ قَالُوا۟ يَـٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ...﴾	٨٧	٨٦
﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ فِرْعَوْنَ ۖ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ...﴾.	٩٧-٩٨	١٠٨
﴿فَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ فِرْعَوْنَ ۖ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ...﴾	٩٧-٩٨	٢١٢
سورة يوسف		
﴿ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَـٰلِحِينَ﴾	٨	٦٣
﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَـٰذَا ۚ وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ﴾.	٢٩	٩٠
﴿إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَعْصِرُ خَمْرًا﴾.	٣٦	١٩٧
﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾	٥٤	١٣٩
﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِى رَحْلِ أَخِيهِ ...﴾.	٧٠-٧٢	١٠٧
﴿قَالُوا۟ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُا۟ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَـٰلِكِينَ ﴾.	٨٥	٩٣
﴿قَالُوٓا۟ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ ۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَـٰذَآ أَخِى ۖ ...﴾.	٩٠	٨٣
﴿ قَالُوٓا۟ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ ۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَـٰذَآ أَخِى ۖ ...﴾.	٩٠	١٤٦
سورة الرعد		
﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ ﴾	١٤	١٧٨
﴿قُلِ ٱللَّهُ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّـٰرُ...﴾	١٦-١٧	١٨٨
﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ﴾	٢١	١٤٧
﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴾	٢٩	٦٤

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿ وَلَو أَنَّ قُرۡءَانًا سُيِّرَتۡ بِهِ ٱلۡجِبَالُ أَوۡ قُطِّعَتۡ بِهِ ٱلۡأَرۡضُ أَوۡ كُلِّمَ بِهِ ٱلۡمَوۡتَىٰۗ ﴾	٣١	١٣٨
﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا نَأۡتِي ٱلۡأَرۡضَ نَنقُصُهَا مِنۡ أَطۡرَافِهَاۚ ...﴾	٤١	١٠٢
سورة إبراهيم		
﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنۡ أَخۡرِجۡ قَوۡمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ... ﴾	٥	١٠٣
﴿وَٱسۡتَفۡتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾	١٥	١٤٠
﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَرَمَادٍ ٱشۡتَدَّتۡ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوۡمٍ عَاصِفٍۖ ﴾	١٨	١٨٢
﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ كُفۡرًا وَأَحَلُّواْ قَوۡمَهُمۡ دَارَ ٱلۡبَوَارِ ﴾	٢٨-٣٠	٩
﴿ مُهۡطِعِينَ مُقۡنِعِي رُءُوسِهِمۡ لَا يَرۡتَدُّ إِلَيۡهِمۡ طَرۡفُهُمۡۖ وَأَفۡـِٔدَتُهُمۡ هَوَآءٞ ﴾	٤٣	٢١
﴿مُهۡطِعِينَ مُقۡنِعِي رُءُوسِهِمۡ لَا يَرۡتَدُّ إِلَيۡهِمۡ طَرۡفُهُمۡۖ وَأَفۡـِٔدَتُهُمۡ هَوَآءٞ ﴾	٤٣	٢٣٩
سورة الحجر		
﴿وَأَرۡسَلۡنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَسۡقَيۡنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمۡ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ﴾	٢٢	١٦٨
﴿وَأَرۡسَلۡنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَسۡقَيۡنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمۡ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ﴾	٢٢	١٧٧
﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ...﴾	٨٨	٢٤٠
سورة النحل		
﴿وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ وَأَنۡهَٰرٗا وَسُبُلٗا لَّعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ... ﴾	١٥	٢٦٥
﴿ فَخَرَّ عَلَيۡهِمُ ٱلسَّقۡفُ مِن فَوۡقِهِمۡ وَأَتَىٰهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ... ﴾ .	٢٦	١٤٢
﴿ثُمَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يُخۡزِيهِمۡ وَيَقُولُ أَيۡنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمۡ تُشَٰٓقُّونَ فِيهِمۡۚ ... ﴾	٢٧	١٠٧
﴿فَٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَلَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ...﴾	٢٩-٣٠	٩٤
﴿ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنكُم بِرَبِّهِمۡ يُشۡرِكُونَ...﴾	٥٤-٥٥	٢١٢
﴿لِيَكۡفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡۚ فَتَمَتَّعُواْۖ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ﴾	٥٥	٧٢
﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلۡأُنثَىٰ ظَلَّ وَجۡهُهُۥ مُسۡوَدّٗا وَهُوَ كَظِيمٞ ﴾	٥٨	٢٣٧
﴿ وَإِنَّ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَنۡعَٰمِ لَعِبۡرَةٗۖ نُّسۡقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ ...﴾	٦٦	١٣٠
﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ﴾	١٢٨	١٣٦
سورة الإسراء		
﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا﴾	٢٣	٧٥

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ﴾	٢٤	٢٢٨
﴿وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ﴾	٢٤	٢٤٤
﴿وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبۡسُطۡهَا كُلَّ ٱلۡبَسۡطِ فَتَقۡعُدَ مَلُومٗا مَّحۡسُورًا ﴾	٢٩	٢٥٥
﴿ وَٱسۡتَفۡزِزۡ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتَ مِنۡهُم بِصَوۡتِكَ وَأَجۡلِبۡ عَلَيۡهِم بِخَيۡلِكَ وَرَجِلِكَ ...﴾	٦٤	٧٢
﴿وَيَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ يَبۡكُونَ وَيَزِيدُهُمۡ خُشُوعٗا ﴾	١٠٩	١٩٤
﴿ وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ ﴾	١١١	٩
سورة الكهف		
﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثُواْۖ لَهُۥ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَبۡصِرۡ بِهِۦ وَأَسۡمِعۡۚ ...﴾	٢٦	٩١
﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾	٤٥	١٧٧
﴿وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُشۡفِقِينَ مِمَّا فِيهِ ﴾	٤٩	٢٢١
﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهۡلَ قَرۡيَةٍ ٱسۡتَطۡعَمَآ أَهۡلَهَا فَأَبَوۡاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا ﴾	٧٧	٦٥
﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهۡلَ قَرۡيَةٍ ٱسۡتَطۡعَمَآ أَهۡلَهَا فَأَبَوۡاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا...﴾	٧٧	٢١٨
﴿وَأَمَّا ٱلۡغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤۡمِنَيۡنِ فَخَشِينَآ أَن يُرۡهِقَهُمَا طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗا ﴾	٨٠	١٠٩
﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيۡرٞ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجۡعَلۡ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُمۡ رَدۡمًا ﴾	٩٥-٩٦	١٧٨
﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ ...﴾	١١٠	١٢٠
سورة مريم		
﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا وَلَمۡ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيّٗا ﴾	٤	١٠
﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا وَلَمۡ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيّٗا ﴾	٤	٢٠٦
﴿أَسۡمِعۡ بِهِمۡ وَأَبۡصِرۡ يَوۡمَ يَأۡتُونَنَاۖ لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلۡيَوۡمَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴾	٣٨	٩٠
﴿إِنَّهُۥ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَأۡتِيّٗا ﴾	٦١	١٩٢
﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ...﴾	٥٩-٦٠	٢٦٨
﴿جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَأۡتِيّٗا...﴾	٦١-٦٢	٢٥٩
﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗا ٨٨ لَّقَدۡ جِئۡتُمۡ شَيۡـًٔا إِدّٗا﴾	٨٨-٨٩	١٠٣
سورة طه		
﴿وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ٢٩ هَٰرُونَ أَخِي ٣٠ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ٣١ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ﴾	٢٩-٣٢	١٢٨

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرٗا ﴿٣٣﴾ وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرٗا﴾	٣٥-٣٣	٢٨٠
﴿فَلَنَأۡتِيَنَّكَ بِسِحۡرٖ مِّثۡلِهِۦ فَٱجۡعَلۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكَ مَوۡعِدٗا...﴾	٥٩-٥٨	١١٣
﴿قَالَ بَلۡ أَلۡقُواْۖ فَإِذَا حِبَالُهُمۡ وَعِصِيُّهُمۡ يُخَيَّلُ إِلَيۡهِ مِن سِحۡرِهِمۡ أَنَّهَا تَسۡعَىٰ...﴾	٦٧-٦٦	٢٨٠
﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗاۚ ...﴾	٨٦	١٣٠
﴿ وَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكۡرٗا ...﴾	١٠١-٩٩	٢٠٩
سورة الأنبياء		
﴿فَمَا زَالَت تِّلۡكَ دَعۡوَىٰهُمۡ حَتَّىٰ جَعَلۡنَٰهُمۡ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ﴾	١٥	٢١٣
﴿بَلۡ نَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ عَلَى ٱلۡبَٰطِلِ فَيَدۡمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٞۚ وَلَكُمُ ٱلۡوَيۡلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾	١٨	٢٢١
﴿يَوۡمَ نَطۡوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلۡكُتُبِۚ كَمَا بَدَأۡنَآ أَوَّلَ خَلۡقٖ نُّعِيدُهُۥۚ ...﴾	١٠٤	١٠٦
سورة الحج		
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ﴾	١	٢٨٩
﴿هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡۖ ...﴾	١٩	٢١٣
﴿ لِّيَشۡهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمۡ وَيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡلُومَٰتٍ...﴾	٢٨	٧١
﴿وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾	٤٦	١٤٢
﴿ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَتُصۡبِحُ ٱلۡأَرۡضُ مُخۡضَرَّةًۚ ... ﴾	٦٣	١٠٨
سورة المؤمنون		
﴿ وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْۖ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ﴾	٢٧	٦٣
سورة النور		
﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ﴾	٣٥	١٦٣
﴿ رِجَالٞ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ...﴾.	٣٧	١٤٤
﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ﴾	٣٩	١٥٤
﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً ...﴾	٣٩	١٦٥
﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً...﴾	٤٠-٣٩	١٨
﴿يَكَادُ سَنَا بَرۡقِهِۦ يَذۡهَبُ بِٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴿٤٣﴾ يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ ...﴾	٤٤-٤٣	٢٧٥
﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٖ مِّن مَّآءٖۖ فَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰ بَطۡنِهِۦ ...﴾	٤٥	١١٠

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍۖ فَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰ بَطۡنِهِۦ ...﴾	٤٥	٢٧٠
﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ...﴾	٥٥	١٣١
سورة الفرقان		
﴿بَلۡ كَذَّبُواْ بِٱلسَّاعَةِۖ وَأَعۡتَدۡنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ...﴾	١١-١٢	٢١٤
﴿وَقَدِمۡنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنۡ عَمَلٖ فَجَعَلۡنَٰهُ هَبَآءٗ مَّنثُورًا ﴾	٢٣	٢٢٧
﴿وَيَوۡمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيۡهِ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي ٱتَّخَذۡتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلٗا ﴾	٢٧	٢٣١
﴿وَلَا يَأۡتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ وَأَحۡسَنَ تَفۡسِيرًا ...﴾	٣٣-٣٤	١٣٠
﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ...﴾	٦٨-٦٩	١٢٩
﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبۡ لَنَا مِنۡ أَزۡوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعۡيُنٖ ...﴾	٧٤	٢٤٠
سورة الشعراء		
﴿فَأَلۡقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلۡقَفُ مَا يَأۡفِكُونَ ٤٥ فَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ﴾	٤٥-٤٦	٢٢٢
﴿فَأَلۡقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلۡقَفُ مَا يَأۡفِكُونَ فَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴾	٤٥-٤٦	٢٧١
﴿قَالَ ءَامَنتُمۡ لَهُۥ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحۡرَ ....﴾	٤٩	٦٧
﴿وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ﴾	٨٤	١٩٨
﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ١٠٠ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٖ ١٠١ فَلَوۡ أَنَّ لَنَا كَرَّةٗ فَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾	١٠٠-١٠٢	٨٨
﴿ وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ...﴾	١٤٥-١٤٦	٨١
سورة النمل		
﴿ وَلُوطًا إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ أَتَأۡتُونَ ٱلۡفَٰحِشَةَ وَأَنتُمۡ تُبۡصِرُونَ ﴾	٥٤	٨١
﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ﴾	٩٠	٢٠
سورة القصص		
﴿فَٱلۡتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرۡعَوۡنَ لِيَكُونَ لَهُمۡ عَدُوّٗا وَحَزَنًاۗ ﴾	٨	٢١٦
﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلۡتَ إِلَيَّ مِنۡ خَيۡرٖ فَقِيرٞ﴾	٢٤	٦٦
﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجۡعَلُ لَكُمَا سُلۡطَٰنٗا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيۡكُمَاۚ ﴾	٣٥	٢٤٣
﴿فَإِن لَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهۡوَآءَهُمۡۚ ...﴾	٥٠	٨٢
﴿وَمِن رَّحۡمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴾	٧٣	٢٥٣
﴿ وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ ...﴾	٧٧	٧٦

الآية	رقم الآية	الصفحة
سورة العنكبوت		
﴿وَلَئِن جَآءَ نَصۡرٞ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمۡۚ ...﴾	١٠-١١	٢٨١
﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلۡعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتۡ بَيۡتٗاۖ ﴾	٤١	٢٧٣
﴿وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَٰتٞ مِّن رَّبِّهِۦۖ قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡأٓيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ...﴾	٥٠	١٢١
سورة الروم		
﴿ أَمۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٗا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُواْ بِهِۦ يُشۡرِكُونَ...﴾	٣٥-٣٦	٢٧٩
﴿مَن كَفَرَ فَعَلَيۡهِ كُفۡرُهُۥۖ وَمَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِأَنفُسِهِمۡ يَمۡهَدُونَ ﴾	٤٤	٢٥٢
سورة لقمان		
﴿وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسۡتَكۡبِرٗا كَأَن لَّمۡ يَسۡمَعۡهَا كَأَنَّ فِيٓ أُذُنَيۡهِ وَقۡرٗاۖ ...﴾	٧	١٥٣
﴿وَلَوۡ أَنَّمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن شَجَرَةٍ أَقۡلَٰمٞ وَٱلۡبَحۡرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦ ...﴾	٢٧	١٣٩
سورة السجدة		
﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴾	١٦	٢٤٠
سورة الأحزاب		
﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٖ مِّن قَلۡبَيۡنِ فِي جَوۡفِهِ﴾	٤	١٤١
﴿لِّيَسۡـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدۡقِهِمۡۚ وَأَعَدَّ لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمٗا ﴾	٨	٢٦٤
﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا﴾	٢١	٩٩
﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ...﴾	٢١	٢٣٦
﴿ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ ...﴾	٢٣-٢٤	٢٥٤
﴿ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيۡظِهِمۡ لَمۡ يَنَالُواْ خَيۡرٗاۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلۡقِتَالَۚ ...﴾	٢٥-٢٦	٢٨١
﴿ وَتَخۡشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَىٰهُ﴾	٣٧	٢٨٢
سورة سبأ		
﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ بَلۡ مَكۡرُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ ﴾	٣٣	١٩٠
سورة فاطر		
﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٖ مُّخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهَاۚ ...﴾	٢٧	١٤٧

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرًّا وَعَلَانِيَةً ... ﴾	٢٩-٣٠	١٠٠
سورة يس		
﴿قَالُواْ مَآ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَكۡذِبُونَ ...﴾	١٥-١٦	٦٣
﴿وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ...﴾.	٢٢-٢٣	١٠٠
﴿أَلَمۡ يَرَوۡاْ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّنَ ٱلۡقُرُونِ أَنَّهُمۡ إِلَيۡهِمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ...﴾	٣١-٣٢	٦٤
﴿وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ ﴾.	٣٧	٢١٤
﴿وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ ﴾	٣٩	١٧٥
﴿وَءَايَةٞ لَّهُمۡ أَنَّا حَمَلۡنَا ذُرِّيَّتَهُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ﴾	٤١	١٣٩
﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ ...﴾	٤٧	٧١
﴿أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ... ﴾	٦٠-٦٢	٦٧
﴿ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱصۡلَوۡهَا ٱلۡيَوۡمَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ﴾	٦٣-٦٤	٧٣
﴿ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيّٗا وَيَحِقَّ ٱلۡقَوۡلُ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾	٧٠	٢١٥
﴿ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا خَلَقۡنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتۡ أَيۡدِينَآ أَنۡعَٰمٗا فَهُمۡ لَهَا مَٰلِكُونَ ...﴾.	٧١-٧٢	٢٨١
سورة الصافات		
﴿ وَعِندَهُمۡ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ عِينٞ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيۡضٞ مَّكۡنُونٞ ﴾	٤٨-٤٩	١٧١
﴿إِنَّهَا شَجَرَةٞ تَخۡرُجُ فِيٓ أَصۡلِ ٱلۡجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلۡعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴾	٦٤-٦٥	١٥٧
﴿ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَاذَا تَعۡبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفۡكًا ءَالِهَةٗ دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ﴾	٨٥-٨٦	٢٧٩
﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمۡ فَقَالَ أَلَا تَأۡكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمۡ لَا تَنطِقُونَ﴾	٩١-٩٢	٨٦
﴿ فَأۡتُواْ بِكِتَٰبِكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾	١٥٧	٧٢
سورة ص		
﴿وَٱذۡكُرۡ عِبَٰدَنَآ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي وَٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴾	٤٥	١٩٦
سورة الزمر		
﴿ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾	٩	٢٥٠
﴿أَفَمَنۡ حَقَّ عَلَيۡهِ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي ٱلنَّارِ ﴾	١٩	١٩٦

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ ...﴾	٢٣	١٥
﴿قُلۡ يَٰقَوۡمِ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ إِنِّي عَٰمِلٞۖ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ﴾	٣٩-٤٠	٢٢٢
﴿أَن تَقُولَ نَفۡسٞ يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ﴾	٥٦	٢٣٨
سورة غافر		
﴿قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثۡنَتَيۡنِ وَأَحۡيَيۡتَنَا ٱثۡنَتَيۡنِ فَٱعۡتَرَفۡنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلۡ إِلَىٰ خُرُوجٖ مِّن سَبِيلٖ...﴾	١١-١٢	٨٨
﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ حَمِيمٖ وَلَا شَفِيعٖ يُطَاعُ ﴾	١٨	٢٣٥
﴿وَقَالَ رَجُلٞ مُّؤۡمِنٞ مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَكۡتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقۡتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ﴾	٢٨	١٩٦
﴿لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ٣٦ أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾	٣٦-٣٧	٩٥
﴿ ثُمَّ قِيلَ لَهُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تُشۡرِكُونَ ...﴾	٧٣-٧٤	٨٤
سورة فصلت		
﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلۡأَرۡضَ خَٰشِعَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡۚ ﴾	٣٩	٢٢٣
﴿ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ...﴾	٤٢-٤٣	٢٧٨
سورة الشورى		
﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا ..﴾	١١	١١١
﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ أَزۡوَٰجٗاۖ ﴾	١١	٢٤١
﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُ مُرِيبٖ﴾	١٤	٢٠٥
﴿وَيَمۡحُ ٱللَّهُ ٱلۡبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾	٢٤	٦٢
سورة الزخرف		
﴿ يُطَافُ عَلَيۡهِم بِصِحَافٖ مِّن ذَهَبٖ وَأَكۡوَابٖۖ وَفِيهَا مَا تَشۡتَهِيهِ ٱلۡأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلۡأَعۡيُنُۖ ...﴾	٧١	١٤٤
﴿وَتِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِيٓ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾	٧٢	٢١٥
سورة الدخان		
﴿ وَأَن لَّا تَعۡلُواْ عَلَى ٱللَّهِۖ إِنِّيٓ ءَاتِيكُم بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ﴾	١٩	٢٦٦
﴿كَذَٰلِكَۖ وَأَوۡرَثۡنَٰهَا قَوۡمًا ءَاخَرِينَ ٢٨ فَمَا بَكَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلۡأَرۡضُ﴾	٢٨-٢٩	٢٢٣
سورة الجاثية		
﴿وَقِيلَ ٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰكُمۡ كَمَا نَسِيتُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَا وَمَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴾	٣٤	٢٧١
سورة الأحقاف		

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾	٩	٢٤٨
﴿ قَالُواْ يَـٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَـٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ...﴾	٣٠	١٤٦
﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ أَلَيْسَ هَـٰذَا بِٱلْحَقِّ ۖ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ ...﴾	٣٤	٧٣
سورة محمد		
﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّواْ ٱلْوَثَاقَ...﴾	٤	٢١٥
﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ ...﴾	١٠	١٣١
﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ۖ ﴾	١٢	١٧٠
﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِىَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَـٰهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴾	١٣	١٩٧
سورة الفتح		
﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ ...﴾	٢٩	١٥٥
﴿تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا﴾	٢٩	١٩٥
سورة الحجرات		
﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾	١٠	١٧٠
﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ ﴾	١٢	١٧٩
﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُواْ وَلَـٰكِن قُولُوٓاْ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَـٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ﴾	١٤	٢٣
سورة ق		
﴿بَلْ كَذَّبُواْ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ﴾	٥	١٩٢
سورة الذاريات		
﴿ وَفِى عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ ﴾	٤١	٢٢٤
سورة القمر		
﴿فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ﴾	١١	٢٢٤
﴿وَحَمَلْنَـٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ﴾	١٣	٢٣٩
﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِى يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴾	١٩-٢٠	١٥٦
﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِى يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ...﴾	١٩-٢٠	١٧٤

الآية	رقم الآية	الصفحة
سورة الملك		
﴿إِذَآ أُلۡقُواْ فِيهَا سَمِعُواْ لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ﴾	٧	٢١٦
﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ذَلُولًا فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ﴾	١٥	٧٠
سورة المعارج		
﴿وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ مَّعۡلُومٞ ٢٤ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ﴾	٢٤-٢٥	٢٤٢
سورة نوح		
﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا﴾	١٧	٢٢٥
سورة المدثر		
﴿كَأَنَّهُمۡ حُمُرٞ مُّسۡتَنفِرَةٞ ٥٠ فَرَّتۡ مِن قَسۡوَرَةِۭ﴾	٥٠-٥١	١٨١
سورة القيامة		
﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ٢٦ وَقِيلَ مَنۡۜ رَاقٖ ٢٧ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلۡفِرَاقُ ٢٨ وَٱلۡتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ﴾	٢٦-٢٩	٢١
سورة الإنسان		
﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ وَسَبِّحۡهُ لَيۡلٗا طَوِيلًا﴾	٢٦	١٩٥
سورة المرسلات		
﴿إِنَّهَا تَرۡمِي بِشَرَرٖ كَٱلۡقَصۡرِ ٣٢ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٞ صُفۡرٞ﴾	٣٢-٣٣	١٧٤
سورة النبأ		
﴿وَجَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ لِبَاسٗا﴾	١٠	١٧٩
سورة النازعات		
﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ إِذۡ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوًى﴾	١٥-١٦	٢٠
﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخۡشَىٰهَا﴾	٤٥	١٢٠
سورة عبس		
﴿قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَآ أَكۡفَرَهُۥ﴾	١٧	٩٣
سورة الانشقاق		
﴿لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٖ﴾	١٩	٢٥٠
سورة البروج		
﴿وَمَا نَقَمُواْ مِنۡهُمۡ إِلَّآ أَن يُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ﴾	٨	٢٥٩
سورة الطارق		

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ﴾	٥-٦	١٩٢
سورة الكافرون		
﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾	٦	١٢١
سورة العلق		
﴿ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴾	١٧	١٩٧
سورة العصر		
﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ...﴾	١-٣	١٣٦

فهرس الأحاديث النبوية

الرقم	طرف الحديث	الصفحة
١/	(افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة..)	٤٢
٢/	(كل المسلم على المسلم حرام...)	٥٢
٣/	(أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ننزل الناس منازلهم)	٥٣
٤/	(يا رسول الله: متى الساعة قائمة؟ قال: ويلك وما أعددت لها؟)	١١٢
٥/	(أسمع بكاء الصبي فأتجوَّز في صلاتي...)	١٣٤
٦/	(أنا أفصح العرب، بيد أني من قريش)	٢٥٧
٧/	(إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه)	٢٦٧

فهرس الأعلام

فهرس الأبيات الشعرية

الصفحة	الشاعر	بيت الشعر	
٤٥	**الأخرس**	وفـــائض البحـــرين علمـًــا ونـــدى	الســـيد المحمــــود في خلالـــــه
٤٥	**الأخرس**	إن الـــذي فقـــد الـــورى لفريـــد	الله يعلـــــم والأنـــــام شـــــهود
٤٦	**عبدالباقي العمري**	قـــد قيـــل في ا لتمثيـــل أنثـــى وذكـــر	إن الســـؤال والجـــواب مثـــل مـــا
٤٦	**عبدالباقي العمري**	في أعـــين الأعيـــان تزهـــو كـــالحوَر	روح معانيــــه الــــتي دونهـــــا
٦٣	**بشار**	إنَّ ذاك النَّجـــــاحَ في التَّبكــــــير	بكِّـــرا صـــاحبيَّ قبـــل الهجـــيرِ
٦٩	**كثير**	لـــدينا ولا مقليـــــة إن تَقَلَّـــــتِ	أســيئي بنـــا أو أحســـني لا ملومـــة
٨٧	**أبوالعتاهية**	فــــأُخبرهُ بمَــــا فَعَـــلَ المشـــيبُ	فيَـــا لَيـــتَ الشّـــبابَ يَعُـــودُ يَوْمًـــا
٨٩	**استشهد به الألوسي**	أقـــول يـــا اللهـــم يـــا اللهمـــا	إني إذا مـــــا حــــدث ألمـــــا
٩٣	**أمرؤ القيس**	ولـــو قطعـــوا رأســـي لـــديك وأوصـــالي	فقلـــت يمـــين الله أبـــرح قاعـــدًا
١١٧	**ابن خفاجة**	ولا الـــــرمح إلا نُحوطَــــــةٌ تتــــأوّدُ	ومـا السـيفُ لـولا الخـوف إلا حديـدةٌ
١١٧	**امرؤ القيس**	ولـــيس علـــى شـــيء قـــويم بمســـتمر	ألا إنمـــا الـــدهر ليـــالٍ وأعصـــرٌ
١٢٩	**استشهد به الألوسي**	تجـــد حطبًـــا جـــزلا ونـــارًا تأججـــا	مـــتى تأتنـــا تلمـــم بنـــا في ديارنـــا
١٤٨	**استشهد به القرطبي**	والرجـــل لافحـــة والوجـــه غربيـــب	العـــين طامحـــة واليـــد ســـابحة
١٥٢	**امرؤ القيس**	أســـاريعُ ظـــبي أو مســـاويكُ إســـحلِ	وَتَعْطـــو بـــرخَصٍ غـــيرِ شَـــثْنٍ كأنّـــهُ
١٥٣	**الراضي بالله**	في خـــدِّها وقـــد اعـــتلقن خضـــابا	قـــالوا الرحيـــل فأنشـــبت أظفارهـــا
١٥٣	**استشهد به الحموى**	يـــذري المـــدامع مـــن كحيـــل أدعـــج	قبلتـــه فبكــــى وأعـــرض نـــافرًا
١٥٧	**امرؤ القيس**	ومَسْـــــنونةٌ زُرْقٌ كأنيـــــابِ أغـــــوالِ	أيَقْتُلُـــــني والمشْـــــرَفيُّ مُضـــــاجِعي
١٥٨	**استشهد به ابن ناقيا**	مجنونـــة تـــودي بـــروح الإنســـان	مـــا ليلـــة الفقـــير إلا شـــيطان
١٥٩	**ابن المعتز**	فانطباقًـــــا مـــــرة وانفتاحًـــــا	وكـــأنَّ الـــبرق مصـــحفُ قـــارٍ
١٦٠	**قيس الأنصاري**	مهـــلا فقـــد أبلغـــت أسمـــاعي	قالـــت ولم تقصـــد لقيـــل الخنـــا
١٨٦	**الفرزدق**	ضَـــرْبٌ تَطـــيرُ لـــه السَّـــواعدُ أرْعَـــلُ	يَحْمــي إذا اخْتَــرَطَ السُّــيوفُ نســاءَنا
١٨٩	**استشهد به حبنكة**	ـــرَ كَـــرُّ الْغَـــدَاةِ وَمَـــرُّ الْعَشِـــيّ	أشَـــابَ الصَّـــغِيرَ وَأَفْـــنَى الْكَبِيـــ
١٨٩	**المتنبي**	فـــؤادي في غشـــاء مـــن نبـــالِ	رمـــاني الـــدهرُ بـــالأرزاء حـــتى
١٩٢	**أبو فراس الحمداني**	وفي الليلـــة الظلمـــاء يفتقـــد البـــدر	ســيذكرني قــومي إذا جــدَّ جــدُّهم
١٩٣	**أبو النجم**	علـــيَّ ذنبًـــا كلُّـــهُ لم أصـــنعِ	قـــد أصـــبحتْ أمُّ الخيـــار تـــدعي
٢٠٠	**ذو الرمة**	وكـــفَّ الثُّريَّـــا في مُلاءَتِـــه الفجـــرُ	أقامـت بهـا حـتى ذوَى العـودُ في الثَّـرَى

بيت الشعر			الشاعر	الصفحة
فـــلا تَنَلْـــكَ الليـــالي إن أيـــديها		إذا ضـــربْنَ كســـرْنَ النبـــعَ بـــالغربِ	المتنبي	٢٠٠
في الخـــد أن عـــزم الخلـــيطُ رحـــيلا		مطـــرٌ تزيـــد بـــه الخـــدودُ محـــولا	المتنبي	٢٠٠
كـــأنَّ قلـــوبَ الطَّـــير رَطْبًـــا ويابسًـــا		لـــدى وَكْرِهـــا العنَّـــابُ والحشَـــفُ البـــالي	امرؤ القيس	١٧٣
ذوامـــلُ للأســـفار لا علـــمَ عنـــدهم		بجيّدهـــــا إلا كعلـــــمِ الأباعـــــرِ	استشهد به الألوسي	١٨١
لعمـــرك مـــا يـــدري البعـــير إذا غـــدا		بأوســـــاقه أو راح مـــــا في الغرائـــــرِ	استشهد به الألوسي	١٨١
وأعـــــددت للحـــــرب أوزارهـــــا		رماحًـــــا طـــــوالاً وخـــــيلاً ذكـــــورا	الأعشى	٢١٥
و بَيضـــةِ خـــدر لا يُـــرامُ خباؤهـــا		تَمَتَّعـــتُ مـــن لَهْـــوٍ بهـــا غـــيرَ مُعجَـــل	امرؤ القيس	٢٣٢
علـــى لا حـــبٍ لا يُهْتَـــدى بمنـــارِه		إذا ســـافَهُ العـــودُ النُّبَـــاطيُّ جَرْجَـــرا	امرؤ القيس	٢٣٥
فأمـــا عيـــونُ العاشـــقينَ فأســـخنتْ		وأَمّـــا عيُـــونُ الشـــامِتينَ فَقَـــرَّتِ	أبو تمام	٢٤٠
يَبيـــت يُجـــافي جَنْبَـــه عـــن فِراشـــه		إذا اسْـــتَثْقَلَتْ بالمشـــركين المضـــاجعُ"	ابن رواحة	٢٤٠
كـــأنَّ ســـهادَ الليـــل يعشّـــقُ مغلـــتي		فبينهمـــا في كـــلِّ هجـــرٍ لنـــا وَصْـــلُ	المتنبي	٢٤٩
جَزِعـــتُ ولم أجـــزَعْ مـــن البَـــين مُجْزَعـــا		وعزَّيْـــتُ قلبًـــا بالكواعـــب مولعـــا	امرؤ القيس	٢٥١
ولا عيـــب فـــيهم غـــير أن ســـيوفهم		بهـــن فلـــول مـــن قـــراع الكتائـــب	النابغة الذبياني	٢٥٦
فـــتى تم فيـــه مـــا يســـرُّ صـــديقَهُ		علـــى أنَّ فيـــه مـــا يســـوءُ الأعاديـــا	النابغة	٢٦٧
ومـــن العـــداوة ماينالُـــكَ نفعُـــهُ		ومـــن الصَّـــداقة مـــا يضـــرُّ ويـــؤلمُ	المتنبي	٢٦٨
يريـــد الـــرمح صـــدر أبي بـــراء		ويعـــدل عـــن دمـــاء بـــني عقيـــل	استشهد به الألوسي	٢١٨
قـــالوا: اقـــترح شـــيئًا نجـــد لـــك طبخـــه		قلـــت: اطبخـــوا لي جُبَّـــة وقميصـــا	استشهد به الحموي	٢٦٩
ألا لا يجهلـــــن أحـــــد علينـــــا		فنجهـــــل فـــــوق جهـــــل الجاهلينـــــا	عمرو بن كلثوم	٢٦٩
بكـــى حـــارث الجـــولان مـــن فقـــد ربِّـــه		وحـــورانُ منـــه مُـــوحِشٌ متضـــائلُ	النابغة الذبياني	٢٢٣
لمـــا أتـــى خـــبرُ الـــزبير تواضـــعتْ		سُـــورُ المدينـــة والجبـــالُ الخشَّـــعُ"	جرير	٢٢٤
أعينـــاي جـــودا بالـــدموع الهـــوامر		علـــى خـــير بـــادٍ مـــن معـــدٍّ وحاضـــر	استشهد به الألوسي	٢٢٤
إذا المـــرءُ لم يخـــزُن عليـــه لســـانَه		فلـــيس علـــى شـــيء ســـواه بخـــزَّانِ	امرؤ القيس	٢٨٢
ولـــيس الـــذي حللتـــه بمحلـــل		ولـــيس الـــذي حرمتـــه بمحـــرّم	استشهد به أبو حيان	٢٨٣
لـــيس كمثـــل الفـــتى زهـــير		خلـــق يوازيـــه في الفضـــائل	استشهد به الألوسي	٢٤١
وقتلَـــى كمثـــل جـــذوع النخيـــل		تغشـــاهم مســـبل منهمـــر	استشهد به الألوسي	٢٤١
ســـعد بـــن زيـــد إذا أبصـــرت فضـــلهم		مـــا أن كمـــثلهم في النـــاس مـــن أحـــد	استشهد به الألوسي	٢٤١
ومـــا يـــكُ في مِـــنْ عيـــب فـــإنّي		جبـــانُ الكلـــبِ مهـــزولُ الفصـــيلِ	استشهد به الخطيب	٢٤٤
لعبـــد العزيـــز علـــى قومـــه		وغـــيرهم مـــننٌ ظـــاهرة	استشهد به الخطيب	٢٤٥

بيت الشعر			الشاعر	الصفحة
يكـــاد إذا مـــا أبْصَـــرَ الضـــيفَ مقـــبلاً		يكلِّمـــه مـــن حبِّـــه وهـــو أعجـــمُ	استشهد به الخطيب	٢٤٥
لا أمتـــع العـــوذ بالفصـــال ولا		أبتــــاعَ إلا قريبــــة الأجــــلِ	استشهد به الخطيب	٢٤٥

المصادر والمراجع

١/ القرآن الكريم

٢/ الإتقان في علوم القرآن، تأليف: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق: سعيد المندوب، دار الفكر – لبنان، الطبعة الأولى – ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م.

٣/ إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، للقاضي أبي السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي، وضع حواشيه: عبد اللطيف عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ -١٩٩٩م.

٤/ أسرار البلاغة، تأليف: الإمام عبد القاهر الجرجاني، قرأه وعلّق عليه: محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.

٥/ الأسلوب الحكيم دراسة بلاغية تحليلية، للدكتور محمد بن علي الصامل، بحث نشرته مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ومعه تحقيق رسالة عن الأسلوب الحكيم لابن كمال باشا. دراسة بلاغية تحليلية، العدد الخامس عشر - شعبان ١٤١٦هـ.

٦/ الأسلوب الكنائي، للدكتور محمد السيد شيخون، الناشر مكتبة الكليّات الأزهريّة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨.

٧/ الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز للإمام الحافظ عز الدين بن عبد السلام السلمي، تقديم: رمزي دمشقية، دار البشائر الإسلامية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٧م.

٨/ الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، دراسة قرآنية لغوية وبيانية. الدكتورة: عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ، دار المعارف- الطبعة الثانية، ١٩٨٠م.

٩/ إعجاز القرآن الكريم عند شيخ الإسلام ابن تيمية، تأليف: محمد بن عبد العزيز العواجي، دار المنهاج، الرياض، المملكة العربية السعودية. الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ.

١٠/ إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، تأليف: مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان. الطبعة التاسعة ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.

١١/ إعجاز القرآن، لأبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني، تحقيق: أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة.

١٢/ أعلام العراق، لمحمد بهجة الأثري، المطبعة السلفية بمصر. ١٣٤٥هـ.

١٣/ الأعلام، للزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثامنة، ١٩٨٩م.

١٤/ الإعلان بالتوبيخ لمن ذمَّ التاريخ، لشمس الدين السخاوي، تحقيق: فرانزروزنثال، وصالح أحمد العلي، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٥/ الأغاني، لأبي الفرج الأصبهاني، تحقيق: سمير جابر، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية .

١٦/ الألوسي مفسِّراً، تأليف محسن عبد الحميد، مطبعة المعارف، بغداد، الطبعة الأولى، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م.

١٧/ أنوار التنزيل وأسرار التأويل، المعروف بتفسير البيضاوي، لناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، دار الكتب العلميَّة، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

١٨/ الإيضاح، للخطيب القزويني، تحقيق د. عبد الحميد هنداوي، مؤسسة المختار، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م.

١٩/ البحر المحيط، لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلميَّة، بيروت — لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.

٢٠/ البديع لأبي العباس عبد الله بن المعتز، تقديم وشرح د. محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

٢١/ البرهان في علوم القرآن ، للإمام بدر الدين الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الثانية، ١٣٩٣هـ، دار المعرفة، بيروت — لبنان.

٢٢/ بصائر ذوي التمييز، لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، تحقيق: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، بيروت- لبنان.

٢٣/ بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح، لعبد المتعال الصعيدي، الناشر: مكتبة المعارف، الرياض، السعودية١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
٢٤/ البلاغة الاصطلاحية، للدكتور عبده عبد العزيز قلقيلة، دار الفكر العربي ، القاهرة، الطبعة الثالثة. ١٤١٢هـ- ١٩٩١م.
٢٥/ البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، تأليف: عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم، دمشق، سوريا. الطبعة الأولى ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
٢٦/ بلاغة الكلمة والجملة والجمل ، للدكتور منير سلطان، منشأة المعارف بالإسكندرية، الطبعة الثالثة، ١٩٩٦م.
٢٧/ البلاغة فنونها وأفنانها (١- ٢) للدكتور فضل حسن عباس، دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، الطبعة الحادية عشرة، ٢٠٠٦م.
٢٨/ بيان إعجاز القرآن لأبي سليمان حمد بن إبراهيم الخطابي، تحقيق: مجدي فتحي السيد، دار الصحابة للتراث، طنطا، مصر، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٧م.
٢٩/ البيان في ضوء أساليب القرآن، تأليف الدكتور عبد الفتاح لاشين، دار المعارف، القاهرة. ١٩٨٤م.
٣٠/ البيان والتبيين، عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت- لبنان، الطبعة الثانية.
٣١/ تاج العروس من جواهر القاموس، تأليف: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، الزَّبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية للنشر.
٣٢/ التاج المكلل من مآثر الطراز الآخر والأول، تأليف: العلامة صديق بن حسن خان القنوجي، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ. ١٩٩٥م.
٣٣/ تاريخ الدولة العلية العثمانية، لمحمد فريد بك المحامي، تحقيق: إحسان حقي، طبعة دار النفائس، بيروت، الطبعة الثانية. ١٤٠٣هـ.
٣٤/ تاريخ بغداد، لأبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت.
٣٥/ تاريخ علماء بغداد في القرن الرابع عشر الهجري، تأليف: يونس إبراهيم السامرائي، مطبعة وزارة الأوقاف والشؤون الدينية بالعراق، ١٤٠٢هـ. ١٩٨٢م.

٣٦/ التبيان في البيان، تأليف: شرف الدين الحسين بن محمد الطيبي، تعليق: يحيى مراد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م

٣٧/ التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن عاشور. الناشر: دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس.

٣٨/ الترياق الفاروقي، أو ديوان عبد الباقي العمري، دار النعمان للطباعة والنشر، النجف، العراق، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ. ١٩٦٤م.

٣٩/ التصوير البياني، محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤٠٠هـ . ١٩٨٠م.

٤٠/ تفسير روح البيان ، للشيخ إسماعيل حقي البروسوي، تعليق: أحمد عزو، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

٤١/ التفسير والمفسرون، تأليف: محمد حسين الذهبي، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة السابعة، ١٤٢١هـ. ٢٠٠٠م.

٤٢/ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنَّان، للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: محمد زهري النجار، دار المؤيد، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

٤٣/ ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، للرماني، والخطابي، وعبد القاهر الجرجاني، حققها وعلّق عليها: محمد خلف الله أحمد، ودكتور محمد زغلول سلام، دار المعارف، القاهرة، مصر. الطبعة الثالثة. ١٩٧٦م.

٤٤/ جامع البيان عن تأويل آي القرآن، المعروف بتفسير الطبري، تحقيق: د. بشار عواد معروف، وعصام فارس الحرستاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م.

٤٥/ جامع بيان ا لعلم وفضله، للحافظ ابن عبد البر، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، الرياض، السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.

٤٦/ الجامع لأحكام القرآن، تأليف: أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار الشعب – القاهرة.

٤٧/ جلاء العينين في محاكمة الأحمدين، تقديم علي السيد صبحي، مطبعة المدني. ١٤٠١هـ . ١٩٨١م.

٤٨/ الجمان في تشبيهات القرآن، لأبي القاسم عبد الله بن محمد بن ناقيا البغدادي، حققه وشرحه الدكتور محمد رضوان الداية، دار الفكر، دمشق، سورية، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

٤٩/ حاشية زاده على تفسير البيضاوي، لمحيي الدين شيخ زاده، تركيا- دار صادر، بيروت.

٥٠/ حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، تأليف: محمد بهجة البيطار، من مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، سنة ١٣٨٣هـ.

٥١/ الحيوان، تأليف: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت - لبنان - ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

٥٢/ خزانة الأدب وغاية الأرب، تأليف: تقي الدين أبي بكر ابن حجة الحموي، شرح: عصام شعيتو، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، دار البحار، بيروت.

٥٣/ خصائص التراكيب، للدكتور محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الخامسة ١٤٢١هـ. ٢٠٠٠م.

٥٤/ الخصائص، لأبي الفتح عثمان بن جني، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان .

٥٥/ خلاصة المعاني، للحسن بن عثمان بن الحسين المفتي، تحقيق: الدكتور عبد القادر حسين، الناشرون العرب، الرياض، المملكة العربية السعودية.

٥٦/ الدر المصون، لأحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي، تحقيق: د. أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ -١٩٨٧م.

٥٧/ الدر المنتشر في رجال القرن الثاني عشر والثالث عشر، تأليف: علي علاء الدين الألوسي، تحقيق: جمال الدين الألوسي، وعبد الله الجبوري، وزارة الثقافة والإرشاد، بغداد. ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م.

٥٨/ الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، لابن حجر، تحقيق: محمد سيد جاد الحق، دار الكتب الحديثة، مطبعة المدني، القاهرة، الطبعة الثانية ١٣٨٥هـ.

٥٩/ دلائل الإعجاز، تأليف: الإمام عبد القاهر الجرجاني، قرأه وعلَّق عليه: محمود محمد شاكر، دار المدني بجدة، الطبعة الثالثة ١٤١٣هـ، ١٩٩٢م.

٦٠/ ديوان ابن خفاجة، تحقيق: عبد الله سندة، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

٦١/ ديوان أبي العتاهية، جمع وشرح: كرم البستاني، دار صادر، بيروت، لبنان.

٦٢/ ديوان الأخرس، عبد الغفار البصري، تحقيق: وليد الأعظمي، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

٦٣/ ديوان المتنبي، وضعه: عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م.

٦٤/ ديوان النابغة الذبياني، شرح وتقديم: عباس عبد الساتر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى. ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م.

٦٥/ ديوان امرئ القيس. شرح وتحقيق حجر عاصي. دار الفكر العربي- بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م.

٦٦/ ديوان بشار بن برد، تحقيق: السيد بدر الدين العلوي، دار صادر، بيروت، لبنان..

٦٧/ ذكرى أبي الثناء الألوسي، تأليف: عباس العزاوي، شركة التجارة والطباعة، بغداد. ١٣٧٧هـ.

٦٨/ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لأبي الثناء شهاب الدين محمود الألوسي الحسيني البغدادي، علَّق عليها: محمد أحمد الأمد، وعمر عبد السلام السلاوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٦٩/ رياض الصالحين، للإمام أبي زكريا يحيى بن شرف النووي، تحقيق: عبد العزيز رباح، أحمد الدقاق. دار الفيحاء، دمشق سوريا. دار السلام الرياض، السعودية.

٧٠/ سر الفصاحة، لأبي محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي، فهرسة: داود غطاشة، دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

٧١/ سُفرة الزاد لسفرة الجهاد، لأبي الثناء الألوسي، طبعة مطبعة دار السلام، بغداد، سنة ١٣٣٣هـ.

٧٢/ سنن ابن ماجة، لمحمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر – بيروت، لبنان.

٧٣/ سنن أبي داود، لسليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد. دار الفكر، بيروت، لبنان.

٧٤/ سنن الترمذي، لمحمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون. دار إحياء التراث العربي – بيروت، لبنان.

٧٥/ سير أعلام النبلاء، للذهبي، تحقيق: جماعة من العلماء، بإشراف: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٦هـ. ١٩٨٦م.

٧٦/ شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لأبي الفلاح عبد الحي بن العماد، دار المسيرة، بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ. ١٩٧٩م.

٧٧/ شرح قطر الندى وبل الصدى، تأليف : أبو محمد عبد الله جمال الدين بن هشام الأنصاري، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد. الطبعة الحادية عشرة ، ١٣٨٣هـ.

٧٨/ صحيح البخاري (الجامع الصحيح المختصر)، لمحمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق : د. مصطفى ديب البغا. دار ابن كثير ، اليمامة – بيروت، لبنان. الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.

٧٩/ صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي. دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

٨٠/ طبقات الشافعية الكبرى، للسبكي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية.

٨١/ طبقات فحول الشعراء، لمحمد بن سلام الجمحي، تحقيق: محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، المملكة العربية السعودية.

٨٢/ الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، تأليف: الإمام يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي اليمني، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

٨٣/ علم البديع (دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة)، تأليف: الدكتور بسيوني عبد الفتاح، مؤسسة المختار، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م.

٨٤/ علم البيان (دراسة تحليلية لمسائل البيان)، تأليف: الدكتور بسيوني عبد الفتاح، مؤسسة المختار، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م.

٨٥/ علم المعاني، تأليف: الدكتور بسيوني عبد الفتاح، مؤسسة المختار، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م.

٨٦/ العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، لابن رشيق القيرواني، شرح وضبط: عفيف نايف حاطوم، دار صادر، بيروت — لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٣م.

٨٧/ غاية الأماني في الرد على النبهاني، تأليف: محمود شكري الألوسي، توزيع مكتبة ابن تيمية بالقاهرة، ومكتبة العلم، جدة.

٨٨/ غرائب الاغتراب ونزهة الألباب: لأبي الثناء شهاب الدين محمود الألوسي الحسيني البغدادي، مطبعة الشابندر، بغداد. ١٣٢٧هـ.

٨٩/ الفاصلة القرآنية، تأليف: عبد الفتاح لاشين، دار المريخ للنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية.

٩٠/ الفتوحات الإلهية، للإمام سليمان بن عمر العجيلي الشافعي الشهير بالجمل، ضبط وتصحيح: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلميَّة، بيروت — لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م.

٩١/ فهرس الفهارس والأثبات، للكتاني عبد الحي بن عبد الكبير، باعتناء إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

٩٢/ الفهرست، محمد بن إسحاق النديم، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.

٩٣/ الفوائد البهية في تراجم الحنفية، لأبي الحسنات محمد بن عبد الحي اللكنوي الهندي، تصحيح وتعليق محمد بدر الدين النعاني، نشر دار الكتاب الإسلامي.

٩٤/ القاموس المحيط، تأليف: محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، مؤسسة الرسالة – بيروت، لبنان.

٩٥/ القرآن والصورة البيانية، للدكتور عبد القادر حسين، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.

٩٦/ كتاب التعريفات، لعلي بن محمد الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان. الطبعة الثانية ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

٩٧/ كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، تصنيف: أبي هلال العسكري، تحقيق: علي محمد البجادي، محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت. ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

٩٨/ كتاب حروف المعاني، لأبي القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي، تحقيق: د. علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة. سوريا، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ.

٩٩/ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تأليف: أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي. دار إحياء التراث العربي - بيروت، لبنان.

١٠٠/ كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، تأليف: إسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي، تحقيق: أحمد القلاش، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٥هـ.

١٠١/ كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، لحاجي خليفة، دار الفكر، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

١٠٢/ اللباب في تهذيب الأنساب، لعز الدين ابن الأثير الجزري، طبعة دار صادر، بيروت، ١٤٠٠هـ.

١٠٣/ لسان العرب، للإمام العلامة ابن منظور، دار إحياء التراث العربي- بيروت، لبنان. الطبعة الثالثة. ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م. اعتنى بتصحيحها: أمين محمد عبد الوهاب، محمد الصادق العبيدي.

١٠٤/ المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لأبي الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد المعروف بابن الأثير، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت . ١٩٩٥م،.

١٠٥/ مجموع الفتاوى، لابن تيمية، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن قاسم، وابنه محمد، طبعة الرئاسة العامة لشؤون الحرمين.

١٠٦/ المحَرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية الأندلسي، تحقيق: المجلس العلمي بفاس، مطابع فضالة المغرب، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.

١٠٧/ محمود شكري الألوسي وآراؤه اللغوية، لمحمد بهجة الأثري، المطبعة الكاملية، مصر. ١٩٨٥م.

١٠٨/ مختصر تفسير ابن كثير: اختصار وتحقيق: محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم بيروت، لبنان، الطبعة السابعة ١٤٠٢هـ - ١٩٨١م.

١٠٩/ المسك الأذفر في نشر مزايا القرن الثاني عشر والثالث عشر، لأبي المعالي الألوسي، تحقيق: عبد الله الجبوري، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

١١٠/ مسند الإمام أحمد بن حنبل، مؤسسة قرطبة — القاهرة.

١١١/ المطول، شرح تلخيص المفتاح، لسعد الدين مسعود التفتازاني الهروي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، منشورات علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

١١٢/ معجم البلاغة القرآنية، للدكتور محمد سعد الدبل، الناشر مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨ م.

١١٣/ معجم البلدان، لأبي عبد الله ياقوت الحموي، تقديم: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

١١٤/ معجم المؤلفين (تراجم مصنفي الكتب العربية)، تأليف: عمر رضا كحالة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

١١٥/ المعجم الوسيط، إخراج: د. إبراهيم مصطفى، د. أحمد حسن الزيات، حامد عبد القادر، محمد علي النجار، تحقيق مجمع اللغة العربية.

١١٦/ معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، دار الجيل – بيروت، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م.

١١٧/ مفاتيح الغيب، للإمام فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين البكري الرازي الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.

١١٨/ مفتاح العلوم، لأبي يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد السكاكي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

١١٩/ المفردات في غريب القرآن، لأبي القاسم الحسين بن محمد، المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد سيد الكيلاني، دار المعرفة، بيروت- لبنان.

١٢٠/ مقدمة تفسير ابن النقيب في علم البيان والمعاني والبديع وإعجاز القرآن، للإمام أبي عبد الله جمال الدين محمد بن سليمان البلخي المقدسي، الشهير بابن النقيب، تعليق الحواشي: د. زكريا سعيد علي، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م. الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة.

١٢١/ من بدائع النظم القرآني، للدكتور السيد عبد الفتاح حجاب، طبعة الجندي، بنها الجديدة، مصر.

١٢٢/ من بلاغة القرآن الكريم، د. أحمد أحمد بدوي، دار نهضة مصر للطبع والنشر، الفجالة.

١٢٣/ منهاج السنة النبوية، لابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، طبع ونشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ. ١٩٨٦م.

١٢٤/ نشوة الشَّمول في السفر إلى إسلامبول، تأليف أبي الثناء الألوسي، مطبعة الولاية، بغداد. ١٢٩٣م.

١٢٥/ نشوة المدام في العود إلى مدينة السلام، لأبي الثناء الألوسي، مطبعة الولاية، بغداد، ١٢٩٣هـ.

١٢٦/ النظائر، للشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ، دار العاصمة، الرياض، السعودية.

١٢٧/ نظم الدرر، لبرهان الدين أبي الحسن إبراهيم البقاعي، دار الكتاب الإسلامي بالقاهرة، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م.

١٢٨/ النظم القرآني في آيات الجهاد، د. ناصر بن عبد الرحمن الخنين، مكتبة التوبة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

١٢٩/ النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين، تأليف محمد رجب البيومي، طبعة دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى. ١٤١٥هـ.

١٣٠/ الوافي بالوفيات، للصفدي صلاح الدين خليل، اعتناء هلموت رينز، ١٣٨١هـ - ١٩٦٢م، توزيع مؤسسة الكتب الثقافية.

١٣١/ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لابن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت.

١٣٢/

فهرس الموضوعات

الموضـــــوع	الصفحة